

الشيخ زايد





الواقف الجديد

مجلة شهرية يصدرها المركز الشيوعي العربي

220

العدد 6 السنة 37 نيسان 1990

فهرست

■ موقفنا :

4 - بيان الحزب في الذكرى ٥٦ لتأسيسه

■ وثائق

9 - بلاغ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب

12 - في سبيل استنهاض قوى الشعب لتحقيق

السلم والبدیل الديمقراطي

■ آراء ومناقشات نحو المؤتمر الخامس لحزبنا

56 - الديمقراطية داخل الحزب لقاء مع الرفيق كريم أحمد

65 - حول طبيعة النظام واساليب الكفاح شاهين

69 - حول المركزية الديمقراطية أبو مصطفى

■ عالم راهن

72 - حول التغيرات في اوربا الشرقية غومبوجافين اوتشيرا

البرت بين

76 - رسالة مفتوحة إلى الاصدقاء يفغيني ستانتشيف

- 84 - لقد شعر كل شخص بالانتصار والهزيمة في آن روبرت خووخ
98 - عندما زالت الاوهام فلاديمير غانين

■ ادب وفن

- 110 - تحية، ابا فرات، لاعوامك والشعر ادب وفن
111 - الاسلام وعلم الجمال والفن فيصل لعبيي
120 - اربعة عقود من تاريخ المسرح السياسي
في العراق (١٨٨٠ - ١٩٢٠) لطيف حسن
127 - جان جيتيه وحديث عن المسافة
بين الاماني والواقع سمير سالم داود
131 - ماذا يحدث في بطرسبورغ / مسرح
ماركلا بوجيو وفرانكو كومو
ترجمة : هلال حميد
136 - جلاس المقاعد الامامية / قصة قصيرة
د. حسان عاكف
139 - خريف المحبة / شعر منعم الفقير
144 - جدارية أسفار / شعر صلاح الحمداني
147 - قصائد كردية حديثة حمه سعيد حسن
ترجمة : سامي شورش
150 - مدارات ثقافية

الغلافان الأول والأخير للفنان جبر علوان



موقفنا

بيان الحزب الشيوعي العراقي في الذكرى ٥٦ لتأسيسه

فلنشدد النضال من أجل الخلاص من الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي!

يا أبناء شعبنا العظيم
أيها العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون، والعسكريون الشرفاء، والكسبة والحرفيون
والتجار الوطنيون عرباً وكرداً وأقليات قومية.
يستقبل حزبنا في الحادي والثلاثين من هذا الشهر الذكرى السادسة والخمسين
لتأسيسه. ويفتتح هذه المناسبة النضالية المجيدة ليتوجه اليكم، حيثما كنتم في أرجاء وطننا
المعذب، مجدداً العهد على مواصلة النضال من أجل الاهداف النبيلة، في الديمقراطية
والازدهار الاقتصادي والعدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي والسلام.
فلقد انبثق حزبنا كحركة سياسية مقدامة من صميم حركة شعبنا الوطنية الثورية
وحركة طبقتنا العاملة الفتية، يتبنى الفكر الاشتراكي العلمي ويسترشد بالماركسية اللينينية،
ليناضل من أجل:

- الاستقلال والسيادة الوطنية، لتخليص الوطن من السيطرة الامبريالية ومعاهداتها
الجائرة، واجلاء الجيوش الاستعمارية.
- تحرير ثرواتنا الوطنية وفي مقدمتها النفط.
- القضاء على النظام الاقطاعي وتوزيع الأراضي على الفلاحين.
- حقوق العمال وحررياتهم النقابية.

- الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب واحزابها الوطنية والحقوق القومية للشعب الكردي والحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية.

- نصرة الشعوب العربية المناضلة من أجل التحرر والديمقراطية والوحدة، ومساندة نضال الشعب العربي الفلسطيني ضد الامبريالية والصهيونية.

- دحر الفاشية وحماية السلم وأمن الشعوب.

وأثبت الشيوعيون العراقيون، جيلاً بعد جيل، انهم اوفياء للشعب، مخلصون للوطن، فتصدروا مظاهرات الجماهير واضرابات العمال والطلبة وانتفاضات الفلاحين ووثبات الشعب، وقدموا التضحيات الغالية، وصعدوا قاداتهم الاماجد ورفاقهم الابطال اعواد المشائق وامشهدوا في ساحات النضال الوطني والطبقي والقومي وتحملوا عذابات السجون والمنافي من أجل انتصار قضية الشعب العادلة.

وكان الشيوعيون، دوماً، في طليعة الساعين لوحدة الصف الوطني، وقوة أساسية في كل التحالفات الوطنية التي توجت بجبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧، والتي كانت القاعدة السياسية لانتصار ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة عام ١٩٥٨.

ومنذ الرابع عشر من تموز الأغر، والشيوعيون العراقيون يناضلون من أجل الديمقراطية للشعب، والسلم والحكم الذاتي في كردستان العراق ومن أجل الاصلاح الزراعي الجذري وحقوق العمال وحررياتهم الثقافية ورفع مستوى الجماهير الواسعة المعيشي والثقافي. ودفعوا ثمن مواقفهم النضالية الصلبة، إلى جانب اخوانهم المناضلين من الاحزاب والقوى الوطنية الأخرى، ألوفاً بل عشرات الوف الشهداء والسجناء والمعتقلين والمنفيين على ايدي الحكومات الدكتاتورية المتعاقبة واجهزة قمعها الهمجية، وخصوصاً على ايدي الحكام الدكتاتوريين الحاليين.

بأبناء شعبنا المناضلين

ان الشيوعيين العراقيين اذ يستعرضون، في هذه الذكرى المجيدة، الصفحات المشرقة من تاريخهم النضالي في خدمة الشعب، واسهامهم الفعّال في كل النضالات التي خاضها شعبنا، فانهم لا يقومون بهذا من أجل التذكير بما تعرفه الجماهير، وبما عاشته وتعيشه اليوم مع ابنائها الشيوعيين افراحاً واطرأحاً، بل من أجل ان يستمدوا العبرة من الماضي، بنجاحاته واخفاقاته، ويستفيدوا من تجربته الغنية، ويستلهموا المزيد من العزم على مواصلة النضال، وتجديد حزبهم وتسديد مساره وتقريب يوم الخلاص من الدكتاتورية الغاشمة وتحقيق البديل الديمقراطي وبناء العراق الديمقراطي المزدهر.

لقد عانى شعبنا الكثير من المآسي والكوارث جراء الحرمان من الديمقراطية وتسلب الطغمة الرجعية والدكتاتورية. وأكبر هذه الكوارث هي الحرب التي اشعلها صدام حسين،

منذ ما يقرب من عشر سنوات، وتوقف القتال فيها منذ حوالي الستين، ولكن عواقبها لم تنته حتى الآن، وما زالت تلقي بثقلها المرهق على شعبنا، حرماناً من الحريات وارهاباً دموياً غاشماً، ودماراً اقتصادياً وغلاءً فاحشاً، وتشوهاً اجتماعياً وأخلاقياً فظيماً، وحرباً شوفينية بشعة ضد الشعب الكردي وتهجيراً لمئات الألوف من أبناء الوطن، ومواصلة للنزعة العسكرية التي تسبق من افواه الشعب المليارات بعد المليارات.

ولذا فان انتزاع الديمقراطية لجماهير الشعب، ووقف الحرب الشوفينية الظالمة ضد الشعب الكردي وتمكينه من ممارسة الحكم الذاتي الحقيقي، وتحويل وقف اطلاق النار بين العراق وايران إلى سلم وطيد بين البلدين الجارين عن طريق تثبيت الخيار السلمي وتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ تحتل رأس قائمة الاهداف التي يناضل الشيوعيون العراقيون من أجلها.

ان حزبنا يناضل من أجل الخلاص من الدكتاتورية، وتصفية مخلفاتها واقامة دولة القانون عن طريق:

- انهاء الاوضاع الاستثنائية.

- اطلاق الحريات الديمقراطية للشعب: حرية التنظيم الحزبي والنقابي والنشر والصحافة والتعبير عن الرأي والتظاهر واقامة الاجتماعات والاضراب، واحترام العقائد السياسية والدينية.

- الغاء جميع القوانين المنافية للديمقراطية، وفي مقدمتها قانون الحزب القائد والدستور المؤقت الذي يكرس سلطات مجلس قيادة الثورة اللاشريعة، و«المجلس الوطني» المزيف، والغاء هذين المجلسين.

- الغاء جميع المؤسسات والاجهزة القمعية المتمرسه بمحاربة الشعب: الأمن العامة والمخابرات والجيش الشعبي وغيرها ومحاسبة مسؤوليها واستبدالها بمؤسسات تصون أمن الوطن وكرامة المواطن وتخضع لرقابة الشعب عبر ممثليه المنتخبين بحرية.

- الغاء قرارات التهجير، والسماح بعودة جميع المهجرين العراقيين، وضمان حقوقهم العادلة وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم.

- تصفية سياسة «التبعيث» القسري والتمييز القومي والديني والطائفي والنزعات العصرية الشوفينية.

- تطهير اجهزة الدولة ومؤسساتها العامة، وخاصة القوات المسلحة، من العناصر الرجعية والفاشية المعادية للشعب.

- اصدار عضو عام شامل عن المواطنين المسجونين والمعتقلين والمطاردين السياسيين كافة واعادة جميع المفصولين الوطنيين، المدنيين والعسكريين إلى أعمالهم

- وكلياتهم ومدارسهم وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم .
- اعادة توطين المشردين والمهجرين من ابناء الشعب الكردي وتمكينهم من الاستقرار والعمل في مدينتهم وقراهم ، وتعويضهم عن الخسائر التي لحقت به ، واعمار المدن والقرى المخربة والغاء المناطق المحرمة « الحزام الأمني » .
- سن قانون ديمقراطي لانتخاب مجلس تأسيسي للبلاد يشرع دستوراً ديمقراطياً ، وثبت الأسس القانونية لحياة ديمقراطية راسخة كاسلوب في الحكم (مؤسسات مركزية ومحلية ، ولأقليم كردستان) وكحريات عامة للجماهير الشعبية واحزابها وقواها السياسية ومنظماتها الاجتماعية .
- اجراء انتخابات المجلس الوطني في جو من الحرية الحقيقية ، وعلى أساس حق الانتخاب العام والمتساوي والمباشر لكل من بلغ الثامنة عشرة من عمره من الذكور والاناث ، وبالاقتراع السري لتمكين الشعب من التعبير عن ارادته الحرة وانتخاب ممثليه إلى السلطة التشريعية .
- انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه ومجلس الوزراء والمحكمة العليا والمدعي العام من قبل المجلس الوطني ، الذي له حق اقالمتهم أيضاً .
- اجراء انتخابات ديمقراطية للمجلس التشريعي لأقليم كردستان ذي الحكم الذاتي على نفس أسس الانتخابات الديمقراطية العامة .
- اجراء انتخابات ديمقراطية لمجالس امانة العاصمة والبلديات وهيئات الحكم المحلي ورؤسائها من قبل سكان الوحدة البلدية والادارية المعنية .
- بأبناء شعبنا المناضل
- هذا هو الطريق الحقيقي لأقامة دولة القانون والحريات الديمقراطية وليس ما يدعيه الحكام من مزاعم ، وما يتخذونه من اجراءات مزيفة كقرارات «العفو» المثقلة بالاشتراطات المخجلة ، والخالية من أية ضمانات تمنع الملاحقة والتنكيل بالمواطنين ، وما يعلنون من نوايا لأقامة «تعددية» حزبية لا تسمح بغير اقامة «احزاب» على شاكلة حزبهم الحاكم ، ومن دستور يكرس دكتاتوريتهم لعشرين سنة قادمة على الأقل !
- ولن نتحقق دولة القانون والحريات الديمقراطية كهبة من الحكام الدكتاتوريين ، بل نتحقق عن طريق تعبئة كل قوى الشعب الحية ، المعادية للدكتاتورية ، في جبهة وطنية عريضة ، وبالتعاون مع كل القوى التي تتعرض لعسف الدكتاتورية وارهابها بما فيها قوى داخل الحزب الحاكم نفسه .
- فلنشدد النضال من أجل تعبئة كل قوى الشعب من أجل الخلاص من الدكتاتورية ، وتحقيق البديل الديمقراطي وبناء دولة القانون والحريات الديمقراطية وضمان الحقوق

القومية للشعب الكردي في العراق وفي مقدمتها الحكم الذاتي الحقيقي ، وإعادة العراق إلى الصف العربي التحرري المعادي للامبريالية والصهيونية ، والمناضل من أجل السلم العالمي وحماية الحياة على الأرض .

تحية لكل رفاقنا واصدقائنا الابطال الصامدين بوجه الدكتاتورية وارهائها الدموي في السجون والمعتقلات وفي كل ربوع وطننا الحبيب .

تحية لانصارنا البواسل .

تحية لرفاقنا واصدقائنا المشردين والمهجرين والمغتربين قسراً في كل الاقطار .

تحية لشعبنا العراقي المناضل ، عرباً واكراداً واقلية .

ومجدداً لشهداءه الابرار .

وعهدداً على مواصلة النضال حتى تتحقق اهدافه في بناء عراق ديمقراطي مزدهر .

اواسط آذار / ١٩٩٠



بلاغ

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي اجتماعاً اعتيادياً كاملاً في آذار ١٩٩٠، ابتدأته بالوقوف دقيقة صمت تمجيداً لشهداء الحزب والحركة الوطنية العراقية. وحيا الاجتماع الذكرى السادسة والخمسين لتأسيس حزبنا ومناضليه البواسل وانصاره الشجعان وكل الاحزاب والقوى الوطنية المناضلة من أجل الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكرديستان العراق.

ناقش الاجتماع مشروعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتنظيمية التي اعددها م. س، المعنونة «في سبيل استنهاض قوى الشعب لتحقيق السلم والبدل الديمقراطي» في إطار عمليات التجديد الجارية في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، واعادة البناء (البريسترويكا) في الاتحاد السوفيتي، والتطورات العاصفة التي تشهدها بلدان اوربا الشرقية، والتفكير السياسي الجديد الذي يتغلغل في الحياة الدولية.

وقرر الاجتماع طرح المشروع، بعد اجراء التعديلات عليه واقراره، على المناقشة الحزبية العامة، في جميع منظمات الحزب.

لقد استلهمت المناقشات الخصائص الوطنية العراقية وتجربة الحزب التاريخية، وظروفه النضالية الراهنة، كأساس للتفاعل مع هذه التغيرات ولتقييم عملياتها، بجوانبها الايجابية والسلبية، وانعكاساتها على حزبنا، وعلى الحركة الوطنية، وعلى الاوضاع في البلدان العربية والعالم.

وانطلقت اللجنة المركزية في بحثها مختلف جوانب حياة الحزب وسياسته من الضرورة الموضوعية والحاجة الذاتية الملحة لتجديد الحزب، على أساس اشاعة الديمقراطية فيه، وتدقيق وتصويب سياسته وتوجهاته البرنامجية والتنظيمية، والارتقاء بمستواه الفكري واساليه الكفاحية، بما يساعد على خلق افضل الظروف والامكانيات لتعبئة قوى الشعب واستنهاضها لتحقيق السلم والبديل الديمقراطي.

وفي معرض تحليل الاوضاع العربية والدولية، توقفت اللجنة المركزية أمام الخطوات الهامة التي تحققت في عدد من البلدان العربية باتجاه اطلاق الحريات الديمقراطية والتعددية الحزبية، وأكدت تضامنها مع الاحزاب الشقيقة والقوى الوطنية في هذه البلدان، ودعمها لجهودها من أجل ترسيخ الحياة الديمقراطية وتعميقها.

وأعربت اللجنة المركزية عن تضامنها الحار مع الشعب العربي الفلسطيني المناضل وانتفاضته الباسلة في دولة فلسطين المحتلة، وعن ادانتها لجرائم الصهاينة المحتلين والدعم الذي يلقونه من الامبرياليين الامريكان.

وحيت نضال الشعب اللبناني ومقاومته الوطنية الباسلة ضد الاحتلال الصهيوني للجنوب ومن أجل اهاء تمرد ميشيل عون، وضمان وحدة لبنان وعروبه وديمقراطيته. وشجبت موقف حكام بغداد الداعم لهذا التمرد.

وادانت اللجنة المركزية التحرشات الامريكية بالجمهورية الليبية، واعربت عن تضامنها مع الشعب الليبي.

وحيت مواقف سوريا المعادية للامبريالية والصهيونية.

وتوقفت اللجنة المركزية عند الانقلاب العسكري الرجعي في السودان، وطالبت بوقف الانتهاكات الفظة للحقوق والحريات الديمقراطية وباطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

وفي الوقت الذي عبرت فيه اللجنة المركزية عن تعاطفها مع الاحزاب الشقيقة في بلدان اوربا الشرقية وحلفائها من القوى الديمقراطية، في النضال لصيانة ما تحقق من منجزات في عملية البناء الاشتراكي والتغلب على الثغرات والاختطاء التي تفتشت فيها وتجديد ذاتها، أكدت اللجنة المركزية حرصها على مواصلة التعاون والعمل المشترك معها، ومع الاحزاب والقوى الحريضة على ارساء الاوضاع على الاسس الديمقراطية وحقوق الانسان ودولة القانون والقيم الانسانية.

وأشار الاجتماع إلى اهمية الاستفادة من رياح التغيير التي تهب على العالم بأسره، والأخذ بنظر الاعتبار عناصرها الايجابية، في توطيد السلم والبدء بتصفية الاسلحة النووية، وحل النزاعات بالطرق السلمية، وتصفية انظمة الاستبداد والعسف، لتطوير

نضالات الحزب والقوى الوطنية في بلادنا وتشديد الحصار على الدكتاتورية، وانهاء حالة الحرب مع ايران بتطبيق قرار مجلس الامن المرقم ٥٩٨، وتثبيت خيار السلم وحل الخلافات بالطرق السلمية بين البلدين ووقف الارهاب الدموي ضد شعبنا العراقي وقواه واحزابه الوطنية، والحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي، وتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

ان اللجنة المركزية اذ تطرح موضوعاتها التجديدية على عموم الحزب، تعبر عن ثقتها بتحقيق نقلة نوعية على صعيد اشاعة الديمقراطية، وتنشيط صراع الآراء على اسس مبدئية والاسهام الفعال في انعاش الحياة الحزبية فكرياً وسياسياً، ونقلها إلى مستويات أكثر كفاءة وقدرة على النهوض بمسؤوليات الحزب الوطنية والقومية والأمية.

وترى اللجنة المركزية ان من شأن اشراك رفاق الحزب واصدقائه في عملية تجديده بالاسترشاد والاستفادة من التطورات العالمية، دون تماثل مغل أو افتعال التمايز، وتحسين ادوات الحزب وتعزيز طاقاته للاسهام بقسطه، في تعزيز نضال شعبنا، ان من شأن هذا تجاوز الصعوبات التي تعاني منها الحركة الوطنية العراقية، والوصول إلى اطر العمل المشترك الكفيلة باستنهاض قواها، وتنشيط دورها السياسي لتحقيق البديل الديمقراطي الذي ينشده شعبنا المناضل.

اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي العراقي

أواخر آذار/ ١٩٩٠



وثائق

للمناقشة

في سبيل: استنهاض قوى الشعب لتحقيق السلم والبدیل الديمقراطي

مضى عام على انعقاد الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب اوائل آذار ١٩٨٩، ولا تزال الاتجاهات العامة لتحليلاته والمهام التي اقرها، تشكل منطلقات سليمة وحيوية لاستيعاب ما استجد داخلياً وعربياً ودولياً، واجراء نقلة نوعية في كل جوانب حياة ونشاط وتوجهات الحزب واساليب عمله، مما يجعل من فهم هذا الجديد والتفاعل معه قوة اضافية في الكفاح لاختراق جدار الدكتاتورية، وتعبئة كل القوى لتحقيق البديل الديمقراطي.

ورغم سعي النظام وقادته للاستفادة من الاوضاع الجديدة، فان الطابع العميق لمجمل التغيرات التي نتجت عن التطورات العالمية، يسهم في تشديد الحصار على الدكتاتورية نفسها، سياسياً وفكرياً، ويضعف مقومات وجودها واستمرارها من الجذور. ان حزبنا يجتاز ظروفاً تتميز ببالغ الصعوبة والتعقيد، ويتصدى لحل مهام واسعة ومتشعبة تغطي مرحلة تاريخية طويلة قبل ولوج طريق الاشتراكية. وهو يحتاج لكي يرتقي إلى مستوى هذه المهام والتحديات الكبرى التي تطرحها المرحلة النضالية المتطورة، إلى مراجعة انتقادية شاملة وعميقة تتناول ميادين حياته ونشاطه وتوجهاته البرنامجية، وشعاراته واساليب عمله، وتستهدف تدقيقها وتصويبها، واغناءها وجعلها أقرب إلى تطلعات اعضائه وجماعه، وأكثر تحسناً واستجابة لنفض الحياة وروح العصر.

وهكذا يؤكد تصميمه على مقارعة الدكتاتورية وإقامة البديل الديمقراطي، يمتلك من الجرأة والشجاعة ما يؤهله لمعانية الاتجاهات الجديدة الناشئة في البلاد وترباطاتها العربية والدولية وانعكاساتها على نهجه السياسي، واساليب عمله، مما يتطلب تقييماً نقدياً وشاملاً. وهو واثق ان ذلك من شأنه بلورة المنطلقات الواقعية الفعالة لوثوبه إلى الامام، باستشراف آفاق المستقبل الذي لن يكون إلا ديمقراطياً.

ان اقرار حزبنا بالظروف الموضوعية التاريخية لعملية التجديد وطابعها الشمولي الخلاق، ينطوي على وعي المخاطر التي تحيط بها وتلازمها، وتناقضاتها، والعوامل التي تتحكم بمجرها، وتكبحها أو تغير وجهة جريانها، مما يستلزم التأكيد على قيم الاشتراكية وافضلياتها، والاسترشاد بالروح المبدعة والاسلوب الجدلي لمؤسسي الماركسية اللينينية، وتطويرهما واثرائهما باستمرار بمنجزات العلم وخبرة الحياة والحركة الثورية اذ لا يمكن تطوير مفاهيمنا حول الاشتراكية، وكامل المنظومة السياسية والفكرية والتنظيمية المرتبطة بها، إلا بهذا الاسترشاد بالعلم الماركسي ومضمونه الجدلي.

وفي هذا الاطار شرع المكتب السياسي للحزب منذ دورته في ايلول ١٩٨٩ باعادة تقييم وضع الحزب وحياته الداخلية على ارضية اشاعة اوسع ديمقراطية فيها بما يرفع دور الشوعيين في رسم سياسة الحزب وابداعهم في تطبيقها، وقدرتهم على تقويمها وتصويبها، وتعديل مسارها، ومتابعة عمل قيادة الحزب وانتخابها، وحجب الثقة عنها عند الضرورة، وتجديدها باستمرار.

وقد عمم المكتب السياسي خلاصة مناقشاته الاولى حول القضايا البرنامجية والسياسية وحياة الحزب الداخلية في مجرى عملية التجديد التي يستهدفها، تمهيداً لعقد المؤتمر الوطني الخامس للحزب.

وعلى الرغم من انعكاس موقف الحزب ازاء عملية التجديد الجارية في الاتحاد السوفيتي، بوجه عام، في تقريري الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية أيار ١٩٨٨ وآذار ١٩٨٩، ومعالجات المكتب السياسي منذ الاجتماع الأخير، فان الواقع الذي آلت اليه الاوضاع في بلدان اوربا الشرقية (الاشتراكية) والاشواط التي قطعتها البريستروكا (اعادة البناء) في الاتحاد السوفيتي، على مختلف الصعد والميادين، جعلت من الضروري تجاوز العموميات، والانتقال إلى التحديدات الملموسة لمفاهيم التجديد، خصوصاً فيما يتعلق بتفاعل الحزب مع جوهرها واستنتاجاتها الجديدة، والأخذ بنظر الاعتبار تأثيراتها المباشرة على الوضع في العراق، ومحيطه العربي والاقليمي.

ومن هذا المنطلق قدم المكتب السياسي إلى ل. م طائفة من القضايا والتساؤلات الفكرية والسياسية والتنظيمية للنقاش، وتبادل الرأي، استكمالاً للمنطلقات التي وردت في

تعييمه اواخر ايلول ١٩٨٩، نوقشت في اجتماع ل. م الاعتيادي الكامل، وقررتها ل. م بعد ان اجرت عليها جملة من التعديلات، وقررت طرحها للمناقشة الحزبية العامة.

أولاً:

العالم يتغير . . .

أدت التطورات المتسارعة في البلدان الاشتراكية، التي حفزتها البريسترويكا، إلى نشوء وضع نوعي جديد، شديد التعقيد والتشابك والتناقض في الحركة الشيوعية وفي العالم بأسره.

ورغم السطابع المتناقض للعمليات الجارية، من حيث مضامينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وابعادها الايديولوجية، وميادين تجليها، فإن جوهرها الديمقراطي، المناهض لكل أشكال العنف والتسلط، وانتهاك حقوق الانسان ومصادر ابداعه، يكسبها قوة المثل، ويحولها إلى طاقة تغييرية، وإداة ثورية للنضال ضد الدكتاتورية والطغيان.

فالتقييم الديمقراطي والانسانية العامة اكتسبت ابعادها الشعبية الواسعة على الصعيد العالمي بفضل المبادرة التجديدية التي اطلقها الحزب الشيوعي السوفييتي لاطهار الجوهر الديمقراطي الانساني العميق للاشتراكية الذي شوهته وطمسته الممارسات الستالينية الاستبدادية، الامرية، العقائدية الجامدة، وعبادة الفرد، ومراحل الركود.

وفي هذه العملية التي تنطوي على مراجعة نقدية عميقة في النظرية والتطبيق تتجسد الجرأة وروح الاقدام والاستعداد لتحمل المسؤولية عن الاخطاء والاختفاقات ومواصلة العمل للخروج من الازمة بالاعتماد على طاقات الشعب المبدعة وروحه الخلاقة، واراوته الحرة.

وكان لابد لهذه التطورات، واتجاهها العام، وما رافقها من مناخ سياسي وفكري، ان تنعكس على الاوضاع الملموسة لكل حزب، وبلد، وفي سائر الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية، وتتفاعل معها.

وقد نشأ مثل هذا الوضع على صعيد حزبنا وبلادنا وحركتنا الوطنية بمجموعها، وان لم تتوضح معالمه بعد، بالعمق الذي يساعد على تحديد ابعاده، ومظاهره البارزة، وتأثيراته اللاحقة.

وتزامنت هذه التحولات مع الأوضاع التي تكونت بعد إيقاف القتال في الحرب العراقية - الإيرانية، وانفراد السلطة بالحركة الوطنية، وتفرغها مناطق كردستان من حركة الانصار بقوة الاسلحة الكيماوية، التي استخدمتها، والارهاب الشامل الذي يسود البلاد كلها.

ان الأوضاع الناشئة عن عمليات التجديد، وانعكاساتها في اوربا الشرقية، تتسم بطابع مصري، ومجرى انعطافي حاد في سائر الميادين لم يسبق له مثيل في حركتنا الشيوعية، ومسيرة البناء الاشتراكي، منذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى.

ومع ان التطورات العاصفة التي حدثت في هذه البلدان لم تهدأ بعد، وشنت التناقض والصراع بين قواها المكونة وتختلط الاوراق والمفاهيم والشعارات في مجراها المحتدم، إلا ان ما هو اساسي فيها، حتى الآن، يؤشر إلى نشوء توازن هش للقوى لا يبدو انه يتحرك لصالح الاحزاب الشيوعية، في المدى القريب، واحياناً كثيرة، حتى لغير صالح القوى المناضلة لمواصلة مسيرة البناء الاشتراكي، وتجديده، وإزالة كل ما علق به من تشويهات ونواقص، وانتهاكات فظة جراء النهج الستاليني والركود.

وينجم عن هذا الوضع كله مراجعة انتقادية شاملة لكل المبادئ والمسلّمات والمفاهيم، بما في ذلك مفهوم الاشتراكية نفسها، وسبل بنائها، وشروطها، وبنية الحزب الشيوعي، ونظريته، ودوره، وأولويات اهداف الانسانية، ومفاهيم الديمقراطية الاشتراكية، والتعددية في المجتمع والحزب، وبكلمة موجزة، كل القضايا الايديولوجية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية التي كانت تشكل نسيج حركتنا الشيوعية والحزب بالمفهوم اللينيني.

ومن باب أولى، فإن هذه المراجعة النظرية - العملية الشمولية تطال التوجهات البرنامجية للاحزاب الشيوعية والعمالية في بلداننا العربية، في إطار ما يماثلها من البلدان النامية في العالم الثالث. ويشمل هذا طبيعة المرحلة، وقواها المحركة، وتحالفاتها، واهدافها، وحدى برنامجها، الأدنى، وأفقها الستراتيجي، وكذلك اساليب ووسائل الكفاح المحتمدة في كل مرحلة.

ولابد ان نقر بجرأة ان مصائر حركتنا، باشكالها واساليبها وآلياتها الراهنة كلها، مطروحة للنقاش في هذا الاطار النظري والعملي، مما يتطلب اسهاماً فكرياً وسياسياً جريئاً ونشطاً لانتقالها من الازمة التي تعاني منها، وتجديدها، واستنهاض قواها بالاستناد إلى منجزات العلم وخبرة الحياة والحركة الثورية وبالاسترشاد بالماركسية اللينينية.

ان العالم يتغير من حولنا، مستثيراً الآمال والمخاوف، ومفتتحاً الطريق دونما مسلمات أو ضوابط على كل الاحتمالات، بما في ذلك الانكفاء المؤقت، وتعذر احتواء

نشائج الازمة المتفاقمة في (البلدان الاشتراكية) وانعكاساتها السلبية على مصائر حركتنا ومسيرتها التاريخية، على المدى المنظور.

فالتحولات العاصفة هزت بلدان اوربا الشرقية والبنى القائمة فيها، واطلقت القوى الاجتماعية، على اختلاف تياراتها ونوازعها، واصولها الطبقية، متسلحة باساليب وافكار وشعارات غير مألوفة، وهي تتدافع في مجرى واحد شديد التناقض، لتعصف بما هو قائم، دون تمييز، لصالح بديل غير واضح المعالم، تتنازعه شتى الاهداء والاهداف والمصالح، والقوى، مما يطرح على بساط البحث، عملياً، مصائر هذه البلدان.

والامر الواقع، المرير، الذي يتشكل اليوم على خلفية هذه الاحداث، هو ان «المنظومة الاشتراكية» وما يرافقه من مفاهيم واطر وعلاقات، اقصيت عنها عملياً غالبية بلدان اوربا الشرقية، بعد ان انتقلت السلطة فيها إلى احزاب ليست اشتراكية على أية حال، أو انها، في افضل نماذجها، احزاب اشتراكية ديمقراطية، ويجري التوجه فيها لاتخاذ تدابير ذات طابع بنوي، وبالعودة إلى آلية السوق الرأسمالية وعلاقاتها.

وفي مثل هذه الاجواء يكون الانغلاق، أو مقاومة التجديد، أو التخلف عن المبادرة بالغ الخطورة، ومحكوماً بالفشل واحتمالات السقوط في متاهات فكرية وسياسية.

وقد أدت الاوهام والتصرفات الكيفية الساذجة لـ «صد» رياح التجديد، إلى تداعيات وهزائم سياسية، تاريخية، حتى في (بلدان اشتراكية) مدججة بالقوة والخبرة والكثير من المنجزات.

وقد شرع العديد من الاحزاب، محكومة بظروفها الخاصة، في تقييم تاريخها ومواقعها الفكرية والسياسية، واطرها التنظيمية، ومآلها كجزء من الحركة الشيوعية.

ثانياً:

مفهوم التجديد ومحاورة الاساسية . . .

تجاوزت عملية التجديد واعادة البناء (البريسترويكا) في الاتحاد السوفيتي منطلقاتها الاولى، وتحولت، عبر خطوات متدرجة، إلى مراجعة نوعية، جذرية وحاسمة. ومع انتقال رياحها إلى البلدان الاشتراكية في اوربا الشرقية، اكتسبت في عدد من هذه البلدان مضموناً آخر تماماً وشكلت خروجاً عن سياق التجديد بمفهومه الاشتراكي الذي انطلق من شعار «مزيد من الديمقراطية مزيد من الاشتراكية»، فتوجهت للانقطاع عن

الماضي (كنظام اجتماعي - اقتصادي اشتراكي) وليس كنموذج شوته عهد عبادة الفرد، والركود.

وهكذا ينبغي التمييز بين عمليات التجديد، من حيث منطلقاتها الاساسية (الاشتراكية) التي دشنها اجتماع نيسان ١٩٨٥ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وطورها المؤتمر السابع والعشرون للحزب، وعمقها الكونغرس الحزبي التاسع عشر في تموز ١٩٨٨، واتخذت ابعادها الشمولية الواسعة فيما بعد، وهي لا تزال تتحرك باتجاهات متعددة ومتناقضة، وبين انعكاساتها في بلدان اوربا الشرقية التي تتخذ لها مساراً آخر (خارج الاشتراكية)، أو خارج المفهوم السائد للاشتراكية. وهي في بعض الاحوال تعبر عن رفضها للشيوعية ولاحزابها وقيمتها ومفاهيمها، وتسعى لدفع هذه الاحزاب إلى هامش الحياة السياسية، وبعيداً عن مركز القرار السياسي الحاسم.

كما ان مفاهيم التجديد: (البريسترويكا) والعلنية (الغلاسنوست)، والتفكير السياسي الجديد، قد اكتسبت ابعاداً أعمق وأوسع في الحزب الشيوعي السوفيتي نفسه. فبينما بوشر في بلدان اوربا الشرقية (بولونيا، هنغاريا، جيوكوسلوفاكيا، المانيا الديمقراطية، رومانيا) بالتوجه، أو إعلان النية للتوجه، بعيداً عن الخيار الاشتراكي، يستمر الصراع في الحزب الشيوعي السوفيتي بين مختلف الاجنحة في الحزب، وتتفجر التناقضات داخل المجتمع بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية المتضاربة حول مضمون مفهوم التجديد والاصلاح والعلنية.

ومع ذلك فان الكثير من المفاهيم والتصورات والتوجهات قد حسمت وتشق طريقها إلى وعي الناس، وتتحول إلى قوانين ومراسيم دستورية.

هناك بدايات أولية لصياغة مفهوم جديد عن الاشتراكية يجمع مفهوم ماركس ولينين مقروناً بالخبرة العملية والعلمية العالمية المعاصرة، باعتبار الاشتراكية جزءاً عضوياً من الحضارة العالمية المعاصرة. وينطلق هذا المفهوم من الاعتراف بأولوية القيم الانسانية العامة. ويقرب بأن العالم المعاصر المتناقض. انما هو وحدة مترابطة الأجزاء، وهذا الترابط في نموه مستمر، والانسان وتطوره الشامل، ذهنياً وأخلاقياً ودينياً، هدف الاشتراكية ومحورها.

وفي هذا السياق تجري العودة لمؤسسي الماركسية لتحطيم البنى الفكرية التبريرية الدوغمائية الملازمة للبنى القديمة، وتنقية النظرية من الوظيفة الايديولوجية الاعلامية المحرفة التي أسندت إليها لتبرير الاخطاء والاوهام والتشويهات.

ويجري على الصعيد الاقتصادي تغيير علاقات الملكية (ديمقراطية المنتجين في المؤسسات العامة واشكال المقاومة والتأجير والملكية الخاصة)، والاعتراف بضرورة

العلاقات السلمية - النقدية، وإقامة علاقات إنتاج تزيل اغتراب المنتج وانفصاله عن وسائل الانتاج، والانتقال إلى ايجاد آلية سوق جديدة ترتبط بالتخطيط وتعزيز روح المنافسة والمبادرة، واجتثاث نزعة الاحتكار والفتوية والاناية التي تأصلت في المؤسسات، وإعادة الاعتبار للفهم اللينيني لدور التعاونيات في عملية البناء الاشتراكي، ونشر وتطوير مختلف اشكال تنظيم الانتاج الجماعي. ويشد الصراع في هذا الاطار حول أسس آلية السوق ومدياتها.

ان تغيير نظرتنا بأسرها إلى الاشتراكية يتطلب، وفقاً لمنظري البريسترويكا، ادراك الاتجاه الذي فكر فيه لينين، قبيل وفاته، كمحور لهذا التغيير، حيث انتهى إلى وضع التصورات والمنطلقات الاولى لهذا التغيير.

ويتحقق التحول النوعي العميق في مجال الاصلاح السياسي، الذي شمل الدولة والمجتمع والحزب، ولا تزال تفاعلاته تترك آثارها في سائر مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية، ويشد الصراع حول مضامين هذا الاصلاح ووجهة تطوره.

وتعاد صياغة وتطوير المفهوم اللينيني للعلاقات بين القوميات. ويلقى الانبعاث القومي التحفيز والتشجيع من سياسة التجديد، وتوضع اسس دستورية جديدة للاتحاد تتمتع بموجها الجمهوريات باوسع الصلاحيات والحقوق.

وفي هذا الميدان الخطر من ميادين الاصلاح السياسي، وبسبب من اخطاء الماضي صارت تنفجر صراعات قومية دامية، وتتصاعد المطالب الانفصالية، وتتفش الشوفينية والتعصب القومي الاعمى. ويتجسد الاتجاه العام للتطور في هذا الميدان، في نهوض الشعوب والقوميات، واستيقاظها من سبات الركود، حيث تبقى الابواب مشرعة على كل الاحتمالات.

وترتبط هذه التغييرات البنيوية بالحزب مباشرة، بدوره وعلاقاته وحياته الداخلية، وتوجهاته البرنامجية، ومكانته في المجتمع والدولة.

ان التفكير السياسي الجديد، الذي يعكس نهج البريسترويكا في ميدان العلاقات الدولية، أرسى اسس تغييرات ايجابية. وجعل من الممكن تعزيز الميل العالمي للانتقال من المجابهة العسكرية، والتوتر، وسباق التسلح، إلى التعاون و«المصالحة» ونزع السلاح واخماد بؤر التوتر، وتوازن المصالح، لتجنب الكارثة النووية، وتغليب القيم الانسانية العامة، وحقوق الانسان والديمقراطية والاهتمام بالبيئة وتصفية البديونية، ودعم حق الشعوب في اختيار طريق تطورها المستقل. وفي مقابل ثنائية السوق الرأسمالي - الاشتراكي تطرح وحدانية السوق العالمي، والتوجه نحو البيت الاوربي المشترك.

وكما اثارت البريسترويكا الآمال والمخاوف لدى اصدقاء الاتحاد السوفيتي اثارت لدى خصومه آمالاً ومخاوف من نوع آخر، ومنطلقات أخرى. فالدوائر الامبريالية الرجعية في الغرب والصهيونية العالمية، التي وقفت منذ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، ضد الثورة، وضد توجهاتها لبناء عالم جديد تتحرر فيه الشعوب من نير الاضطهاد القومي والاستغلال الطبقي، وتعيش في ظل السلم والطمأنينة والتقدم، لجأت هذه الدوائر، إلى التدخل العسكري والحصار الاقتصادي والمؤامرات الدنيئة وصولاً إلى العدوان الفاشي الغادر أيام الحرب العالمية الثانية، وشن الحرب الباردة وسباق التسلح والتهديد النووي بعدها.

ان هذه الدوائر لم تقف مكتوفة الايدي تجاه عملية البريسترويكا بل سعت وتسعى لاحباطها وحرقها عن مسارها الصحيح وافراغها من جوهرها المتمثل بتخليص الاشتراكية من التشويهات التي لحقت بها، وابراز وجهها الانساني. وعملت على الاستفادة من الاجواء التي اتاحتها البريسترويكا، بالذات، لاثارة الصعوبات والمشاكل والزاعات داخل الاتحاد السوفيتي وسائر دول (المنظومة الاشتراكية) على كل الاصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية والعلاقات بين القوميات والدول مستخدمة في ذلك اجهزتها الدعائية الضخمة ومخابراتها وقدراتها الاقتصادية.

ان الآثار المدوية للتغيرات التي اطلقتها البريسترويكا، على كل الاصعدة الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والنفسية، والتناقضات التي تفاقمها، لا تزال، بحكم استمرارها، وفجائيتها وقوة صدماتها، والكثير من تجلياتها ونتائجها السلبية، خصوصاً على صعيد مصائر اوربا الشرقية، تثير التشوش والبلبله والاحباط على نطاق واسع، ومعها يتسرب القلق إلى اوساط كثيرة في الحركة الثورية مما يدفعها إلى التراجع والتخلي عن مواقعها السياسية والفكرية، وذلك بسبب الطابع المتناقض لهذه العملية.

ولكن منطلقاتها الجهورية، للارتقاء بالاشتراكية ومثلها وقيمتها وفعاليتها، تستثير الآمال أيضاً، حيث تهب رياحها في اتجاه تجديد حركتنا واحزابنا.

جوهر التجديد - الديمقراطية، التعددية، وحقوق الانسان، ودولة القانون، ادارة المنتجين للانتاج المادي والفكري، تنوع اشكال الملكية، دمج التخطيط بآليات السوق

ان العناصر المذكورة في هذا العنوان هي مكونات واجزاء من كل واحد تنتمي لمجتمع يتوجه لبناء الاشتراكية في طور محدد من تطوره الذاتي ومن تطور محيطه العالمي . واذ كان المضمون الاقتصادي - الاجتماعي لهذا البناء يمس مفهوم الاشتراكية في التطبيق ويتطلب اعادة نظر من وجهة نظرية، فان المضمون الديمقراطي - السياسي يمسنا مباشرة مادامنا نواجه مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، أي يمسنا ليس فقط نظرياً، وانما عملياً، وليس فقط عملياً بوجه عام، بل عملياً بصورة آنية ومباشرة . لذلك نركز الحديث على هذا الجانب بالتفصيل، دون الجوانب الأخرى .

لقد استعادت الديمقراطية، بفضل البريسترويك، مكانتها كقيمة انسانية شمولية . واصبحت رمزاً لكل ما هو تقدمي وثوري، وشرطاً ملازماً لأي تقدم وعدالة، ويستحيل بدونها تحقيق تطلع الانسانية الاشتراكية أو أي مجتمع ينشد تحرر الانسان وسعادته . ويسود عالمنا اليوم مناخ صحوة ديمقراطية انسانية شاملة . ويستنهض النضال في سبيل الديمقراطية، وحقوق الانسان قوى شعبية لا مرد لارادتها في انحاء مختلفة من العالم، بما في ذلك العديد من البلدان العربية .

ولم تعد الديمقراطية مفهوماً عاماً مجرداً، قابلاً للتجزئة أو التفسير الكيفي، بل اصبحت بنية سياسية ملموسة تجدد تعبيراتها في دولة القانون الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، والحياة البرلمانية، والانتخابات الحرة المباشرة، وحریات التنظيم والصحافة والاحزاب، وكل ما يلغي اغتراب الانسان عن السلطة في المجتمع المتوجه اشتراكياً، وكل ما يلغي حرية الانسان في المجتمع الرأسمالي .

ورغم الطابع المتناقض لهذا النضال، الذي أمتد ليشمل البلدان الاشتراكية كلها، تقريباً، من حيث مضامينه الاجتماعية - الاقتصادية، وإبعاده الايديولوجية، وميادين تحليله، فان جوهره المناهض لكل أشكال العسف والتسلط وانتهاك حقوق الانسان، يكسبه قوة المثل لكل الشعوب المتبلة بالديكتاتورية والطغيان .

لقد اكتسبت معارك النضال في سبيل الديمقراطية ابعادها الشعبية الواسعة على

الصعيد العالمي، بفضل المبادرة التجديدية التي اطلقها الحزب الشيوعي السوفيتي، لأظهار الجوهر الديمقراطي الانساني العميق للاشتراكية، التي شوحتها وطمست معالمها الممارسات الاستبدادية، وعبادة الفرد، والجمود العقائدي.

ان التغيرات العاصفة، والتحولات الديمقراطية العميقة، التي شهدتها العالم، تعزز، موضوعياً مواقع القوى والشعوب المناضلة في سبيل التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، وتسهم في تشديد الحصار على انظمة الحكم الدكتاتورية والعنصرية والفاشية، التي تشكل هي نفسها بؤراً للتوتر والانفجارات والعدوان والحروب المحلية والاقليمية، كما في جنوب افريقيا واسرائيل والسلفادور والعراق، وغيرها من انظمة التسلط والقمع ومصادرة الحريات.

ومهما اتخذت هذه الانظمة من اجراءات وتدابير احترازية، فانها لا يمكن ان تبقي بمنأى عن تأثيرات التغيرات والاتجاهات الايجابية التي يشهدها العالم، اذ يترسخ مفهوم ترابط العالم وتزايد الاعتماد المتبادل بين شعوبه.

وقد بانّت بواكير هذا التأثير، الذي تفاعل مع العوامل الموضوعية الداخلية، في اعادة ترتيب اللوحة السياسية في عالمنا العربي، وحرز خطوات غير قليلة للانتقال إلى الحياة الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، في كل من تونس والجزائر والاردن وشرطي اليمن. وتحتاج المظاهرات الجماهيرية الكويت لاستعادة الحياة البرلمانية الملغاة فيها. وتضج تحت سطح الحياة السياسية الراكدة، في غالبية البلدان العربية الأخرى، بواذر وامكانات نهضة شعبية ديمقراطية واعدة.

وتلعب التطورات التي شهدتها البلدان الاشتراكية (اوربا الشرقية) دوراً محفزاً باتجاه الديمقراطية وحقوق الانسان، وفضح الصيغ الاستبدادية والأسرية، وانظمة الحزب الواحد، وكل الشعارات وانماط الحكم واطر التطور الاقتصادي الاجتماعي التي تبرر مصادرة الحريات والحقوق الديمقراطية (رغم ان خصوصاً الفكريين يحاولون جاهدين استخلاص استنتاجات معاكسة تقول بان الماركسية فشلت، وان خصوصيتهم الاستبدادية «نجحت»، مما يتطلب صراعاً فكرياً لتعميق الدلالات الحقيقية للتحول نحو التعددية في العالم).

ومع ان التغيرات العميقة الناجمة عن التطورات المستمرة في هذه البلدان، تطرح تساؤلات جدية حول وجهة «التطور الاشتراكي» فيها، وتستثير نقاشاً واسعاً حول طائفة من المفاهيم والقيم والاحداث التاريخية، وتفسح المجال أمام شتى التأويلات الفكرية بشأن دور الاحزاب الشيوعية وواقعية البناء الاشتراكي وغيرها من القضايا العقدية، فان جوهر هذه التغيرات يشكل رافعة قوية لشعوبنا المناضلة في سبيل الديمقراطية والسلم والعدالة

الاجتماعية، ويزيل الاوهام الفكرية والسياسية وتجلياتها التنظيمية، التي لعبت دور الكابح والمشوّه للاشتراكية والنضال في سبيلها، واضعفت هبة قواها، وتثير الحيرة والالتباس والاحباط بين صفوف الطامحين لتحقيق العدالة الاجتماعية.

وبطبيعة الحال، فان الطابع المأزوم للتغير في كل من المجر والمانيا الديمقراطية وجيكوسلوفاكيا وبولونيا، وطابع الاخفاق والانهيار الدامي كما في رومانيا والتأزم الدامي في الصين، بالإضافة إلى الانفجارات القومية والعمليات المعقدة الجارية في الاتحاد السوفيتي، تخلق مناخاً ملائماً تسعى الاوساط المعادية للاشتراكية والتقدم على الصعيد العالمي، والانظمة والحاكمين المستبدين في بلداننا العربية، لاستغلاله ضد القوى الثورية الطامحة للتغيير وفي مقدمتها الاحزاب الشيوعية.

ولكن هذا المناخ سرعان ما يبدد هذه الأهم، وخصوصاً في «اطراف» العالم، حيث يشتد الصراع حول شعارات ومضامين برامج الحد الأدنى للاحزاب: الخبز، الحرية، الديمقراطية، وحقوق الانسان (اضافة إلى وقف نهب ثرواتنا، واسترجاع اراضيها المحتلة).

وتظل الاشتراكية في هذا الصراع تحمل تطلعات هذه القوى وامانيها التاريخية في نفس الوقت الذي تتوالى فيه مآسي الرأسمالية وشروطها المتمثلة بالاستبداد والتسلط والاكراه، التي تعيش في ظلها شعوب هذه البلدان.

رابعاً:

موقع حزبنا وحركتنا الشيوعية من عمليات التجديد الشاملة

يحاول حزبنا انطلاقاً من واقعه الملموس ان يتمثل جوهر التجديد، واتجاهاته الرئيسية، في معرض تحديد المؤشرات الاساسية للصيغة الجديدة لبرنامج الحزب ونظامه الداخلي، وتدقيق سياسته العامة، وتأكيده على ضرورة تأثرها وتجاوبها مع هذه العمليات لصالح ابراز قيم الاشتراكية وافضلياتها ومضامينها الديمقراطية العميقة، على ان تتناول وجهة التأثير والتجاوب ما هو جوهري من هذه العملية الموضوعية، وما ينسجم فيها مع الخصوصية والظروف الملموسة في بلادنا وحزبنا وحركتنا الثورية، والتأكيد على الترابط الدياكتيكي بين الخصوصية والوطنية وخبرة الحركة الثورية في مجرى تطبيقات جوانبها المختلفة، سواء في (البلدان الاشتراكية) أو تجارب الاحزاب الشيوعية والعمالية والحركات

التحررية، وبشكل خاص مناطق حركة التحرر الوطني، وعموم بلدان العالم الثالث، ويضمنها عالمنا العربي، على ان يجري تجنب الاستنساخ وافتعال التمايز، ورفض التفاعل لدى تحديد ملامح حركتنا ووجهة التجديد في الحزب، من موقع التمسك بالمواقع وكان شيئاً لم يحدث.

وتكتسب هذه الموضوعية الاساسية اهميتها الاستثنائية من رواج الاتجاهات والميول التصنوفية والعدمية التي تغذى على مزاعم فشل الاشتراكية وتراجعا كخيار انساني لم ينجح في تأكيد ذاته.

كما ان الضغوط الفكرية والسياسية التي تفاقمت بالارتباط مع الاخفاقات والتغيرات السلبية في بلدان اوربا الشرقية، والانفجارات الاثنية والقومية، والعديد من المظاهر الاخرى في الاتحاد السوفيتي تؤدي إلى تغييب جوهر الاشتراكية ومنجزاتها، وتحول، في مجرى نقد الماضي وابرار تشويهات ومآسي حقبة عبادة الفرد والركود، إلى هجوم شامل على الاشتراكية، وانتعاش للميول الفكرية والسياسية والتنظيمية التصنوفية.

ان الطابع الموضوعي للتجديد في مسيرة البناء الاشتراكي يجعل امتداده إلى الحركة الشيوعية، برمتها، عملية طبيعية. ولكن التفاعل في إطارها يتخذ مظاهر في غاية التنوع والتباين، تبعاً لاختلاف الظروف والاوضاع والتراكمات والمهام الملموسة.

ان الاتجاه السائد في بلدان اوربا الشرقية في مجرى التجديد يتجسد في الانحسار والانكفاء بل والهزيمة السياسية، حتى وان كانت مؤقتة بالمقاييس التاريخية، التي برزت في عدد من هذه البلدان، والتي عبرت عن نفسها في اجبار الاحزاب الشيوعية والعمالية الحاكمة على الانسحاب خارج الحكم (مثال رومانيا، المجر والمانيا د.)، أو الانتقال إلى مواقع الدفاع المحض، والاقرار بالادانة، والتشارك في الحكم (بولونيا، جيكوسلوفاكيا).

وعلى نتائج هذا الصراع الذي يخوضه الشيوعيون وانصار الاشتراكية لمحاصرة هذا الاتجاه، وارتباطاً بمصائر التغيير في الاتحاد السوفيتي ووجهة تفاعل فصائل الحركة الشيوعية العالمية، يتوقف تحديد الاطار الذي ستتشكل فيه الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، وحدود التغييرات التي ستتحقق في فصائلها.

لقد تعرضت مصداقية قيادات الاحزاب الشيوعية والعمالية الحاكمة في بلدان اوربا الشرقية لامتحان صعب، نتيجة نهجها البيروقراطي وتسلطها وممارساتها الاستبدادية، وعزلتها عن قواعد الحزب والشعب، وفشل نموذجها «الاشتراكي»، وتداخل العوامل الذاتية مع الخلفية التاريخية الموضوعية، والعديد من الاسباب التي أدت إلى نشوء الازمة الحادة التي انفجرت في هذه البلدان، وتضطر احزابها الشيوعية، بحكم هذه العوامل كلها، إلى إعادة النظر جذرياً بأوضاعها وبنيتها وأسسها البرنامجية وشعاراتها، بل واتخاذ

اقصى التدابير، بما في ذلك التخلي عن اسمائها وتكييف هويتها الفكرية والسياسية، للتبرؤ من سلبيات ماضيها المدانة.

وفي اجواء الضغوط السياسية والاحباطات التي تولدها الهبات الجماهيرية الواسعة، وانهيار القيادات الحزبية والحكومية، وتحت تأثير التيارات التصفوية، تضطر بعض هذه الاحزاب للتخلي كلياً عن مواقعها الفكرية والسياسية والتنظيمية.

وهذا الوضع الخطير الذي تشكلت ملامحه، بسرعة غير متوقعة فاجأت العالم بأسره، ترك بصماته سريعاً على اوساط واسعة في الاحزاب الشيوعية والحركات الثورية، التي باتت تشعر بثقل هذه الهزائم على اوضاعها النضالية، وتبحث عن خلاصها من تبعات الادانة الفكرية والسياسية، ويمنح عدد منها لتغيير اسمه أو التفكير بتعديل هويته الفكرية محاكياً بذلك الاحزاب الحاكمة، التي لا تجد أمامها احياناً غير تجديد نفسها كلياً.

ان تراجع الاحزاب الشيوعية الحاكمة ترتبط اساساً بتعثر مسيرة البناء الاشتراكي وتغييب الديمقراطية، وعبادة الفرد والركود وغيرها من المظاهر السلبية بالاضافة إلى تأثيرات بعض الاتجاهات السلبية في عملية البريسترويكا. وقد أدى الانغلاق، والتأخر في معالجة الخلل، بل ومقاومة التغيير، إلى تراكمات خطيرة.

ان المنطلقات الاساسية للبريسترويكا في الاتحاد السوفيتي، وامتداداتها في (البلدان الاشتراكية)، وبغض النظر عن نتائجها العملية المباشرة، انما تستهدف معالجة الخلل البنيوي، واعادة صياغة مفهوم الاشتراكية نظرياً وعملياً والتخلص من عواقب الانماط الاستبدادية والبيروقراطية، والارتقاء بالاشتراكية، ونماذجها التطبيقية المتبدلة، بتبدل مراحل التطور، إلى مستوى الطموح والمثل الملهم.

ولهذا ترتبط مصائر البناء الاشتراكي في بلدان اوربا الشرقية، وقدرة احزابها على استعادة مواقعها الطليعية، بمدى النجاحات التي تتحقق على صعيد معافاة اوضاع هذه الاحزاب، ومصائر عملية التغيير في الاتحاد السوفيتي، والبرهنة على طاقة الاشتراكية في تجاوز الازمة الراهنة، وابداد الآليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لتقديم البدائل والحلول العملية للنهوض مجدداً.

ومثل هذه العملية مديدة، وتكتنفها التناقضات والصراعات البالغة الحدة.

ولا بد من الانطلاق في التعامل مع الاوضاع المستجدة في (البلدان الاشتراكية) على أساس اللوحة السياسية التي تتبادل فيها المواقع قوى متباعدة تتجاذب البلاد نحو خيارات مفتوحة على تجاوز الخيار الاشتراكي.

وفي هذه اللوحة، ستنبارى احزاب وقوى من مواقع الاشتراكية أيضاً. وهذا الواقع الجديد المتحرك يتطلب نظرات ومواقف عملية ملموسة من جانب حزبنا باتجاه الانفتاح

على هذه القوى وإقامة الصلات والتفاعل السياسي والفكري معها، نظراً لامتداد تأثيراتها إلى مختلف جوانب نشاط حزبنا وحركتنا الشيوعية.

ان جوهر الاصلاحات يتمثل في ابراز الوجه الانساني الديمقراطي العميق للاشتراكية وافضلياتها. ومهما اكتسب من قوة معنوية بين اوساط الشيوعيين وجماهيرهم والقوى التقدمية، فان تقديم هذا الوجه المضيء على خلفية اداة الماضي بكل مكوناته، وتحطيم البنى القائمة، على ايدي الحركة الجماهيرية، واستمرار التداعيات السياسية والمراجعات النظرية ذات الطابع البنيوي، الشمولي، يجعل من العسير إظهار مضامين الاصلاحات الايجابية في مدى قريب. وهذا الواقع المرير يشدد الميل إلى ابراز التماثل بين جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية، وتحميلها مسؤولية ما يجري، وتوسيع الضيق لدفعها إلى الاستسلام السياسي والفكري، والغاء التمايز بينها، من حيث المواقع والمهام والمسؤولية.

فالاحزاب الشيوعية والعمالية المناضلة في مناطق حركة التحرر كانت، طوال تاريخها، ضحية الاضطهاد والقمع والانظمة الدكتاتورية والاستبدادية، وصفحات هذا التاريخ تزخر البطولات والتضحيات دفاعاً عن شعوبها واستقلال بلادها. وتتصدى برامجها لمعالجة المهام الوطنية والديمقراطية المباشرة: انجاز وصيانة الاستقلال الوطني، اطلاق الحريات الديمقراطية ودفع البلاد إلى طريق التطور الاجتماعي والاقتصادي التقدمي. وقد ارتبطت اسماء هذه الاحزاب وشعاراتها ونضالاتها بهذه المهام والاهداف.

ان هذا التمايز العميق لا يعني تنصل هذه الاحزاب عن المنطلقات الايديولوجية والسياسية، والمسيرة التاريخية، بجوانبها الايجابية والسلبية، للاشتراكية العالمية. ولكن أهميته تكمن في كونه يؤثر لاتجاهات معالجاتها لعواقب الازمة عليها، ومقاومة المحاولات التي ترمي إلى محاصرتها، واظهار عجزها عن مواصلة النضال دون التخلي عن هويتها واهدافها الاستراتيجية.

ان حزبنا مدعو للتأثر والتجاوب والتفاعل العميق والشامل مع حركة التجديد، لا بدافع محاكاة ما يجري في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاخرى، بل للارتقاء بنشاطه إلى مستوى المهام التي يطرحها الصراع في بلادنا، والتغيرات التي تشهدها حركتنا الشيوعية والعالم بأسره. والحزب، بكل جوانبه، موضوع هذا التجديد.

ولكي يتجنب التجديد عندنا نزعة الافتعال والتماثل الاستعراضي القسري، لا بد له من ان ينطلق من تقييم الاتجاه العام لتجربة الحزب التاريخية، والحقائق الواقعية التي يستند اليها في سياسته وتوجهاته ونشاطاته الراهنة، ومن مناخه السياسي والفكري والتنظيمي الخاص.

ان نشوء الحزب وتطوره، في إطار علمية صيرورة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، جمعاً منه امتداداً حياً لهذه الحركة، يتأثر بها ويتشكل نسجته من مضامينها واشكال حركتها. ولا يمكن فصل محتوى المؤشرات التاريخية الرئيسية لكل من الحزب والحركة. وان تغلب روح المسايمة للبلدان الاشتراكية على الحزب بدلاً من التفاعل الثوري، واحتكامه إلى المنطلقات العقائدية الجامدة، وضعفه الايديولوجي، وممارسته الوحيدة الجانِب لمفاهيم الامية ووحدة الحركة الشيوعية، أي الركون إلى التلقي السياسي والفكري، وقيامه بدور المروج دون تحفظ لنماذج الانظمة الاشتراكية القائمة، وتزكية ممارساتها وسياساتها، قد الحق اضراراً بالغة عانيتنا ونعاني منها الآن. ولقد لعب تشوه التكوين الطبقي للمجتمع العراقي وتجلياته الاقتصادية والسياسية والفكرية وانعكاسه على تركيب الحزب دوراً في تشديد هذه الاضرار، فضلاً عن دور الارهاب الدموي الذي عانى منه الحزب كثيراً، وافقده كوكبة وراء كوكبة من المع قادة وكوادره واعضائه وأوفى اصدقائه منذ تأسيسه حتى اليوم.

وكانت هذه الظاهرة المرضية التي الحقّت الاضرار بالحزب، سمة مشتركة لغالبية فصائل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، مع اختلاف في درجة وحدة التماثل تبعاً لتطور المجتمع المعني ولموقع كل فصيل ومكانته، ومثانته الفكرية، ودوره في الحياة السياسية. ان تشخيص هذا التشوه والمنطلقات الفكرية والسياسية الخاطئة المرتبطة به وانعكاسها على بنية الحزب واساليب عمله وسائر ميادين نشاطاته ضرورة لازمة لتحديد مؤشرات التجديد، وحلقاته المترابطة وارسائه على اسس تضمن له الاستمرارية والتوارث، وتجنبه الانقطاع العدمي الذي يتبدى بصورة قفزة في الفراغ أو هروب إلى الامام تشجع عليها الاجواء السلبية التي تسود الحركة في الظروف المراهنة.

لقد عانى حزبنا بسبب من ظروف نشأته واجواء الحركة الشيوعية العالمية وجملة العوامل التي اتينا على ذكرها سابقاً، من ضعف شديد في تطبيق الديمقراطية، (كانتجاه عام، وكعضامين اساسية) في حياة الحزب. وتجلّى ذلك في طرق صياغة سياسات الحزب وتوجهاته البرنامجية، أو تطبيقاتها، أو في اسس بناء تشكيلاته التنظيمية وصلاحياتها، وفي اساليب تربية الكادر ومعايير اصطفائه واصطفافات الهيئات القيادية، والمفاهيم المرتبطة بالعمل القيادي عموماً. وخضعت ترتيبات الوضع القيادي في احيان كثيرة لاسس ومفاهيم نخوية بعيدة عن الديمقراطية.

وبدلاً من اخضاع الظروف النضالية ومكوناتها لتحليل مستمر، واستنباط الاساليب والوسائل الجديدة دوماً، التي تمكن الشيوعيين من ممارسة دورهم واستفائهم، في ظروف العمل السري القاسية، حول الشؤون الحزبية، وهذا تقليد لينيني ثابت، والبحث عن

مؤشرات لفهم مزاج الجماهير السياسي والفكري، ومستوى استعدادها النضالي، جرى الاستناد إلى الظروف الصعبة والارهابية لتبرير عدم اشراك الشيوعيين وهيئات الحزب المختلفة واعاقا اسهامهم في صياغة سياسته وبرامجه ومواقفه.

ان مؤشرات تجديد الحزب ومحاوره الاساسية لابد ان تعالج جذور هذه الظواهرات المرضية وترسي الاسس التنظيمية والفكرية والسياسية الكفيلة بانهاض الحزب والارتقاء بدور الشيوعيين فيه، في الاتجاهات العامة التالية:

في العمل الفكري

- ايلاء اهتمام استثنائي بتحسين مستوى الحزب فكرياً، ورغد الهيئات الحزبية القيادية بالكفاءات المتميزة في ميادينها المتنوعة.
- اطلاق حرية النقاش والبحث والاجتهاد في القضايا النظرية والسياسية العقدية في صحافة الحزب ووسائل اعلامه، وفي نشرات داخلية.
- افساح المجال لصراع الآراء والمناقشات الواسعة في صحافة الحزب الداخلية، في إطار اغناء وتدقيق وتعديل سياسة الحزب، خصوصاً في المنعطفات وعشية الاجتماعات الهامة للجنة المركزية ومؤتمرات الحزب.
- العمل على اشراك الكفاءات النظرية والمتخصصة في اجتماعات موسعة للجنة المركزية وفي الاجتماعات النوعية.
- اقرار علنية الفكر والسياسة في عموم الحزب، مقابل التوكيد على سرية التنظيم.
- اعتبار التعددية والتنوع في الاجتهاد عند تطبيق سياسة الحزب العامة وتوجهاته البرنامجية ظاهرة ايجابية في إطار وحدة الالتزام بسياسته ومواقفه العامة وتعميق الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية في إطار المركزية الديمقراطية.
- اعتماد مبدأ «الحوار المفتوح» مع المثقفين، وتوسيع وتطوير اهتمام الحزب بالعمل في صفوفهم، والتخلي عن التقييم الايديولوجي المجرد لمنتجاتهم الابداعية، والتفاعل مع مختلف مدارسهم وتياراتهم واتجاهاتهم الادبية والفنية.
- الارتقاء بالعمل الايديولوجي وتوسيع ميادينه، والعناية بالكفاءات العلمية في الحزب وحوله، وايجاد الاساليب التنظيمية الملائمة لتحقيق هذا الطموح.

في التنظيم

- اشاعة أوسع ديمقراطية في حياة الحزب على الاصعدة الفكرية والسياسية والتنظيمية. ومكونات هذه الديمقراطية تجد تعبيراتها في اقرار حق الشيوعيين المطلق بالاسهام في صياغة ومناقشة واقرار ومتابعة ومراقبة تنفيذ سياسة الحزب وبرنامجه وانتخاب قيادته وهيئاته.

- ارساء الاسس الضامنة لتبادل وصراع الآراء الصريح والحر، وتعدد البدائل، اثناء مناقشة القضايا العقدية، واحترام رأي الاقلية والتفاعل معها في إطار وحدة الارادة والعمل، وتمكينها من عرض وجهة نظرها على مجموع الحزب، على ان لا يؤثر ذلك على تنفيذ القرارات الحزبية المتخذة بالاكثريه.

- الغاء المراتبية الحزبية فعلياً، وابراز الهوية النضالية للمهام الحزبية.

- تحديد اربع دورات لعضوية متواصلة في اللجنة المركزية، ودورتين لمركز الامين العام، وثلاث دورات لعضوية المكتب السياسي على ان لا تتجاوز من حيث الفترة الزمنية خمسة عشر عاماً متواصلة. وفي حالة الترشيح لدورة اضافية يتوجب حصول المرشح على ثلثي الاصوات.

- اقرار مبدأ الانتخاب في جميع الهيئات الحزبية، وممارسة مختلف اشكال الاستفتاء واستمراج الرأي في حالات الازهاب الواسعة، وفي الظروف غير الطبيعية احياناً. - اعتماد مبدأ الانتخاب المباشر وضمان حق اعضاء الحزب للترشيح إلى الهيئات الحزبية كافة.

- اعتماد مبدأ الترشيح الفردي في انتخابات المكتب السياسي، وتثبيت ممارسته سنوياً في اجتماع اعتيادي كامل للجنة المركزية، ومبادرة م. س إلى اتاحة الفرصة للجنة المركزية لتقييم نشاط كل عضو من اعضائه على انفراد، وتجديد عضويته أو انهاءها. - الاحتكام إلى تنوع الكفاءة لدى الانتخاب إلى الهيئات القيادية وبشكل خاص اعتماد معيار الكفاءة الفكرية والسياسية والعمل القيادي والتخصصي، بالاضافة إلى معايير الانحدار الطبقي والجهادية والخبرة النضالية والسيما السياسي.

- ضمان التواصل والتوارث، بايجاد الاشكال التنظيمية القيادية الاستشارية لذوي الخبرة والقدرة والاهلية من الرفاق الذين يتعذر عليهم مواصلة عضوية الهيئات القيادية لاسباب نظامية أو غيرها.

- تضييق مجالات الاحتراف الحزبي إلى أبعد الحدود.

- تشكيل لجنة مركزية لمنظمة اقليم كردستان للحزب.

- تقليص الحلقات الوسيطة في التسلسل الهرمي الحزبي والعمل على ربط اللجان القيادية في المحافظات بقيادة الحزب مباشرة وتوسيع صلاحياتها.
- انتخاب لجنة رقابة مركزية من قبل المؤتمر.

في العمل الجماهيري والديمقراطي

- تعزيز تقاليد الحزب في العمل الجماهيري والديمقراطي وتجديد مضامينها واساليبها بالانطلاق من حلقات الحزب القاعدية النشيطة المرتبطة بالتجمعات الجماهيرية مباشرة، وخلق القادة والوجوه الجماهيرية والشعبية البارزة، والتزام قضايا الجماهير اليومية، والدفاع عن مصالحها، والاصغاء إلى آرائها وملاحظاتها.
- تحفيز الشيوعيين على العمل الجماهيري والديمقراطي في النقابات العمالية والمهنية والاتحادات والمنظمات الابداعية الرسمية وغيرها، واطلاق مبادراتهم، وضمان استقلالية المنظمات التي يعملون فيها أو يشاركون في قيادتها، والتخلي عن وصاية الهيئات الحزبية على نشاطاتها، والعمل على توسيع وتنويع التمثيل الفكري والسياسي فيها.

حول التحالفات

أ- الوطنية

- اجراء نقلة نوعية في سياسة الحزب التحالفية ارتباطاً بتجديد مفهومنا لمضامين ومهام المرحلة الديمقراطية. من ثورتنا وطابعها الانتقالي التاريخي ذي الخيار الاشتراكي، ومحتواها الديمقراطي. والأخذ بنظر الاعتبار الموقع البارز الذي ستحتله هذه السياسة في كامل نهج الحزب الاستراتيجي ونشاطاته اليومية، مما يتطلب جهداً تحليلياً علمياً للتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية العميقة التي شاهدها مجتمعنا العراقي، ومواقع وموازين القوى التي تعكسها لوحة الصراع الطبقي، ومظاهرها السياسية والايديولوجية. والانطلاق من ذلك كله لتحديد الطبقات والقوى السياسية والاجتماعية المعنية بتحالفات الحزب، وانجاز مهام المرحلة الديمقراطية من ثورتنا.

- التوجه نحو تعزيز التحالفات الاجتماعية (طبقات، فئات) إلى جانب مواصلة المساعي لاقامة التحالفات السياسية (احزاب، حركات) وتعزيز العمل الوطني المشترك بمختلف الأشكال.

- تأكيد الثوابت التالية في أي عمل جهوي ، ثنائي أو متعدد الاطراف أو شامل :

* الاستقلالية السياسية والفكرية والتنظيمية .

* التكافؤ والمساواة والاحترام المتبادل .

* رفض اشتراط الرضا ، والدور المتميز أو القائد ، وتجلياتها التنظيمية والقانونية .

* ضمان حق النقد العلني في إطار التعاون والتحالف والعمل المشترك ، وضمان

حق اشهار العقيدة الايديولوجية و استراتيجيتها السياسية وتعبيراتها الملموسة والدعاية لها بكل الوسائل .

* ارساء اسس ديمقراطية ثابتة ، واشاعة اجواء المنافسة في إطار حوار الافكار والبرامج والشعارات والنشاط السياسي بين الاحزاب والقوى والتيارات السياسية والفكرية ، والاحتكام إلى آراء و ارادة الجماهير .

* هجر الاساليب والمفاهيم الخاطئة في الموقف من القوى الاخرى وفي العمل الجبهوي ، ذي الحد الواحد ، اما النقد الشامل ، أو التزكية دون تحفظات .

* اعتبار الديمقراطية الشاملة ، والتعددية ، ودولة القانون ، وحقوق الانسان ، والعدالة الاجتماعية ، والقيم الانسانية العامة ، مبادئ اساسية لأي إطار تحالفي يكون الحزب طرفاً فيه .

تنوع أشكال نشاط الحزب التحالفي

(شامل «اجتماعي») : على أساس الاهداف العامة ، التي تجمع كل القوى والتيارات الاساسية في المجتمع . والمحتوى الرئيسي لهذا التحالف ضمان الحريات الديمقراطية العامة وصيانة استقلال البلاد وحماية ثرواتها الوطنية .

محدود: يستقطب الاحزاب والقوى التي يجمعها خيار التطور والتقدم الاجتماعي والاشتراكي .

ثنائي أو متعدد الاطراف

* حول مهام واهداف مباشرة .

* وفي إطارات مطلبية أو حملات سياسية ، محدودة (الانتخابات ، استفتاء . . .

الخ) .

* وعلى ارضية اصطفاافات فكرية وسياسية في اطر التحالفات العريضة والشاملة .

فوقي :

* على أساس البرامج والاتفاقات والمواثيق المعقودة مع قيادات الاحزاب ، على ان

لا تقيد نشاط الحزب الجماهيري ، الذي يشكل ، باستمرار ، أحد أهم وسائل الضغط السياسي لتعديل موازين القوى ، وتحسين شروط الاتفاق في مثل هذه التحالفات .

جماهيري :

وهو الاطار الأكثر تأثيراً وفعالية، لتعزيز مواقع الحزب ونفوذه، وخلق اجواء العمل الوطني المشترك، وحماية الديمقراطية ومنجزاتها وتعميقها، والدفاع عن مصالح مختلف الفئات الاجتماعية.

ولا بد للحزب من تركيز جهود استثنائية في هذا المجال، وتجديد اساليب كفاحه المطلي المتنوع والمتعدد الاغراض والبحث عن الاشكال المتطورة لحياء الفعاليات الجماعية، في الاحياء الشعبية والمدن والارياف والقطاعات والمنشآت، حول مطالب اجتماعية واقتصادية، وثقافية وحياتية ملموسة، والحرص على تجنب اصفاء الطابع السياسي أو الايديولوجي المباشر عليها.

ولتحقيق مثل هذه النشاطات ينبغي على الشيوعيين ومنظمات الحزب القاعدية، التحرر من اسس وانماط العمل الاتكالية، «انتظار المخططات والبرامج والاوامر والارشادات من فوق»، والمبادرة النشيطة لايجاد اطر العمل الجماهيري المشترك على اساس الاهداف العامة للحزب والحركة الوطنية، ومزاج الجماهير وميولها:

- نواد رياضية وثقافية واجتماعية وعلمية.

- جمعيات تعاونية وخيرية، ودور حضائنة، وهواة، وموهوبين، ودفاع عن البيئة، وصناديق تعاون، ولجان حقوق الانسان، وعيادات شعبية.

- مؤسسات ومنظمات واتحادات تعاونية (للسكن، اعانات زواج، علاج مشوهين... الخ).

- مرافئ (تجمعات) في المنظمات والاتحادات تشكل قوى ضغط باتجاه مطلي محدد في المجال المعني.

- دور نشر وطباعة تعاونية.

العمل على صياغة ميثاق وطني تعاهدي

يكرس المبادئ الديمقراطية العامة، والقيم والاهداف المشتركة للشعب العراقي، والركون إلى ارادته، ويرفض احتكار السلطة والهيمنة ويدين العسف والقوة والقمع كوسائل لحسم الخلافات.

ولا يشترط لهذا الميثاق ان يكون إطاراً لأي عمل جهوي أو تعاون، بل هو عقد تعاهدي يجري التوقيع عليه والدعوة له والالتزام بمضمونه من قبل جميع الاحزاب والقوى والشخصيات والايوساط التي تتطلع لاختراق البلاد من مازق الاحتراب والاقتال والانقلابات.

ب - العربية

يتميز الوضع العربي بتنامي النضال السياسي من أجل فرض بنية سياسية ديمقراطية متعددة، واحترام حقوق الانسان، في إطار عالمي يتميز بالسير الحثيث نحو التعددية، وعلى خلفية ازمة اقتصادية - اجتماعية في معظم الدول العربية.

فبعد فرض التعددية في الجزائر والاردن، وقبلها في تونس (ولفترة سنوات في السودان ايضاً)، يتصاعد النضال في الاتجاه نفسه بتحركات جماهيرية قاعدية (مثل الكويت) أو بمبادرات رسمية ذات طابع تجديدي (كما في اليمن الديمقراطية) أو ذات طابع تنفيسي (كما في العراق).

وإذ تتحرك الجماهير الشعبية على خلفية ازمة اقتصادية - اجتماعية خانقة تتجلى في اشتداد الغلاء وتنامي المديونية، وانهيار أو ضعف العملات المحلية، وانخفاض الانتاج واتساع البطالة... الخ فانها تسعى إلى تغيير البنية السياسية الاستبدادية سواء كانت بشكل نظام الحزب الواحد أو نظام الاسرة الواحدة الذي عفا عليه الزمن.

ويتميز التحرك الشعبي، بمسعى لتوجيه مسار التطور الاجتماعي - الاقتصادي وجهة تخفف الاضرار الناجمة عنه والتي تصيب هذه الجماهير في صميم حياتها اليومية، جوعاً وبطالة وعوزاً وعسفاً.

ويلاحظ بالمقابل، ان النزوع نحو التعددية ما زال متناقضاً وغير حاسم بعد، اذ تمسك بزمامه النخب الحاكمة القديمة نفسها، والتي تحاول التكيف، جزئياً، كي لا تفقد مواقعها.

ويتمثل النزوع نحو التعددية بمحتوى متناقض، فهو يسعى للحريات الديمقراطية على مستوى الجماهير الشعبية والدفاع عن مصالحها الاجتماعية والاقتصادية، وهو يسعى لربط الانتقال إلى التعددية بالليبرالية الاقتصادية، والتخلي عن دور الدولة (رغم تناقضه).

وتواجه مسيرة التطور الاجتماعي - الاقتصادي في الدول العربية، على وجه العموم، آفاقاً ضيقة، سواء في ضوء الوضع الحالي أم المتوقع مستقبلاً، ارتباطاً باتجاهات التطور المحتملة للعالم الرأسمالي، الذي ترتبط اقتصاداتنا به ارتباطاً بنوياً.

ويشير عدد من الدراسات المستقبلية إلى ان المنطقة العربية مرشحة للاصابة بركود اقتصادي ويتفاقم المشكلات الراهنة، وهي في مظاهرها الخارجية مشكلة مديونية وازمة نقدية وازمة تبعية من نوع جديد.

وعليه فان النضال من أجل الديمقراطية، ومن أجل التطور العقلاني للانتاج والتطور العلمي - التقني الهائل، والكتل الاقتصادية المتعددة، مهمة اساسية، مدخلها الرئيسي هو الديمقراطية السياسية، بوصفها مفتاحاً لفرض نموذج تنمية رشيدة تلبي حاجات الجماهير

الشعبية في المستوى الراهن من التطور.
ويتسم الوضع العربي الراهن باشتداد ميول التقارب والمصالحات العربية - العربية .
ولعله ما من فترة شهدت هذا القدر من العمل العربي الرسمي المشترك ، بصرف النظر عن مضامينه ، إلا ما ندر .

وقد اشارت ل . م في تقريرها السابق (آذار ١٩٨٩) إلى وجود ميلين في هذه العملية ، ميل تنامي اندماج كل بلد عربي منفرد بالسوق الرأسمالي العالمي ، ونشوء ميول محلية ، قطرية في لغة الأدب السياسي السائد ، وميول ضاغطة سياسية وعسكرية وإمنية تدفع إلى اللقاء .

ومن هذا المنطلق ينبغي نقد مساعي تشتيت الجهود الوجدية في التعاون الامني والسياسي ، بالغ القلب ، أو في مساعي تطوير ميادين غير منتجة ، وتبذيرية (مشاريع عسكرية ، سياحية ، الخ) أو الاكتفاء بالمهرجانات الخطابية . ومن هذا المنطلق أيضاً ينبغي ادانة تهريب رؤوس الاموال العربية أو التوظيفات الضخمة في العقارات ، والمضاربات الخ ، التي يقوم بها الرأسمال العربي الخاص أو الحكومي ، في البلدان الرأسمالية المتطورة .

وتنبغي الاشارة إلى تجربة الوحدة اليمنية ، التي تحاول السير على اساس واقعي قوامه الديمقراطية والتعددية سياسياً ، وتوحيد المؤسسات الانتاجية اقتصادياً ، بهدف تحقيق وحدة شطري اليمن ، والنهوض بالبلاد وتطويرها اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً على اساس التعددية والحريات الديمقراطية .

والى جانب هذا الاتجاه العام للتطور ، يتواصل النضال الوطني التحرري ، وبخاصة نضال الشعب العربي الفلسطيني ، الذي تدخل انتفاضته الباسلة شهرها الثامن والعشرين من أجل انتزاع الحقوق الوطنية المشروعة ، بقيادة ممثله الشرعي والوحيد م . ت . ف . ان قضية الشعب الفلسطيني تحتل اليوم مركز الصدارة عالمياً . ولم يعد يوسع السوق الاوربية ولا الادارة الامريكية ادارة الظاهر لها .

وتشهد المشاريع العديدة (مشروع مبارك ، مشروع بيكر ، مشروع شامين) المطروحة في سوق السياسة ، على القلق الكبير الذي يسود الاوساط الامبريالية من استمرار الانتفاضة ، التي ما تزال تتحرك في محيط عربي رسمي غير ملائم عموماً . ان من شأن استمرار الانتفاضة ، وتنامي الدعم العربي والعالمي ، ان يفتح الطريق إلى تجاوز صلف المحتلين .

ان التعتن الاسرائيلي أمام الاستجابة لمطامح الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه ، يزداد شراسة بفعل موجة هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى الاراضي المحتلة ، والتي

تشكل عامل اخلال للتوازن الديمغرافي، وبالتالي عامل نفس لآفاق التسوية الدولية المطلوبة.

وطالب حزبنا، سوية مع القوى التقدمية العربية، بوقف الهجرة إلى الاراضي المحتلة، لما يشكله من انتهاك لحقوق الانسان العربي الفلسطيني ولما ينجم عنه من عواقب سياسية وخيمة. فمغادرة اليهود السوفييت للاتحاد السوفيتي في إطار ممارسة حق التنقل شيء، وتوجيههم إلى الاراضي المحتلة شيء آخر.

وتلعب الولايات المتحدة دوراً مرائياً. فقد شجعت هجرة اليهود السوفييت باديء الأمر إلى الولايات المتحدة، مقدمة الاغراءات العديدة لذلك، ثم اغلقت هذا الباب لتوجيه التدفق البشري إلى اسرائيل، واعلنت بمراءاة انها تعارض توطينهم في الاراضي العربية المحتلة، فيما تعمل على دعم الهجرة والتوطين مالياً وسياسياً في واقع الأمر. ان معالجة هذا الموضوع الخطر ينبغي ان تنطلق من اعتبارات المصالح العربية، بما في ذلك تمتين عرى الصداقة الكفاحية بين شعوبنا العربية والاتحاد السوفيتي وبما يخدم مصالحنا المشتركة.

ويتناهى نضال القوى الوطنية اللبنانية للخلاص من الاحتلال الاسرائيلي المشين للجنوب اللبناني، ولتحقيق المصالحة الوطنية، على أساس اتفاق الطائف، واحترام الشرعية. ويأتي تمرد الجنرال عون، واحتدام المعارك المؤسسية في بيروت الشرقية، بدعم من اسرائيل وحكام بغداد وواسط امبريالية، ليطيح أمد المأساة، ويحجب آفاق الحل الديمقراطي المنشود. ان حزبنا يدعم نضال القوى الوطنية اللبنانية، ويؤكد مجدداً تضامنه الكامل معها. ويعلن ادانته للتحرشات الامريكية المتصاعدة ضد الجماهيرية الليبية، ويعبر عن تضامنه مع الشعب الليبي.

لقد تعرض الشعب السوداني وحركته الوطنية والحزب الشيوعي السوداني الشقيق إلى محنة قاسية منذ الانقلاب العسكري الذي استهدف الاجهاز على المسيرة الديمقراطية في البلاد وتعطيل الحياة البرلمانية، والذي قوبل بمعارضة كل القوى الوطنية السودانية، التي جمعت صفوفها في (التجمع الوطني الديمقراطي) للنضال من أجل استعادة الديمقراطية.

ان حزبنا يدعم نضال الشعب السوداني الشقيق، وقواه واحزابه الوطنية الديمقراطية - ويطالب باطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين واعادة الحقوق والحريات الديمقراطية المستلبة.

ان النجاحات الهامة، التي تحققت في العديد من البلدان العربية على صعيد اشاعة الحريات الديمقراطية، واقامة الحياة البرلمانية في إطار التعددية الحزبية تتزامن،

في مجرى التناقضات المحتمدة، مع بروز واتساع ظاهرة الحركات الدينية التي تلعب دوراً متناقضاً في التطورات السياسية الايجابية الجارية، ان هذه النجاحات تحوي جوانب سلبية في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، مما يستلزم من الاحزاب والقوى الوطنية العلمانية بذل كل مساعيها لتعطيل هذه الجوانب السلبية، وكسب جمهور هذه الحركات، عبر الحوار والتفاعل، وتحويله إلى قوة دفع لصيانة وترسيخ المكتسبات الديمقراطية. ويتطلب تحقيق توجهاتنا العامة :

- الاهتمام بابرار النهج الوحدوي للحزب على الصعيد العربي، والتفاعل ايجابياً مع الظاهرات والميول واتجاهات العمل العربي المشترك التي تشجع اجواء التقارب والتضامن والتكامل على اسس ديمقراطية. والاسهام في صياغة المبادئ والمنطلقات الوحدوية، وممارستها عملياً عبر المشاركة في الأنشطة والفعاليات الشعبية والرسمية العربية. والدعوة لاتخاذ التدابير العنلية، على الصعيد الرسمي، لالغاء الحواجز والعراقيل التي تحول دون تحقيق التقارب والتمازج الحضاري والثقافي والنفسي بين الشعوب والبلدان العربية، والحد من تعميق التفاوت بينها، وارساء الممهدات السياسية والاقتصادية والقانونية لتحقيق السنق العربية المشتركة، والسير نحو الوحدة الديمقراطية على اساس الخطوات الواقعية المتدرجة، واحترام المصالح المتبادلة، واحترام سيادة وخيارات كل شعب وحقوق قوميته واقليته.

- انهاء العمل الشعبي المشترك في إطار الاحزاب والاتحادات والجمعيات والهيئات الاجتماعية والاقتصادية والاعلامية.

- الحرص على مواصلة التنسيق والتعاون والعمل المشترك في إطار اسرة الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، مع الأخذ بنظر الاعتبار المناخ والظواهر الجديدة في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، التي تستلزم تجاوز الاساليب والصيغ التي أخذت تعيق بل وتحول دون عقد أي لقاء شيوعي عربي مشترك.

- تأكيد اتجاه توسيع الاسرة الشيوعية، لتشمل الاحزاب والمنظمات والتيارات الماركسية الثورية، والبحث عن الآليات المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

- الاهتمام بالاجتماعات واللقاءات النوعية بين الاحزاب الشيوعية والمنظمات الماركسية.

- تحديد التزامات تضامنية متبادلة في إطار العمل المشترك تراعي :

* دعم الاحزاب المناضلة ضد الانظمة الدكتاتورية والاضاع الاستبدادية والاستثنائية واعتبار الديمقراطية وحقوق الانسان ثوابت في تقييم أي نظام أو سلطة.

* التخلي عن اعتبار قضية حزب ما، أو شعب ما قضية قومية تبرر تجاوز قضايا

الشعوب ونضال الاحزاب الاخرى، والتميز بين العلاقات التي تتكون بين الدول والحكومات، وبين الاحزاب والحكومات.

وعلى صعيد القضية الفلسطينية، يمكن تمييز علاقات منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وحكومته مع الحكومات والدول العربية، عن علاقات المنظمات الفلسطينية.

* توسيع دائرة التعارف مع الاحزاب والقوى الوطنية والقومية والتيارات السياسية والاجتماعية السليمة وفصائل حركة التحرر العربية على أساس مناهضة الامبريالية والصهيونية، والعدوان، والدكتاتورية، وفي إطار خلق اجواء واسس التقارب والتنسيق العربي على طريق الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي والتكامل والوحدة.

جـ - الاممية/ العالمية

- الانطلاق من العمل الوطني، والقومي، إلى العمل الاممي، وباعتبار دور الحزب في معارك النضال الطبقي والوطني والقومي، وتعزيز موقعه في الحياة السياسية، وتصدير نضالات الشعب... باعتبار ذلك اسهامه الرئيسي في النضال الاممي.

- ان الحزب يمثل مصالح الطبقة العاملة والشغيلة وجمهرة كادحي اليد والفكر، بغض النظر عن اديانهم وقومياتهم وطوائفهم. وبهذا يكتسب هويته الوطنية والاممية، هذه الهوية التي تتطلب مراعاة الطابع القومي السائد، والتقاليد الشعبية، والتراث الوطني.

- مواصلة التفاعل والتضامن مع الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم، على أساس المستجدات السياسية والفكرية والتنظيمية، ومراعاة التكافؤ والاستقلالية، والبحث عن الصيغ التي من شأنها تحقيق هذا التفاعل والتضامن مع مراعاة الحرص على استمرارية

الاطر القائمة بعد تجديدها لتلائم الاجواء الحالية (اللقاءات الاستشارية العالمية والاقليمية والثنائية)، استثمار فرص المؤتمرات الحزبية والاعياد والمناسبات الاممية والوطنية، كمنابر حرة وصريحة لتبادل الآراء والتصورات، وللتعرف على الازواض السياسية والحزبية) وتعزيز التعاون والعمل المشترك على أساس وحدة الموقف من القضايا العالمية:

الحفاظ على السلم العالمي، وحماية البيئة واقامة نظام اقتصادي عالمي جديد... الخ.

- التخلص عن الافكار والمفاهيم المسبقة في تقييم شتى النماذج الاشتراكية

والتركيبات والبرامج الحزبية، والطروحات النظرية والسياسية، واعتماد النظرة الانتقادية العلمية للظواهر المحيطة بنا، والتأثر بما يتناسب مع واقعنا وظروفنا وحاجتنا النضالية.

- الانفتاح على الاحزاب والمنظمات الاشتراكية والاشتراكية الديمقراطية،

والاحزاب الجديدة ذات المنحى الانساني والماركسي المجدد وانصار السلم والبيئة، والمنظمات الانسانية و(لاهورت التحرير) والاتجاه الانساني في الكنيسة الاوربية،

ومنظمات الدفاع عن حقوق الانسان والثقافة والمنظمات الثقافية العالمية، من مواقعنا الفكرية والسياسية، واقامة علاقات متطورة معها، دفاعاً عن قيم الديمقراطية وحقوق الانسان، والتقدم والعدالة الاجتماعية والسلام.

- إظهار وحدة المفاهيم الانسانية الاساسية: الديمقراطية، التعددية، حقوق الانسان والمواقف العملية المجسدة لها، خصوصاً في نهج وسلوك الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الحاكمة.

- الاسهام الفعال في الجدل المحتدم على الصعيد الاممي حول تعدد اشكال ومضامين الخيار الاشتراكي، ومفاهيم الاشتراكية العلمية، واسسها النظرية، وكل ما يتعلق بالحركة الشيوعية والاشتراكية وتوجهاتها، واحتضان مساهمات المفكرين والكتاب الشيوعيين العراقيين في هذا الجدل النظري، وتعميم القيم منها، وتجنب اتخاذ مواقف متوترة من الاجتهادات الاولى أو غير الناضجة أو غير المفهومة، التي تصب في اتجاه خيارنا الاشتراكي.

- موقفنا من العقيدة الدينية، والدين السياسي

- تطوير مواقف الحزب من جمهرة المتدينين، وتجربته التاريخية في هذا المجال، والتمييز بين منهج الحزب الفكري (المادية الديالكتيكية) والايمان الشخصي لعضو الحزب.

- دراسة تجربة الحزب التاريخية في العمل بين المتدينين ورجال الدين، وفي المناطق الريفية ونفوذه بين اوساط الفلاحين المؤمنين، وقدرته على الربط بين المشاعر والشعائر والتقاليد والمناسبات الدينية، والنضالات الوطنية والطبقية والقومية، واذكاء روح الكفاح بين الجموع المؤمنة من اعضاء وانصار ومؤيدي الحزب، وعدم وضع أي تعارض بين هذه النضالات والايمان الشخصي للمناضلين، والانطلاق من المصالح والاهداف المشتركة لتجاوز التفرقة بين الاديان والطوائف والمذاهب.

- خوض الصراع، فكرياً وسياسياً، ضد الاتجاهات والاوساط التي تستخدم الدين واجهة للإرهاب الفكري والسياسي، وخوض صراع موضوعي مكشوف لفضح دعاواها المغرضة ومحاكمة برامجها وشعاراتها واهدافها سياسياً، وتشخيص المصالح الطبقية التي تجسدها وتعبّر عنها.

- الحوار مع التيارات السياسية الدينية المعادية للامبريالية والديكتاتورية والبحث الدائم عن قواسم مشتركة معها على اساس التنازلات المتبادلة والحلول الوسط في الميدان

العملي، ولكن دون أي «مساومات أيديولوجية»، أو تبهيت للصراع الفكري العلني، الذي ينبغي خوضه على أسناس الاحترام المتبادل والسعي لخدمة النضال المشترك ضد الامبريالية ومن أجل الحريات الديمقراطية، والانطلاق في ذلك كله من مفهومنا للمدين، كقيمة إيمانية انسانية شخصية.

- مكافحة كل اشكال التعصب والتمييز الطائفي والديني، وخصوصاً الرسمي، المؤج للمشكلة.

- القضية الكردية

كانت الحرب العراقية - الإيرانية قد غطت على القضية الكردية إلى حد كبير. ومع وقف القتال بين العراق وايران، ومع افتضاح بشاعة جريمة قصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيميائي في آذار ١٩٨٨ التي حدثت قبيل وقف القتال، ومع هول المظالم التي تعرض لها الشعب الكردي في العراق في اعقاب وقف القتال في آب - ايلول / ١٩٨٨، باستخدام السلاح الكيميائي وشن حملة عسكرية بربرية أدت إلى اضطرار حوالي مئة الف مواطن كردي إلى الهرب إلى تركيا وايران، واعتراف الحكومة العراقية بانتهاجها سياسة الارض المحروقة وذلك باعلانها اخلاء عشرات الوف الكيلومترات المربعة من الاراضي المحاذية لايران وتركيا وسورية من سكانها وهدم قراها ومدنها، مع هذا كله عادت المسألة الكردية وحرب الابادة الشوفينية الظالمة التي تشنها الحكومة العراقية ضد الشعب الكردي في العراق، تستلقت انتباه الرأي العام في الداخل والخارج، وتستثير الغضب والاستنكار والاحتجاج ضد النظام الدكتاتوري في العراق، والتعاطف مع الشعب الكردي وقضيته العادلة.

وكان لا بد لهذه التطورات ان تستثير مهمة تدقيق مواقف حزبنا وشعاراته تجاه القضية الكردية، وشكل تنظيمه، في ضوء الافاق التي نتطلع اليها، في المدى المنظور، لتطور هذه القضية.

حدد حزبنا موقفه المبدئي من قضية الشعب الكردي بالاعتراف بحقه في تقرير مصيره، ووحدته وطنه المجزأ كردستان، وثبت ذلك في برنامجه منذ أمد طويل.

وإلى جانب هذا الموقف المبدئي الماركسي اللينيني، صاغ حزبنا شعار الحكم الذاتي لكردستان العراق في إطار جمهورية عراقية ديمقراطية، وثقف به، وناضل من أجله مع فصائل الحركة التحررية الكردية، والقوى الوطنية والديمقراطية العراقية، حتى أصبح القاسم المشترك الذي تجمع عليه كل هذه القوى التي تبني شعار الديمقراطية للعراق

والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق.

وقد اضيفت صفة الحقيقي للحكم الذاتي لان النظام الدكتاتوري الحالي ، الذي اضطر للاقرار بحق الشعب الكردي في العراق بالحكم الذاتي ، بفضل نضال هذا الشعب ، واسناد الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية ، والدعم العالمي ، مسخ هذا الحكم ، عملياً ، بمصادرته لحقوق الشعب الديمقراطية ، وافرقه من أي محتوى يمت بصلة حقيقية إلى الحقوق القومية .

وان حزبنا اذ يناضل اليوم ، مع مجموع قوى شعبنا الوطنية ، من أجل بديل ديمقراطي عن النظام الدكتاتوري الحالي ، يرى في شعار الحكم الذاتي الحقيقي لكردستان للعراق في الظروف الراهنة ، الشعار الانسب والأكثر امكانية على كسب تأييد جماهير حركتنا الوطنية والرأي العام العربي والدولي ، والأكثر انسجاماً مع طبقات الحركة التحررية الكردية وظروف المنطقة وجغرافيتها السياسية .

ويرى حزبنا ان تحقيق هذا الشعار ، كجزء من بديل ديمقراطي للعراق ، سيدفع الحركة التحررية الكردية خطوات كبرى إلى أمام ، ليس في العراق فحسب ، بل وفي كل الاقطار التي يوجد فيها الشعب الكردي ويعيش محروماً من حقوقه القومية .

وانطلاقاً من الدور الذي نطمح إلى ان ينهض به تنظيم حزبنا الشيوعي العراقي في كردستان بين جماهير الشعب الكردي ، وفي الجبهة الكردستانية العراقية - وهو طرف مؤسس فيها - وفي مجموع الحركة التحررية الكردية ، وارتباطاً بالأفاق الواعدة لتطورها ، يعمل حزبنا على تحقيق اقصى الاستقلالية للتنظيم الشيوعي في كردستان في إطار الحزب الشيوعي العراقي ، هذه الاستقلالية التي تتيح له حرية الحركة في وضع برنامجه ونظامه الداخلي وعقد مؤتمراته وانتخاب لجنته المركزية وتحديد مواقفه تجاه القضايا التي تجابه الحركة التحررية الكردية واقلية كردستان العراق .

وهذا لا يعني بطبيعة الحال اقامة حزب شيوعي على أساس قومي في كردستان العراق . فحزبنا الشيوعي العراقي نشأ وسيبقى حزباً اممياً يضم المناضلين العرب والاكرد ومن الاقليات القومية ، ممن يؤمنون بالفكر الماركسي اللينيني ويكرسون حياتهم وطاقاتهم النضالية لخدمة قضية الطبقة العاملة وكل شغيلة اليد والفكر من ابناء شعبنا .

واننا اذ ننضمم تطلع عدد من المناضلين الثوريين الاكرد ومبادئهم للدعوة إلى اقامة حزب شيوعي كردي في العراق ، أو لعموم الاكرد في البلدان التي يعيشون فيها ، لا نرى في هذه الدعوة الجديدة القديمة سوى دعوة قد تكون املتها رغبات نبيلة ، ولكنها في الواقع لا تعني غير تقسيم التنظيم الشيوعي في العراق ، وفي البلدان التي تشملها الدعوة ، على اساس قومي ، والحاق الضرر بالحركة الشيوعية في كل بلد من هذه البلدان .

ان الحركة الشيوعية نشأت على أساس اممي . وفي كل البلدان المتعددة القوميات ، ومنها بلادنا ، توجد احزاب شيوعية موحدة لكل هذه القوميات لانها تضم الطليعة السياسية للطبقة العاملة في البلد المعني . وقد حسم حزبنا هذه القضية منذ الاربعينات حين دحر تأثير الافكار القومية البرجوازية واقام تنظيماً شيوعياً عراقياً موحداً ، وليس حزباً شيوعياً عربياً وآخر كردياً .

ومع ذلك فلا أحد يستطيع اليوم احتكار الفكر الماركسي اللينيني ، أو يحجب حق أحد في ان يقيم التنظيم الذي يريد . ولكننا نقول بثقة ان الاسترشاد الحقيقي بهذا الفكر ، وبتجارب الحركة الشيوعية في بلادنا والعالم اجمع ، لا بد ان يقود جميع المخلصين له إلى الالتقاء في إطار صيغة تنظيمية موحدة ، ان لم يكن اليوم فغدا .

ونحسب ان ما نتطلع اليه من تطوير برامجنا واطرنا التنظيمية يمكن ان يهيء الوعاء الذي يلتقي فيه كل المناضلين الثوريين الذين يحملون الفكر الماركسي أو يتطلعون بجد لحمل هذا الفكر واستيعابه والاسترشاد به في نضالهم النبيل .

وسيعمل الحزب مستقبلاً في ميدان القضية القومية الكردية في الاتجاهات التالية :

- * متابعة التطورات الايجابية على صعيد تفهم ودعم القضية الكردية داخلياً وعربياً ودولياً ، وتحريك سياسته وشعاراته بما يقرب الشعب الكردي من تحقيق امانيه القومية .
- * تأكيد استقلالية الحركة القومية الكردية ، وتجنبها التورط في المحاور التي تجعلها طرفاً سلبياً ازاء شعبها في مختلف الاقاليم ، وازاء نضال الشعوب التي تناضل في دولها .

* بذل اقصى الجهود لاجاد إطار نضالي للاحزاب والحركات والقوى القومية الكردية في كردستان المجزأة ، قادر على تجسيد مصالح الشعب الكردي ، وتعبئة قواه ، وتوحيد مواقفه ازاء القضايا الاساسية بمختلف الاشكال والصيغ النضالية المناسبة ، بالتعاون والتنسيق مع حلفائه من الطلائع السياسية في حركة التحرر الوطني العربية ، وفي المنطقة وفي المحافل الدولية .

* احياء المساعي المبذولة لارساء اسس التنسيق الدائم بين الاحزاب والحركات والقوى القومية الكردستانية ، والاحزاب الشيوعية والعمالية في العراق ، وتركيا وايران وسوريا ، للتداول والبتشاور والعمل المشترك ، لصالح تحقيق مطامح الشعب الكردي على أرضية النضال الديمقراطي العام لشعوب هذه البلدان المتآخية مع الشعب الكردي والتوجه لتنضيج ظروف عقد مؤتمر قومي للشعب الكردي . يضع التوجهات والشعارات الرئيسية لنضاله .

* تعزيز دور الجبهة الكردستانية العراقية ، وتوسيع نشاطاتها ، وتذليل الصعوبات

التي تعاني منها، بوصفها رافداً وحدوياً أساسياً من روافد الحركة القومية الكردية، ودعم المساعي المبذولة لايجاد روافد نضالية مشابهة في اقاليم كردستان الاخرى، والتنسيق فيما بينها وصولاً لوحدة نشاطها على صعيد كل كردستان.

* ايجاد الاطر المشتركة لانبعاث ولتعميق الوعي الديمقراطي القومي وحياء تاريخ وتراث وثقافة وتقاليد الشعب الكردي وتوظيفها في المجرى العام لانجاز اهداف حركته القومية.

* اتاحة اوسع استقلالية ممكنة للمنظمة حزبية في كردستان العراق، تنظيمياً وسياسياً في اطار وحدة الحزب الشيوعي العراقي، والتنسيق مع الاحزاب الشقيقة المعنية الاخرى، للعمل في اتجاه عام مشترك على هذا الصعيد، وايجاد الآلية المناسبة للتفاعل بين المنظمات الشيوعية العاملة في اجزاء كردستان، وبينها وبين جميع الاحزاب والقوى القومية الكردية.

* ايلاء اهتمام خاص بالاقليات القومية بايجاد المنابر الثقافية لابرار الشخصية التاريخية لهذه الاقليات القومية، وتجسيد مصالحها وتطلعاتها، واحتضان وتطوير كوادرها، ومواصلة البحث عن افضل الاشكال التنظيمية لتحقيق ذلك.

اشكال واساليب الكفاح

ان ممارسة اشكال الكفاح الثلاثة، السياسي والاقتصادي والفكري، رهن بالاوضاع الملموسة التي يتحرك في مناخها الحزب الثوري. وتغليب هذا الشكل أو ذاك، في هذه الفترة أو تلك، لا يعني التخلي عن الشكلين الآخرين، بل الجمع المنسق بينهما في عملية جدلية تخدم في نهاية المطاف انجاز المهام والاهداف المرسومة. واستهدفت احدي اهم المعارك الفكرية اللينينية فضح دعاة تجريد الطبقة العاملة وحزبها من شكل الكفاح السياسي، بمختلف اساليبه ووسائله، وحصر نشاطها بالكفاح الاقتصادي المطلي. والكفاح السياسي بوصفه الشكل الأرقى لتجسيد مصالح الطبقة العاملة، واداة تحقيق هذه المصالح، يكتسب فعاليته، من الاساليب العملية التي يتجلى بها بالاستناد إلى الحقائق الواقعية، بما في ذلك ميزان القوى، والاساليب التي يستخدمها العدو، ودرجة استعداد ونضج الحركة الجماهيرية.

كما ان تنوع اساليب الكفاح السياسي، انما هو تعبير مباشر عن تنوع واختلاف الظروف الموضوعية حتى في إطار بلد واحد ومنطقة واحدة.

وأحدى سمات الحزب الثوري البارزة هي براعته في الجمع بين اشكال الكفاح الثلاثة والاساليب المتنوعة لكل شكل، واثقانه فن تحديد الاسلوب الرئيسي للكفاح

السياسي، والمرونة في الانتقال من اسلوب كفاحي إلى آخر. علماً أن الكفاح السياسي هو جوهر كل نشاط الحزب بشكليه الاقتصادي والفكري، وبمختلف اساليبه، السلمية والعنفية.

وهذا الترابط الديالكتيكي بين اشكال الكفاح، والعلاقات المتغيرة فيما بينها، يميز اساليب الكفاح السياسي المتنوعة، السلمية والعنفية، السرية والعلنية، الجماهيرية والفوقية، والعديد من الاساليب التي تبرز وتتجدد في مجرى العمل الثوري: العمل الانصاري، الانتفاضات، المظاهرات والاعتصامات المسلحة، والسلمية وغيرها من الانواع الملموسة لاسلوبي الكفاح السلمي والعنف.

ان تجريد أحرمان الحزب من اسلوب ما انما هو تخل طوعي عن أحد مصادر قوته. كما ان استخدام أي اسلوب، دون حساب توفر شروطه الموضوعية والذاتية، انما هو تبيد لقوة الحزب.

ان العلاقة بين سياسة الحزب واساليب كفاحه علاقة موضوعية جدلية. ولكن هذه العلاقة لا تتجلى ظاهرياً في حالة انسجام وتوافق. وهي اذ تغير اشكالها ومواقعها، في مجرى العملية الثورية، وتبعاً لتناسب القوى، تبدو في لحظات معينة من اختلال التوازن، في وضع شديد التعارض.

ان السياسة الواقعية التي تتأصل على الحقائق الواقعية تنمو وتتطور وتتغير. وهي في ذات اللحظة تحمل تناقضاتها الخاصة التي ينبغي معالجتها بالاحتكام إلى حركة الواقع نفسه. وهذه الحركة في السياسة تتطلب حركة مترابطة شديدة الحساسية. لاساليب الكفاح ولتحقيق التطابق والانسجام بينها. ولا بد من مراعاة تشخيص الاتجاه الرئيسي لحركة الواقع بكل تناقضاته، واتجاهات تطوره للتأثير في هذه الحركة، وتعديل هذه الاتجاهات بما ينسجم مع سياسة الحزب ووجهة نشاطه، مما يستلزم حشد طاقات الحزب الفكرية والسياسية في متابعة تطور الاحداث ومظاهرها المتنوعة.

وفي هذا السياق تخلفت قيادة الحزب عن تشخيص المستجدات التي تكاملت ملامحها البارزة عشية ايقاف القتال في الحرب العراقية - الايرانية، أو انها ادركت مكونات هذا الجديد، ولكنها لم تستطع مواجهة الحزب بمدلولاتها، وتحديد متطلباتها السياسية والتنظيمية، وتخلفت في اتخاذ التدابير الضرورية لتحصين الحزب، وتهيئته سياسياً وتنظيمياً ونفسياً للظروف الجديدة، التي تتميز بحالة الانحسار والانكفاء المؤقت، من جانب، وبروز امكانيات جنيئية للوثوب إلى مواقع افضل سياسياً من جانب آخر، في إطار ذات السياسة العامة وهدفها الرئيسي، ولكن باعتماد اساليب سياسية جديدة نسبياً.

ورغم تقلص الامكانيات الواقعية لمواصلة النشاط الانصاري المسلح فان التردد في

مواجهة هذه الحقيقة، بسبب الفهم الدقيق لمغزى تحريك اساليب الكفاح والخشية من التفسيرات السلبية لقاعدة الحزب «الحذرة من تقلبات القيادة الحادة»، حال دون اتخاذ مواقف سياسية وتدابير تنظيمية لمعالجة النتائج التي يمكن ان تترتب على نشاط غير محسوب العواقب في منطقة كردستان، رغم عدم حدوث شيء من ذلك حتى الآن.

لقد وسع صدام حسين من مناوئاته السياسية، بالارتباط مع الظروف الدولية الجديدة والتحولات الديمقراطية التي تمخضت عنها، وتزايد الضغوط الداخلية عليه من شتى الجبهات، للافلات من مضاعفاتها المحتملة، وللحيلولة دون تسلسل المبادرة من بين يديه. وشهدت هذه الظروف تزايد دعاواه وعوده باطلاق الحريات الديمقراطية، والتعددية الحزبية والسياسية، مستهدفاً، بذلك كله، تضليل شعبنا، والرأي العام العربي والعالمي، إلا ان هذه المظاهر السياسية تعكس أيضاً تضايق الحاكم العراقي المطلق من رياح الديمقراطية التي تهب على العالم من مختلف الاتجاهات، وتشدد الحصار على نظامه الاستبدادي، مما يثير القلق لديه على مستقبله السياسي ومصير دكتاتوريته الفاشية.

وهذا الوضع الحساس المتحرك، الواعد (بلا اوهام)، يتطلب حشد طاقة الحزب للهجوم على معاقل الدكتاتورية بكل الوسائل والاساليب السياسية المباشرة وغير المباشرة، وتعطيل مناورة الدكتاتورية، لا بالخوف من مبادرات الحزب، بل بتحسينها والالتفاف حولها، واشهارها دون تردد. ان البديل الديمقراطي لا يعني بأي حال غير الاجهاز على الدكتاتورية، ولهذا فان صدام حسين نفسه يرفض أي تنازل جدي عن سلطته المطلقة، غير القابلة للقسمة، فهل ينبغي على الحزب ان يخشى من المبادرة إلى الهجوم بوسائل سياسية لفضح الدعاوى الديماغوجية لصدام حسين؟

ان تراجع اسلوب الكفاح المسلح بشكله الانتصاري وانحسار ميادينه وتضاؤل الامكانيات الفعلية لمواصلة النشاط الانتصاري المسلح في مناطق كردستان، إلى حد كبير جداً، يجعل هذه المواصلة، بشكلها السابق، غير مجدية في الظروف الراهنة، بل وضارة. وهذا التراجع لا يعني انتصار النظام. فرغم النشوة الظاهرية فان التوتر من حوله يشتد ويتفاقم.

كما ان تصدّر النشاط السياسي غير المسلح للحزب لا ينبغي بالضرورة ان يؤثر لفسل سياسته الثورية، أو تجريد الحزب من حق استخدام كل اساليب الكفاح عند نضوج شروطها الضرورية، بل يقتضي ممارستها بالاشكال الممكنة، مع الاعتراف الصريح بأولوية وتصدر وسيادة اسلوب الكفاح السياسي، للتغطية على التراجع العام أولاً، ولإعادة تنظيم القوى ثانياً، ولتنمية الامكانيات لاستعادة زمام المبادرة من صدام حسين ثالثاً، ولمجابهة وفضح مناورات الدكتاتورية ودعاوها الديمقراطية رابعاً، ولتحويل هذا النشاط

بكل جوانبه إلى هجوم شامل لاختراق جذار الدكتاتورية خامساً، وفتح كوة فيه للانطلاق نحو الحركة الجماهيرية الواسعة. أخيراً.

انما اذ نتجراً على تجديد اساليبنا، لا نخلق فراغاً أو خيبة ثورية، بل متراساً من الخبرة والجهادية والاستعداد للتضحية بحمي حركتنا إلى الامام، ويمدنا بالثقة والشجاعة والمرونة على استخدامها مجتمعة لتحقيق بديلنا الديمقراطي.

ان التحول نحو تنشيط اساليبنا السياسية ما هو إلا تعبير عن ضرورة موضوعية للانتقال من اسلوب تراجع بسبب تغير الظروف إلى اسلوب آخر تفرضه موازين القوى الجديدة ومقتضيات اخراج الحزب من حالة الانتظار والتردد. وهذا التحول في الاساليب لا ينطوي، بأي شكل كان، على امكانية التخلي سياسياً عن جوهر سياستنا واهدافنا، المتمثل في الخلاص من الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي.

وفي هذه الظروف حيث تتراجع الاساليب الانتصارية المسلحة، ولم تنضج بعد الظروف الملائمة للانتقال إلى النشاط السياسي الجماهيري الواسع، تتراكم لدى الرفاق الانصار وكل الشيوعيين. الخبرة والكفاءة والطاقة للنهوض بمهامهم السياسية والدفاعية، والاسهام في تشديد عزلة الدكتاتورية وتعزيز مواقع الحزب التنظيمية، وبذل اقصى الجهود لرفع استعداد ابناء الشعب، وجراؤهم على النضال، وكسر حاجز الخوف في صفوفهم، والقيام بكل ما من شأنه التعجيل بتنمية عوامل نضوج الوضع الكفيل بانتزاع المبادرة من السلطة، ونقلها إلى المعارضة الوطنية والشعب، وتكامل وسائل ازالة الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي.

خامساً:

الوضع السياسي الراهن ومهام الحزب المباشرة

صاغت اللجنة المركزية في اجتماع آذار ١٩٨٩ المنطلقات السياسية والفكرية والتنظيمية، لتحرك الحزب ونشاطه في الظروف النضالية الجديدة التي تكونت نتيجة توقف الحرب العراقية - الايرانية، وحملة الابادة الكيميائية التي تعرضت لها منطقة كردستان. وكانت اللجنة المركزية، وهي تضع تقديراتها وتصوراتها للاوضاع المعقدة الناشئة تَوّاً في البلاد، في اعقاب حرب مدمرة استمرت ثماني سنوات، والتمتيز في جانبها السلبي الرئيسي بالانكسار العسكري في ساحة نشاط حركة الانصار الباسلة، تدرك مدى

الصعوبات والاعباء التي ستواجهها الحركة الوطنية برمتها، ومنها حزبنا، مما يتطلب بحثاً جاداً معمقاً لتشخيص واستيعاب ما استجد في الوضع على كل الاصعدة، لاجراء التعديلات الضرورية في اساليب الكفاح ومضامينها في معرض تقييم ملامح المرحلة الجديدة نسبياً، وتجديد مستلزمات التصدي للمهام التي تطرحها.

وأملى هذا الموقف الاحساس بالخطر المحدق، المتمثل في الاختلال الخطير في توازن القوى لصالح النظام، وتزايد فرص امرار مناوئاته السياسية، وحملاته القمعية والعسكرية ضد فصائل الحركة الوطنية، في حتمى انتصاره الحربي الموهوم اولاً، وفي جو الخيبة والاحباط والشعور بالانكسار وفقدان الأمل، الذي بدا كما لو انه يسود اوساطاً واسعة من الحركة الوطنية العراقية، والكردية منها خصوصاً، ثانياً، مما يحتمل ان يتحول بفعل عوامل عديدة أخرى إلى هزيمة سياسية يصعب تجاوز آثارها بسهولة.

وليس من السهل في ظروف الصراعات الدامية، التي تخوضها الشعوب، الاقرار بالتراجع والانكسار، ناهيك عن الهزيمة، ولو كان ذلك مؤقتاً وحصل في موقع لا يقرر مصير المعركة النهائية. كما يصعب في مثل هذه الظروف الاقرار بقوة العدو، سواء من حيث الوسائل والعدة، أو القدرة على المناورة للتنفيس عن الازمة المتفاقمة التي تشدد الخناق عليه، دون ان تتوفر، بعد، عوامل تفجيرها لحسم المعركة ضده، ولو ان مثل هذا الاقرار، في ظل توازن غير موآت، من شأنه اتاحة فرص ثمينة لاعادة اصطفاف وتجميع القوى استعداداً لمعارك آتية لا ريب.

ويصبح اتخاذ مواقف تاريخية مسؤولة أكثر صعوبة أمام الاحزاب الثورية، خصوصاً حينما يتعلق الأمر باجراء تعديل أو تغيير في الاساليب والشعارات، أو اعادة ترتيب في التوجيهات البرنامجية الآتية، يوحي كما لو انه تخل عن الهدف الرئيسي، أو ارتداد ونكوص عن النضال الصعب، وسقوط في كمائن الوهم السياسي.

وفي ظل الظروف الملموسة لبلادنا حيث تستبج فيها الدكتاتورية الشعب والوطن والارواح والشروات والاعراض والقانون والدولة، ويخضع كل شيء لارادة الدكتاتور الفرد، يحتاج الحزب والحركة الوطنية ومناضلوهما إلى قدر غير اعتيادي من الجرأة السياسية الثورية لاتخاذ أي موقف يتعلق بمجرى الصراع، جتى وان كان في نهاية الأمر يستجيب لتحقيق ذات الاهداف والتوجهات الثورية.

كانت هذه المؤشرات تسود الاجواء السياسية عشية اجتماع اللجنة المركزية لحزبنا في آذار ١٩٨٩. وفي تلك الفترة بالذات، أخذ النظام ينشط مناوئاته السياسية، التي بلغت أوجها في الحديث عن التوجه لاقرار «التعددية السياسية والحزبية» و«اعلانات العفو» المتكررة، والعزم على اجراء «الانتخابات الحرة» و«اشاعة الديمقراطية»، وغيرها من

القرارات والتصريحات والمبادرات.

وتوجه رسل ووسطاء مكلفون ومبادرون لاقتناع الاطراف السياسية في المعارضة الوطنية «لاقتناص الفرصة والاسهام في اعادة بناء الوطن»، والحياة السياسية في ظل الحريات والتعددية التي يجري التمهيد لها تشريعياً حسب الاعلان الرسمي . واقرنت هذه «المبادرات» و «الوعود» و «الاعلانات» بحملة تمويهية مضللة واسعة لدى اوساط وشخصيات مؤثرة في حركة التحرر الوطني العربية ، واوساط صديقة دولية ، تستهدف اخراج الحركة الوطنية العراقية ، والايعاء كما لو انها ترفض ابداء أي مرونة في مواقفها للمشاركة في اخراج البلاد من ازمته، واتخاذ مواقف مسؤولة تحقق «المصالحة والوحدة الوطنية» .

وكانت اصداء هذه الحملة التفضيلية تتردد في مناسبات عديدة وتنطوي على لوم الحركة الوطنية على مواقفها السلبية من «مبادرات النظام» ، كما لو كانت هناك حقاً مثل هذه المبادرات والعروض . وكان من الصعب اقتناع اوساط غير قليلة عربية وغير عربية بلا جدية دعاوى صدام حسين بالمغف والمصالحة الوطنية والحوار والتعددية السياسية والانتخابات . وكان من الصعب للغاية اقتناع بعض هذه الاوساط بعمق ازمة هذا النظام ، وحق شعبنا في ممارسة كل أشكال النضال للخلاص منه ، لاسباب عديدة ، وخصوصاً في جو «الانتصار القومي» المزعوم الذي حققه صدام حسين في قادسيته المشؤومة . وفي ظل هذه الاجواء غير الملائمة ، كان على اللجنة المركزية ان تتصدى بجرأة ، ودون اوهام ، لاعلان موقفها ازاء قرارات السلطة و «مشاريعها» و «مبادراتها» ، بما في ذلك ما ورد منها مع «وسطاء» غير رسميين .

وكان امام اللجنة المركزية في اجتماع آذار ١٩٨٩ ، رغم قناعتها بان تغييراً نوعياً لم يطرأ على طبيعة النظام أو نهجه الاستبدادي أو اصراره على الاستئثار بالحكم ، ان تعلن اعتماد الحوار كاسلوب كفاحي واستعداد الحزب لاجراء أي حوار مع السلطة ، شرط ان تشارك فيه اطراف المعارضة الاساسية ، وعلى ان يكون علنياً ويستجيب لتطلعات الشعب ويحقق اهدافه في اقامة بديل ديمقراطي وسلم دائم وطيد .

وعبر الحزب بموقفه هذا عن شعوره العالي بالمسؤولية ، ومكن نفسه بذلك من اجراء تقييم شامل للمستجدات والتمهيد لتدقيق وتعديل واغناء سياسته وتوجهاته البرنامجية ، وتطوير بنيته الداخلية وتعزيزها ، آخذاً بالاعتبار الانعطافة العميقة الجارية في الحركة الشيوعية وفي العالم كله ، منطلقاً في تفاعله معها من الخصائص الوطنية وتمايز ظروف نضاله ، مستهدفاً بذلك الارتقاء بعمل الحزب كله إلى مستوى التحديات والمهام المعقدة الراهنة .

ان صدام حسين، اذا احتكمتنا إلى التجربة التاريخية، ووقائع الحياة الصلدة، وهو يكرر اعلان «العفو والتعددية والمصالحة والحريات»، ظل يراوح في مكانه ويدور في حلقة مفرغة، لا تتعدى حصيلتها مواصلة السعي لتفضيل الرأي العام العراقي والعربي والدولي، بتوهماً انه بذلك كلي القدرة للتغطية على نهجه وسياسته التي تتعارض مع أي مسعى لاجراج البلاد من المأزق الذي دفعها اليه.

والنتائج الفعلية على هذا الصعيد اصبحت واضحة للعيان، مقروءة ومرتبة ومعاشة. فالعفو الذي جرى اعلانه وتكراره، بصنيغ مختلفة، لم يسفر إلا عن عودة نسبة ضئيلة من المهجرين، بمن فيهم الاكراد الذين عادوا من تركيا. واغلبية هؤلاء العائدين تعرضوا إلى انتهاكات صارخة ومصائر بعضهم غير معروفة حتى الآن. بل ان هذا «العفو» الذي فشل في استدراج مئات آلاف المهجرين والمهاجرين لم يوقف اتساع الهروب والهجرة إلى خارج الوطن، حتى باتت اعداد تجمعات المهجرين والمهاجرين تقارب المليون مواطن عراقي، وهم يعيشون، في الغالب، في ظروف بالغة القسوة، حيث الغربة القاسية وضنك العيش والتشرد والحنين الموجه إلى ارض الآباء والاجداد، إلى الوطن الحبيب.

وتسارعت التطورات بالاتجاه الذي يكشف عن طابع المناورة المؤقت لدعوة النظام الخجولة للحوار. وخلافاً للمنطق فان قرارات «العفو» المعلنة، و«التعددية» اقترنت بالمزيد من القرارات والقوانين والتدابير العملية التي شددت الارهاب بوتائر لم يسبق لها مثيل ليشمل آلاف المصريين العاملين في العراق، وليطال «ابطال القادسية» نفسها من حملة «الايواسة» و«شارات النصر»، من الجنود وضباط الصف والضباط الكبار، دون ان ينجم منها ذور القربى من افراد العائلة الحاكمة نفسها.

واتخذ الارهاب في ظل هذه السياسة طابعاً شمولياً نوعياً، بالارتباط مع تهديم مدينة قلعة دزه وقصباتها، وعمليات التهجير التي لم يسبق لها مثيل، وهدم المدن والقصبات الكردستانية واخلاء المناطق الحدودية مع ايران وتركيا وسورية بعمق ٣٠ كم، وما رافقها من تصفيات جسدية وعذابات لا حدود لها تعرض لها ابناء الشعب الكردي، وكذلك الحملة الارهابية على منطقة الاهوار في اوائل هذا العام.

وتجلت الحملات الارهابية المشتدة بجوانبها المختلفة، في الاعدامات والتصفيات الجسدية والاعتقالات في شتى مناطق البلاد، والاحالات العسكرية على التقاعد، والتنقلات الواسعة في صفوف قيادات القوات المسلحة، وفي مواقع فرقها واستمرار التآكل في الاسرة الحاكمة.

وظل الوضع في البلاد يتدهور على كل صعيد، منذ ايقاف القتال، حيث تعمقت تفاعلات ما بعد الحرب، وبدأت التساومات تتشكل بمزيد من الوضوح حول مختلف

القضايا التي تتعلق بالحرب ونتائجها المأساوية التي شملت سائر ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية. وفيما حاول النظام الحيلولة دون تفاقم الصعوبات بإجراءات إدارية تنفيسية، ازدادت المصاعب الحياتية لشرائح متسعة من المجتمع لتشمل كل ذوي الدخل المحدود، بمن فيهم الغالبية العظمى من موظفي الدولة، وتجسدت هذه الصعوبات في ارتفاع معدلات التضخم، وما يتمخض عنه من ارتفاع جنوني للأسعار، واختفاء الكثير من المواد، مضافاً إلى كل ذلك أعباء الضرائب والسوق السوداء، وانضمام الآف جديدة من المسرحين وغيرهم إلى جيش العاطلين عن العمل وسوق العمالة المأزومة أصلاً.

إن المظهر الأكثر أهمية، من وجهة سياستنا ومن حيث عواقبه وتأثيره على تحديد المضمون السياسي لتوجهات النظام وانعكاسها على نشاط ومواقف قوى المعارضة، تمثل بشكل صارخ فيما تمخضت عنه ادعاءات رأس النظام وقراراته حول «نقل البلاد إلى الحياة الديمقراطية» و«إقرار التعددية»، وإجراء «الانتخابات البرلمانية»، وما اقترن ويقترن بذلك كله من صخب إعلامي.

إن محاضرات مناقشات «مجلس قيادة الثورة»، المنشورة في أواخر كانون الثاني ١٩٩٠ تعرض بشكل ساطع مفهوم صدام حسين «للمديمقراطية». فهذه المناقشات تفضح إصراره على رفض أي تراجع حقيقي مهما كان جزئياً، بل وتظهر الإصرار على تزيين صورة الدكتاتورية بمواصلة ممارسة ذات السياسة بأساليب وأشكال جديدة، وتكشف طبيعة التطبيقات «الديمقراطية» التي يسعى لانتهاجها، لصدر رياح التغيير والديمقراطية التي تحتاج العالم.

وتشدد مطالبات أعضاء المجلس على الضوابط «المبدئية» التي تبدو بصورة اشتراطات واستثناءات تشمل جميع الأحزاب والقوى الوطنية المعارضة.

وصدام حسين لا يفكر بإعطاء حق العمل السياسي الحزبي، على حد تعبيره هو نفسه في المحاضر المشار إليها سابقاً، إلا لمن يركضون مع حزبه «ضمن إطار ومنطلقات ثورة تموز ومفاهيمها» (المقصود بالثورة سيطرة حزبه على السلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨). إذ «على أساس هذه المفاهيم تفتح المجال أمام من يريد أن يؤسس أحزاباً». و«الاطار لتشكيل أحزاب جديدة هو فكر الثورة» والأحزاب التي يريد «أن يتعامل بحرص مع تجربة الثورة والقادسية وإنجازاتها».

ومن أبرز جوانب هذه التجربة سيطرة زمرة ضئيلة تأتمر بأمر صدام نفسه هي «مجلس قيادة الثورة»، الذي يريده صدام أن يظل «المؤسسة السياسية العليا في الدولة التي تنبثق عن قرار من القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي». ولا يكتفي بكل هذا ويقول

بالنص، بشأن الدستور الذي يريد فرضه على الشعب في ظل الاوضاع الدكتاتورية السائدة في البلاد: «وعلينا ان نضع مادة في الدستور، وان تكون سارية المفعول لعشرين سنة في الاقل تقضي بان كل واحد ليست لديه اسهامات في القادسية الثانية، لا يسمع له بالانتماء لهذه الاحزاب ويتأسسها، في الاقل، وكل مفصول من حزب البعث العربي الاشتراكي لا يسمح له بالانتماء إلى الاحزاب على الاطلاق، وكل محكوم من محكمة الثورة...».

فهل لكل هذا صلة بالديمقراطية التي ينشدها شعبنا، وبالتغيير الديمقراطي الحقيقي الذي بات مطلباً لكل الحريصين على مصالح الشعب والوطن؟
ان خلاصة خطة صدام حسين في التعددية يمكن ان تتمثل في الآتي، استناداً إلى مناقشاته مع اعضاء القيادة:

١ - حصر حق تشريع الدستور الجديد في يده ويد اللجان التي يختارها، أي حصر هذا الحق في يد حزب البعث الحاكم.

٢ - اجراء «انتخابات» للمجلس الوطني قبل اعطاء حرية للاحزاب.

٣ - اعطاء «حرية» اقامة احزاب بشرط التزامها بفكر «الثورة»، وبشرط مساهمة مؤسسيها واعضائها في القادسية.

٤ - التأكيد على اقامة نظام رئاسي مع سلطات استثنائية للرئيس.

وإذا كان «التغيير الديمقراطي» الذي يعدنا به صدام حسين، لا يلي الجد الأدنى من التطلعات الديمقراطية، وإذا كان مجرد اجراء تجميلي، أو مناورة تفتيس، وإذا كان الحوار المنشور والخلافات المعلنة داخل القيادة الحاكمة هو مجرد مسرحية، فما هي العوامل الدافعة لاجراء هذه المسرحية بالذات؟ الجواب عن هذا هو ضغط الظروف الموضوعية وتوتر الوضع الداخلي، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً، وانطلاق تيار التعددية عالمياً وعربياً (رغم تفاوت اشكاله ودرجاته وظروفه ونتائجها) الذي يخلق بيئة داعمة ومشجعة لما يمرر تحت سطح المجتمع العراقي.

وعليه فان مناورة صدام حسين تقود إلى تعددية شكلية وواحدية فعلية، وهي في جوهرها استباق لاحتمالات انفجار التوتر.

ولا يمكن بل لا ينبغي التقليل من الاثر التخديري للديماغوجيا الرسمية، خصوصاً وان قوى المعارضة، بما فيها حزينا، محرومة من وسائل الاتصال بالرأي العام للمتعبئة والتنوير. ان من الصعب ان نحدد بدقة مدى التأثير المخدر لهذه المناورة على مختلف القطاعات الجماهيرية. ولكن يمكن الافتراض، من جهة، ان لها صدى معيناً. ومن جهة أخرى، لها اثر معاكس من الشك والريبة، لدى القطاعات التي تعرف طبيعة النظام والاعيبه وسطوة اجهزته والتي تفقد الثقة بكل من يبيد ثقة بالنظام، حتى وان كان ذلك من باب

التعاطي التكتيكي قصير الامد.

وعليه ينبغي لتكتيكاتنا السياسية العملية ان تركز إلى جملة حقائق علمية (نظرية) تتعلق بمجمل خصائص النظام المكشوفة تاريخياً، وعدم امكان انتقالها سلمياً إلى بيئة سياسية متعددة دون هبة أو ضغط جماهيري مؤثر، من جهة، وان تركز، من جهة أخرى، إلى امكان وجود ثنائية القطاعات المخدرة ديماغوجيا والقطاعات الرافضة لأي تعاط مع النظام، وضرورة ان تنعكس تكتيكاتنا المرنه هنا، في عملنا الدعاوي والتحرضي (الاعلام) بطريقة تأخذ بعين الاعتبار هذين المزاجين اللذين يعكسان، موضوعياً، الطبيعة المزدوجة لتحرك النظام نفسه.

ونشدد على ذلك لأن التحرك والمبادرة وابداء المرونة ازاء مناويزات النظام تجري في وضع صعب، وضع انحسار حركة الانصار، وتفاقم الاعباء النفسية وشعور الاحباط الناجم عن ذلك، وكذلك الناجم عن جملة التطورات في البلدان الاشتراكية، وتأثيراتها السلبية على المزاج الجماهيري، بوجه عام.

وقبل الدخول في اشكال التكتيكات الممكنة ينبغي تثبيت جملة حقائق:

١ - ان نظام الحزب الواحد، والديكتاتور الفرد، لا يتلاءم تلاوفاً معقولاً مع حاجات التطور الرأسمالي. فالدولة، ازاء كل رأسمالي منفرد، هي كائن كلي الجبروت، ويضطر الرأسماليون إلى اسلوب الرشوة، والمصاهرة، والتقسام مع اقطاب النظام واقربائهم وازلامهم للحفاظ على فرصهم، أو لمجرد النجاة بجلدهم احياناً.

من ناحية أخرى تمتد شبكة العلاقات الاسرية والعشائرية لاقطاب النظام لتكون قناة للحصول على المقاولات وشراء المؤسسات بابخس الاثمان، فئة رأسمالية جديدة تقوم كفاءتها في درجة القربة مع النظام، مما يضعف الفئات والقطاعات الاخرى من الرأسماليين.

كما ان سطوة الاجهزة وانفلاتها يضعان حتى المصائر الشخصية للرأسماليين في مهب الريح، رغم ان النظام يضمن، من ناحية ثانية، ضبطاً صارماً لقوة العمل يخدم، في جانب، اسكات أي تحرك للعمال لتحسين الاجور وشروط العمل، ويؤدي، في جانب، إلى توتير الجو الاجتماعي مما يهدد بالانفجار.

٢ - ان الانتقال إلى التعددية في بلدان العالم (تشيلي، جنوب افريقيا، الباكستان وقبلها ايران عام ١٩٧٩) وفي البلدان العربية (الجزائر، تونس، وموخرأ الاردن)، بل حتى في البلدان الاشتراكية، لم يتحقق دون هبات جماهيرية ودون تضحيات جسام، ودون بحار من الدم احياناً، لتغيير ميزان القوى بين الشعب والسلطة. صحيح ان النقلة للتعددية جاءت احياناً باستجابة من النخب الحاكمة (الجزائر، الاردن) لكن الاستجابة لم تتحقق

بدون ضغط قاعدي هائل قد يتخذ في العراق صوراً مرعبة، تفوق ما حصل في (الجمعة الحزينة) في طهران ١٩٧٨، وتفوق ما حصل في رومانيا. وينبغي لتكتيكاتنا ليس فقط (أ) ان تراعي المزاجين المتناقضين جماهيرياً، بل أيضاً (ب) مصالح العمال والفلاحين في مناخ ديمقراطي لتحسين شروط عيش وعمل معقول، في ظل المستوى المتاح من التطور الراهن (ج) مصالح عموم الفئات الشعبية في التعبير عن مطالبها الاجتماعية وتطمين جانب من مصالحها الاساسية (د) مصالح الرأسمالية المتنامية في توفر مناخ ديمقراطي بحدود معينة، وسلمي للنشاط المنتج.

٣- ان كل تكتيكات الحوار، والهجوم السياسي، ينبغي ألا تتقاطع مع مساعي الاعداد لهجوم شعبي، أي كانت صبغته، سلمياً أو عنفياً، يستهدف تحقيق البديل الديمقراطي، بل ينبغي ان تخدم هذا المسعى، الذي لا يجوز اخفاؤه لا عن الحزب ولا عن الجماهير، واستخدام هذا ايضاً لاحداث فرز في قاعدة النظام الاجتماعية، من جانب، وقاعدته السياسية من جانب آخر (قواعد الحزب الحاكم، بعض كوادره القيادية)، والتذكير بمصير حزب (راستاخين) وجهاز السافاك وغيرهما.

هذه هي العناصر الثلاثة التي ينبغي ان تركز عليها معركتنا.



ان التناقضات التي تجيش في خلايا المجتمع العراقي لا تتوقف، لا على رغبة الحاكمين ولا على رغباتنا. وتحسس النظام، رغم تبجحه بالنصر العسكري - السياسي من جهة، واعترافه ببعض جوانب الازمة الاقتصادية، من جهة أخرى، بتحسس التوتر الاجتماعي ويحاول استباقه بالالتفاف عليه.

وتتركز التناقضات الاجتماعية - الاقتصادية في مظاهر عديدة لخصها تقرير اللجنة المركزية (أذار ١٩٨٩) في 'الحرب وتفاعلاتها، واستحقاقاتها السياسية والاجتماعية والعسكرية والنفسية، وحالة اللاسلم واللاحرب'. وفي حالة الارهاب المنفلت سياسياً واجتماعياً وقومياً وطائفياً ودينياً.

ان ضعف الاعمال الجماهيرية الملموسة الآن حقيقة واقعة، ولكن حضور التناقضات العميقة حقيقة واقعة هي الأخرى. ولا يمكن للواقعية السياسية ان تنطلق من الحقيقة الاولى وتترك الثانية، أو تنطلق من الثانية دون أخذ الاولى بنظر الاعتبار. فكلا الحالين جزئي ويقودنا إلى مصاعب سياسية جدية. فالحال الاول يقودنا باسم الواقعية إلى الاستسلام الكامل، والحال الثاني يقودنا باسم ثورية (كامنة) غير متحققة، بعد، إلى الانفصال الكلي عن الواقع. ونلاحظ هذين الميلين في المحاكمات والتفسيرات وسط كادرا ووسط الحركة الوطنية.

ان قدرة الحزب على ادراك حركة الاحداث واتجاهها، عبر المتابعة الدقيقة، العلمية المتأنية، الآنية والبعيدة، من شأنها ان تتيح له رسم تكتيكات واقعية ثورية تسمح بالتعبئة التدريجية للقوى التي لها مصلحة الآن، أو التي ستكون لها مصلحة محتملة (لحماية الذات مثلاً) في أي تعديل أو تغيير ديمقراطي، جزئي أو جذري.

ومن شأن الرسم الصحيح للمهمات وشرحها بلا كلل لقواعد الحزب ولجماهيره وابطالها إلى الجماهير العريضة، وإلى قواعد الحزب الحاكم، وإلى أوسع الفئات الاجتماعية، ان يسهم، مع الاشكال التنظيمية الملائمة، في بناء الضغط المتواصل، وصولاً إلى الضغط الشامل، فالهبة الجماهيرية، لتحقيق اختلال التوازن لغير صالح النظام، واجبار اقطابه، حماة البنية الدكتاتورية الواحدة، على اخلاء الموقع كلاً أو جزءاً. ويمكن تحديد جملة من هذه المهمات الاساسية بـ:

أ - النضال من أجل انتهاء حالة الحرب بين العراق وإيران وإقامة سلم وطيد بينهما، بما يخدم مصالح البلدين ويضمن سيادتنا الوطنية.

وتنفر عن هذه المهمة وترتبط بها مهمات أخرى: التبادل الشامل للاسرى والانسحاب إلى الحدود الدولية للبلدين وحل نزاع الحدود، بما فيه موضوع شط العرب، بالطرق السلمية وفقاً لقرار مجلس الأمن ٥٩٨، وتسريح المجندين المتطوعين لحياة مدنية سلمية وتوفير فرص عيش كريم لهم، واعانة المعوقين والمشوهين واسر الضحايا على ايجاد فرص عيش مضمون، والكف عن بناء صناعات عسكرية ضخمة تتبلغ اموالاً هائلة نحن احوج ما نكون إليها للبناء السلمي.

ان حل قضايا الحرب والسلم، وبناء سلم وطيد يقوم على احترام السيادة الوطنية، فعلاً لا قولاً، وعلى تطمين الحقوق الوطنية لبلادنا، وتوسل الوسائل السلمية لذلك، وتوجيه الموارد المادية والبشرية وجهة البناء السلمي لا البناء العسكري المفرط، وغير المبرر، ان ذلك كله يقتضي، قبل كل شيء، توفر مناخ ديمقراطي يتيح للشعب ان يأخذ هذه القضايا بين يديه، لا ان يتركها للتلاعب والمناورات والتسويق والمماطلة.

ب - سياسياً:

المطالبة باقامة نظام سياسي ديمقراطي يقوم على حرية العمل السياسي والحزبي والمهني والنقابي، وحرية الصحافة والتعبير والاضراب والتظاهر، وحرية العبادة والضمير الخ، واجراء انتخابات حرة، نزيهة، في إطار دستور يشترع ممثلو كل أتيارات والقوى السياسية والاجتماعية، واقامة نظام برلماني على أساس التمثيل النسبي، وحل كل الهيئات التي تعلق على هذه الهيئة التشريعية العليا (البرلمان)، وضمان مبدأ الفصل بين السلطات وخضوع السلطة التنفيذية للمحاسبة من قبل مجلس الامة (البرلمان) والأخذ بنظام انتخاب

الرئيس من البرلمان. وباختصار اقامة دولة القانون، ودولة حقوق الانسان ودولة الحريات.
ج - اقتصادياً - اجتماعياً

وضع برنامج يخدم في الاساس مهمات النهوض بالانتاج الوطني، بمشاركة الدولة والرأسمال المحلي الكبير والمتوسط والصغير ومشاركة مختلف المنتجين بهدف تطوير القوى المنتجة في بلادنا، والتعاون مع الرأسمال العربي، والمؤسسات العالمية الرأسمالية وغير الرأسمالية في إطار النشاطات المثمرة انتاجياً، أو غير المنتجة لكن الضرورية للانتاج، ودعم كل الفئات الاجتماعية التي تعمل في هذا الاطار وتميزها عن النشاطات ذات الطابع الطفيلي غير المنتج. وحماية مثل هذه الوجهة في التطور تتطلب مناخاً ديمقراطياً يوفر العلمانية.

ان التطور الرأسمالي يمتلك، إلى جانب وجهه الايجابي (النهوض باقتصاد البلاد ورفعها حضارياً)، وجهاً سلبياً هو الآثار الاجتماعية والاقتصادية على جماهير العمال وكل الشغيلة، التي ينبغي حمايتها بالحدود الممكنة لمستوى التطور الراهن، والتي تحتاج إلى اطر مهنية ونقابية لحماية مصالحها، ورفع مستوى معيشتها، وتأمين شروط عيش كريم لها، وعقد عمل جماعية، لضمان تناسب الاجور مع الارتفاع الفاحش للأسعار الذي لم يسبق له مثيل.

ان الانتقال إلى بنية سياسية - ديمقراطية لن يكون، هو بذاته، المفتاح السحري لحل كل المعضلات، معضلات الحرب والمديونية، والازمة الاقتصادية، والارهاب، والاضطهاد القومي. لكن هذا الانتقال هو وحده الذي يخلق الممهدات لحلها، أو التعاون لحلها، في اجواء الحوار الديمقراطي ومناخ الحريات.

ان كل يوم يمر مع بقاء هذه المعضلات وتفاقمها يزيد من احتمالات انفجار ونخيم قد لا يتسرك فرصة حتى لقواعد بعض قادة الحزب الحاكم، ممن ينشدون التغيير الديمقراطي، ويعانون هم أيضاً من سيف الارهاب المسلط عليهم، إبعاداً واعداماً وقتلاً وتشريداً. ان هؤلاء مدعوون إلى الاسهام في النضال، قبل فوات الاوان، من أجل انقاذ البلاد مما آلت اليه بسبب الدكتاتورية والحرب والطائفية المقيتة والسياسة الشوفينية ضد الشعب الكردي والأقليات القومية.

وعليه ينبغي النضال من أجل:

١ - الغاء الاوضاع الاستثنائية، واطلاق سراح جميع المعتقلين والسجناء السياسيين.

٢ - السماح بعودة المهجرين والمهاجرين من ابناء الوطن، وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم.

٣ - اطلاق الحريات الديمقراطية، من حرية صحافة وتنظيم حزبي ونقابي، وحريات اضراب وتظاهر وتجمعات.

٤ - ضمان ممارسة الشعب الكردي لحقه في الحكم الذاتي الحقيقي وازالة كل ما لحق بكرديستان العراق وابنائها من تهجير وتخريب وملاحقة وقمع.

٥ - الغاء المؤسسات القمعية والاجهزة السرية، واحترام استقلال القضاء ومقاضاة مرتكبي جرائم التعذيب والقتل والمسؤولين عنها.

٦ - احترام حرية الفكر والعقيدة والدين والمذهب.

٧ - الغاء قانون الحزب القائد، والمؤسسات غير المنتخبة، مثل مجلس قيادة الثورة.

٨ - تشكيل حكومة وطنية تضم كل القوى السياسية، تتولى اجراء انتخابات حرة مباشرة على اساس قانون ديمقراطي لانتخاب مجلس تأسيسي يشرع دستوراً ديمقراطياً، ويثبت الاسس القانونية لحياة ديمقراطية راسخة.

٩ - الخروج من حالة اللاسلم واللاحرب، وتثبيت خيار المفاوضات السلمية من اجل تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨، بما يضمن مصالحن الوطنية، ويحفظ حسن الجوار بسلام وطيد وعادل يؤمن تبادل الاسرى سريعاً وعودتهم الى اسرهم، وتسريح المجندين التواقين الى الحياة المدنية الآمنة، وتأمين فرص العيش الكريم لهم وللمعوقين من ضحايا الحرب.

١٠ - تطوير الاقتصاد الوطني في كل المجالات ووقف سياسة النهب والتبذير وضمان فرص المساهمة المضمونة لكل النشاطات المنتجة، بما يخدم تطوير بلادنا، وزيادة الانتاج، بما يؤمن من احتياجات الجماهير الشعبية وتأمين فرص عمل كافية لكل القادرين عليه، وضمان تقدم بلادنا الحضاري والعلمي.

١١ - تلبية مطالب العمال بزيادة الاجور ووقف الانتهاكات والتجاوزات التي يتعرضون لها عن طريق اطالة يوم العمل وفرض الاستقطاعات والغرامات التعسفية عليهم. والسماح لعمال قطاع الدولة باستعادة تنظيمهم النقابي، وباقامة تنظيم نقابي للموظفين يدافع عن مصالحهم، وضمان استقلالية التنظيم النقابي.

١٢ - رعاية مصالح الفلاحين بتأمين الارض لمن لا أرض لهم، والعمل على رفع مستوى معيشتهم المادي والثقافي.

خاتمة

ان حزبنا الشيوعي العراقي يسعى ، بجد ، لاستنهاض كل قوى شعبنا للخلاص من الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي . ويعتزم التصدي للنهوض بهذه المهمة ابتداءً بتدقيق سياساته ، هو بالذات ، واغنائها بالشعارات التي تنسجم مع تطور الاوضاع داخلياً وعربياً وعالمياً ، والامكانيات النضالية المتاحة . وبالعمل على تمتين اوضاعه الداخلية بتجنيد طاقات كل رفاقه واصدقائه ومؤازريه ، وعودة كل الذين مايزالون منشدين الى مثل الحزب وتاريخه النضالي ، الى صفوفه ، ويدعو الجميع للاسهام في تحقيق هذه المهمة النبيلة .

وسيبدل حزبنا كل ما يملك من طاقة للتعاون مع الاحزاب والمنظمات والقوى الوطنية لبناء العراق الجديد ، عراق السلم والديمقراطية والازدهار ، عراق الحريات ودولة القانون والحكم الذاتي الحقيقي للشعب الكردي .



_____ نحو المؤتمر الخامس لحزبنا - آراء ومناقشات

الديمقراطية داخل الحزب

_____ لقاء مع الرفيق كريم أحمد _____

تجري داخل حزبنا الشيوعي العراقي، منذ مدة ليست بالقصيرة، نقاشات واسعة وحيوية لمختلف القضايا السياسية والفكرية والتنظيمية في حياة الحزب. ويغتنى هذا النقاش بالآراء والاجتهادات العديدة.

ومن القضايا التي تستأثر بالاهتمام مسألة الديمقراطية في الحياة العامة واشكال ممارستها. وفي إطار هذا النقاش اجرت «الثقافة الجديدة» لقاء مع الرفيق كريم أحمد عضو المكتب السياسي تركز الحديث فيه لهذه المسألة، آملين استمرار النقاش حولها من قبل الشيوعيين وسائر الوطنيين الطامحين إلى البديل الديمقراطي.

الديمقراطية هدف رئيسي للشيوعيين

● منذ بضع سنوات يعير حزبنا، في وثائقه وأدبياته وشعاراته، اهتماماً متزايداً لقضية الديمقراطية السياسية. هل يمكن القول انها سياسة جديدة أو تجديد لسياسة قديمة. تعرضت لنوع من الازهال؟

- من المبادئ الرئيسية للماركسية اللينينية التي تشاد على أساسها الاحزاب الشيوعية ممارسة النضال لتحقيق اهدافها، إلا أن السلطات البرجوازية الحاكمة واجهت نضالات

الجماهير الشعبية السلمية بالعنف ولم تترك لها خياراً آخر غير مقابلة هذا العنف بالدفاع عن نفسها والسير قدماً لتحقيق اهدافها وبالساليب الكفاحية العنيفة كرد فعل لاستخدام السلطة العنف الرجعي . ان النضال من أجل بناء النظام الاشتراكي هو، في جوهره، نضال من أجل الديمقراطية السياسية والاجتماعية . فسواء تهيأت الظروف لكي تواصل الجماهير الشعبية نضالها بالوسائل السلمية أو فرض عليها ان تلجأ إلى استخدام اسلوب النضال العنفي ، فان الديمقراطية السياسية ضرورة لا بد منها كيما تتحقق الاهداف النهائية للطبقة العاملة وجماهير الشعب الكادحة . ولقد كان لينين دائم التأكيد في كتاباته على انه لا يمكن للطبقة العاملة ان تتقدم في نضالها وتحقق اهدافها ، وان تبني الاشتراكية دون تحقيق أوسع ديمقراطية تستند إلى أوسع قاعدة شعبية .

وعلى هذا الاساس كانت الديمقراطية شعاراً رئيسياً وهدفاً استراتيجياً لحزبنا منذ نشأته ، قبل ٥٦ عاماً . وقد نظم حزبنا منظماته والجماهير الشعبية وقاد نضالاتها المتواصلة لانزعج الحريات الديمقراطية ولإقامة حكم وطني ديمقراطي يضمن لشعبنا ، لجميع طبقاته وفئاته الوطنية والسياسية والقومية والدينية المختلفة ، حرية التعبير عن آرائه ، وإظهار مواقفهم وطرح مطالبهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعاشية والعمل على تحقيقها عن طريق الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية واجهزة الاعلام والبرلمان والاجتماعات والمظاهرات والاضراب . . . ديمقراطية تتسع للجميع وعلى الجميع ان يأخذوا مسؤولياتهم فيها لبناء عراق جديد .

لقد كان حزبنا يدعو على الدوام إلى ان تكون الممارسة الديمقراطية نهجاً ثابتاً في حياة شعبنا وبلادنا ، وطالب ويطالب بنزح وتحريم جميع اساليب القمع والارهاب والقهر السياسي والقومي والطائفي . وأخذ هذا الهدف موقع الصدارة في نضال الحزب وشعاراته وسياسته وبرامجه ، وقدم في سبيله قوافل الشهداء من مؤيديه ومؤزريه واعضائه وكوادره وقادته . ذلك ان الحكومات التي تعاقبت على السلطة في بلادنا هي التي حالت دون تحقيق الديمقراطية التي تطلع اليها شعبنا وقواه الوطنية وعن طريقها توضع الحلول لمعضلات شعبنا وبلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية ويزول التمييز الطائفي .

ولم يكن حزبنا يسعى إلى نيل الحريات الديمقراطية لنفسه فحسب ، بل كذلك لساير القوى والاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية والهنئية . فقد أكد على حق الجميع في المل العلني الحر ، وشجع القوى والاحزاب الاخرى وتعاون معها على تشديد النضال من أجل تعبئة جماهير شعبنا وقيادة نضالاتها لتحقيق هذا الهدف . ولم يكن الحزب يستهدف في نضاله الاستئثار بالسلطة بل دعا الجميع لإقامة سلطة وطنية ديمقراطية ائتلافية

يشترك في مسؤولية قيادتها الجميع، حسب موقع كل طرف في الحركة الوطنية الديمقراطية.

● ألا ترى ان الديمقراطية السياسية لم تكن دائماً هدفاً مركزياً لنا. ففي مراحل تاريخية محددة، خصوصاً منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حتى نهاية السبعينات كنا نركز على الديمقراطية الاجتماعية مقللين في اهتمامنا بالديمقراطية السياسية مع ان هذه هي ضمانة الديمقراطية الاجتماعية وهذا ما اثبتته تجربتنا فضلاً عن تجارب كثيرة أخرى؟

- عانى حزبنا كغيره من الجمود العقائدي، لانه نشأ في إطار الحركة الشيوعية العالمية وهو امتداد لها في بلادنا، يتأثر بها سلباً وإيجاباً لانه من نسيج ايدولوجي واحد مع اختلاف في درجة التماثل بين هذا الحزب أو ذاك مع «المركز» وقد الحقّت ظاهرة التبعية والجمود العقائدي وقيامه بتزكية مطلقة لنماذج الاشتراكية القائمة والدفاع عن ممارساتها. . . الخ الحقّت اضراً كبيرة نعاني منها حتى الآن. اذ يتطلب اليوم إعادة النظر بطائفة واسعة من الافكار والمنطلقات والمبادئ الجامدة في السياسة وفي حياة الحزب الداخلية وفي قضايا بناء الاشتراكية، حيث انطوت برامج الحزب على القفز فوق المراحل التاريخية. فحتى الثورة الوطنية الديمقراطية وتحقيق اهدافها كنا نربطها بقيادة الطبقة العاملة والحزب لها. لقد أقر المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا في وثيقة التقييم خطأ وضع التعارض بين الديمقراطية الاجتماعية والسياسة وتغليب الاولى على الثانية، واعتبار التحالف وليس الديمقراطية هو الحلقة المركزية أثناء فترة التحالف مع الحزب الحاكم.

ان حزبنا ادرك بانه يتحمل مسؤولية في ذلك. لذا فان المكتب السياسي للجنة المركزية لحزبنا عمم توجيهاته، مؤخرًا، لاحداث تغييرات جذرية في برنامجه، وقد جرى التأكيد على ضرورة تركيز البرنامج الجديد على الاهداف الوطنية والديمقراطية. ولا يعني هذا التخلي عن هدف بناء الاشتراكية البعيد في بلادنا، وانما السير نحو الاشتراكية عبر الطريق الصحيح المؤدي إليها، طريق التحولات الديمقراطية التي تساهم فيها وتشارك في تحقيق اهدافها قوى اجتماعية وسياسية عديدة. لقد أكدت لنا التجربة انه من الخطأ القفز على قضية الديمقراطية السياسية واللامبالاة تجاه القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة التي، هي الأخرى، تعنيها مسألة اقامة نظام ديمقراطي والسير قدماً معنا لتحقيق برنامج مرحلي طويل للتحولات الديمقراطية والاقتصادية والاجتماعية التقدمية. لذا فان توجيهات الحزب، وفقاً للمناقشات الجارية على ضوء المنطلقات العامة لقيادة الحزب، تستهدف انجاز مهمة كبيرة تنطوي على تغيير برنامجه ونظامه الداخلي.

النضال من أجل الديمقراطية السياسية هو نضال في سبيل الديمقراطية الداخلية

● تطرح هذه المسألة قضية الديمقراطية داخل الحزب، نحن، الحزب، ندعو إلى مشروع بديل للدكتاتورية الفاشية الحاكمة الآن في بلادنا ولكل الدكتاتوريات السابقة، ونؤكد على أننا نسعى إلى إقامة نظام حكم وطني ديمقراطي. ومن البديهي القول أن إنجاز هذه المهمة يتطلب، أول ما يتطلب، أن نكون ديمقراطيين ليس في شعاراتنا ومبادئنا حسب، بل وفي حياتنا الحزبية وبنيتنا التنظيمية أيضاً.

إن الأحزاب الشيوعية، كسائر الأحزاب الديمقراطية التي تضع في مقدمة أهدافها تحقيق نظام سياسي واجتماعي ديمقراطي، وتقدم من أجل ذلك التوضيحات الغالية، تدرك أنها يصعب عليها ممارسة الديمقراطية في حياتها الداخلية دون وجود الديمقراطية، لذا فإن نضال هذه الأحزاب من أجل الديمقراطية السياسية هو في جانب منه نضال في سبيل ديمقراطية حياتها الداخلية وشرعية عملها، وممارسة اعضائها حقوقهم واجباتهم الحزبية بصورة صحيحة في وضع سياسي مستقر تستند فيه الدولة إلى القانون والشرعية.

لم تسمح الحكومات العراقية لأحزاب الحركة الوطنية، وخصوصاً حزبنا الشيوعي العراقي، بالعمل الشرعي العلني إلا في فترات قصيرة للغاية وفي ظل تقييدات عديدة ومتنوعة. واضطر الحزب بسبب ذلك إلى العمل السري للمحافظة على كيانه ومواصلة نضاله في ظروف صعبة ترثت عليها تضييحات كبيرة، بينها حرمان الشيوعيين من الممارسة الديمقراطية الكاملة والصحيحة داخل حزبهم. فالعمل السري يعيق تطبيق الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية. ولقد أكد الحزب باستمرار على هذه الناحية، وناقش الرفيق فهذ في كتاباته، وخصوصاً كراس «حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية» هذه المعضلة مؤكداً على أن العمل السري يقلص إلى أقصى حد ممارسة الديمقراطية في الحياة الحزبية الداخلية، وعلى أن نضال الحزب في سبيل النظام السياسي الديمقراطي يهدف أيضاً إلى خروج الحزب إلى العلنية واشاعة الديمقراطية في حياته الداخلية.

لكن السؤال: هل أن العمل السري يلغي كلياً كل امكانية لدمقرطة الحياة الداخلية للحزب؟ ليس من الصحيح القول بأن لا مجال للديمقراطية الداخلية في الحزب السري. وليس من الصحيح القول أن الحزب الشيوعي السري لا يمارس الديمقراطية في حياته الداخلية. فالديمقراطية مسألة حيوية بالنسبة للحزب الشيوعي، ولا يمكنه الاستغناء عنها، سواء كان علنياً أو سرياً. ولكن يصح القول أن اساليب ممارسة الديمقراطية في الحزب السري تختلف عنها في الحزب العلني. ففي الاول تنقلص الديمقراطية وتوضع في اطر تنسجم مع سرية عمل الحزب وامنه وسلامة كيانه التنظيمي.

ويختلف الحزب السري عن الحزب العلني في واقع ان تنظيماته واعضائه وكوادره وقياداته تعاني من عدم الاستقرار بسبب الملاحقة البوليسية والاعتقالات والسجن والتصفية الجسدية والسياسية، مما يتسبب في تقليص حدود تحركه والتصاقه بالحركة الجماهيرية. كما تنقص الامكانيات اللازمة لرفع مستوى اعضائه وكوادره.

ورغم الحقبة الطويلة التي أمضاها الحزب، مضطراً، في العمل السري، فانه بذل جهوداً كبيرة، في أعقد الظروف وأقساها، من أجل ممارسة شكل من الديمقراطية يتناسب مع الظروف الشاقة التي مر بها الشيوعيون العراقيون طيلة عمر حزبهم تقريباً. ولقد حددت انظمة الحزب الداخلية نوع الديمقراطية التي يمارسها اعضاؤه حسب كل ظرف. ومن الناحية العملية عقد الحزب اربعة مؤتمرات وثلاثة كونفرنسات في اصعب الظروف.

وفي مجرى حياة الحزب الداخلية مارس الشيوعيون العراقيون، باشكال مختلفة، حقهم في رسم سياسة الحزب عن طريق مناقشتها في منظماتهم وتقديم الآراء والمقترحات والملاحظات الجماعية والفردية، ورفع تقارير دورية عن نشاطاتهم ومحاضر اجتماعاتهم إلى الهيئات الحزبية الأعلى التي تعكس بدورها، تلك الآراء والملاحظات والمناقشات إلى قيادة الحزب. وفي كثير من الاحيان كانت قيادة الحزب تطرح الوثائق المعدة للمناقشة في المؤتمرات والكونفرنسات على اعضاء الحزب وكوادره لمناقشتها ورفع حصيلة ذلك إلى المؤتمر أو الكونفرنس.

اخطاء الماضي وتطلعات المستقبل

● لكن ثمة الآن، وفي الماضي ايضاً، شعوراً لدى اعضاء الحزب بان ذلك لم يكن يتم بصورة مرضية، بل ولا حتى بالحد الأدنى المقبول، فلقد طغت المركزية كثيراً، وكانت هناك مظاهر وممارسات سلبية، وبينت وثيقة التقييم التي أقرها المؤتمر الرابع انه حتى في ظروف العمل العلني كان هناك نوع من عدم الاكتراث برأي القاعدة الحزبية في جوانب مختلفة من سياسة الحزب.

لم أرد ان أعطي الانطباع بان كل شيء في الحزب كان على ما يرام في مجال الديمقراطية الداخلية، ولكنني سمعت إلى ان عكس واقع تجربة الحزب، دون ان يعني ذلك القول بانها تجربة مرضية للشيوعيين وللحزب، ولكن أود ان أؤكد بان حزبنا كان جدياً في التوجه نحو توفير الحياة الديمقراطية في الحزب حتى في ظروف العمل السري. ان الحزب الذي يتعطل إلى الديمقراطية ويريدها لجميع الشعب وقواه السياسية والاجتماعية المختلفة لا يمكن له إلا ان يكون هو نفسه حزباً ديمقراطياً حقاً. وتجربة حزبنا بالنسبة إلى احزاب

شيوعية مماثلة لا يمكن إلا ان تكون تجربة رائدة، لأن تلك الاحزاب لم تستطع عقد مؤتمراتها رغم ان ظروف عملها كانت افضل من ظروف حزبنا لأكثر من عشرة وعشرين سنة وحياتياً أكثر من ذلك. فممارسة الديمقراطية تتطلب الشرعية والعلنية، ولم يكن ممكناً للعضو الحزبي ان يتمتع بمثل هذه الديمقراطية في ظل السرية واستحالة كشف الاعضاء والكوادر والهيئات والمنظمات الحزبية أمام السلطات. اردت ان أقول انه رغم الظروف القاسية عمل الحزب على اتخاذ الاجراءات اللازمة لمساهمة اعضائه في رسم سياسته، وفي ايصال رأي القاعدة الحزبية إلى القيادة باشكال مختلفة، بما فيها تأمين حق العضو الحزبي في مخاطبة القيادة مباشرة عبر رسائل مغلقة لا يطلع عليها أحد غير قيادة الحزب.

واذا أردتم رأيي الشخصي فاني أرى ان قيادة الحزب ارتكبت اخطاءً، وبينها اخطاء كبيرة، منها، على سبيل المثال، امتناعها عن عقد مؤتمر للحزب بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ رغم المطالبات الكثيرة بعقد مثل هذا المؤتمر لضرورات املاها الظروف السياسي الذي مرت به الثورة الوطنية الفتية والحركة الوطنية الديمقراطية، وخاصة الحزب، لرسم سياسته بدقة وصواب، ولتجديد الحزب، وكانت الظروف ملائمة لتعقده. لكن الصراعات داخل قيادة الحزب، ولاسباب أخرى لا مجال لذكرها هنالك حالت دون عقده. كما ان حزبنا واجه ظروفاً داخلية قاسية هي الأخرى عانى فيها، في زمن محدد، من القيادة الفردية والبيروقراطية والجمود العقائدي والتبعية الفكرية والسياسية. وانعكس هذا في سياسته وبرامجه. ومع ذلك فاني استطيع ان اؤكد بان حزبنا اتخذ، في مناسبات عدة، موقفاً جريئاً من اخطائه ونواقصه، اذ مارس النقد الذاتي بجرأة فيما يخص المسائل السياسية والفكرية وفيما يتعلق بحياته الداخلية. وجاء ذلك في تقارير اللجنة المركزية المقدمة إلى المؤتمرات والكونفرنسات وفي وثائق تقييم تجربة الحزب في المراحل السابقة.

ان مبدأ المركزية الديمقراطية الذي تعتمده الاحزاب الشيوعية، وغير الشيوعية، لا يتعارض مع وجود وتطور الصراع الفكري الداخلي ولا مع تعددية الآراء. ان المركزية كما الديمقراطية، ضرورة للحزب، السري أو العلني. فالديمقراطية بدون ضوابط تتحول إلى ليبرالية فوضوية في الحياة الفكرية والتنظيمية والسياسية للحزب، اذ لابد ان تتمحور الآراء المتعددة حول مركز معين. ومن شأن ظهور مراكز متعددة للقرار في الحزب الواحد ان يُفقد مركز القرار الشرعي، الذي جاء نتيجة التصويت له بالاكثرية، القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها، وان يُحوّل الوحدة الحزبية إلى وحدة شكلية لا معنى لها، مما يُفقد الحزب فعاليته وديناميكيته، ويجعل الاقلية تفرض ارادتها في عدم تنفيذ السياسة المقررة من الاكثرية. وهذا يتعارض، بطبيعة الحال، مع الديمقراطية، ويؤدي إلى بروز محاور ومراكز متعددة في الحزب وتمزيق وحدته، وبالتالي اضعاف حيويته وتأثيره على الاحداث

السياسية وعلى حركة الجماهير. المركزية لوحدها، بدون الديمقراطية، تقضي على حق القاعدة الحزبية الواسعة في الاسهام في رسم سياسة الحزب، وتحول دون التنفيذ المبدع للقرارات الحزبية، وتعزل قيادة الحزب عن قاعدته وعن الجماهير، وهي تؤدي إلى سيادة البيروقراطية والمحسوبية والرضا الشخصي لاختيار الكادر. كما تؤدي إلى سيادة الليبرالية وخرق الانضباط الحزبي، وظهور التكتلات، كرد فعل على المركزية الشديدة، مما يعرض وحدة الحزب إلى خطر الانقسام.

لذا لابد من الجمع الصحيح بين المركزية والديمقراطية بما يضمن توفير الاجواء اللازمة لابداء جميع اعضاء الحزب اراءهم، بما في ذلك الطلب من قيادة الحزب تعميم هذه الآراء على الحزب كله أو نشرها في الصحافة الحزبية لاطلاع اعضاء الحزب عليها ومناقشتها بجدية. وفي هذا الصدد لابد من الاشارة إلى ان الهيئات الحزبية المختلفة عندما تناقش الامور المدرجة على جدول اجتماعاتها، فان المناقشة تنتهي إلى تلخيص الآراء المختلفة والتصويت عليها، فتظهر الاكثرية والاقلية. وما يلبث ان يصبح رأي الاكثرية قراراً ملزماً للجميع، بقدر تعلق الأمر بالتنفيذ، فتزول الاكثرية والاقلية ويتحول الجميع إلى قوة تنفيذية موحدة. وهذا لن يلغي حق الاقلية في عرض رأيها مجدداً والدعاية له والسعي إلى تحويله إلى رأي للاكثرية، وبالتالي إلى قرار ملزم بالتنفيذ. كما ان التنفيذ هو محك لصواب أو خطأ القرار. وعندما يظهر، من خلال التنفيذ، ان القرار خاطيء - حتى لو اتخذ بالاجماع - فيتعين اعادة النظر فيه واتخاذ قرار جديد.

يعيش حزبنا اليوم وضعاً صعباً ويواجه ظروفاً سياسية معقدة تتميز بشدة القمع والارهاب. فمنظمات الحزب تقف في مواجهة سلطة استبدادية لا مثيل لها في العالم من حيث وحشيته. ولا يستطيع اعضاء الحزب ان يمارسوا حياتهم الحزبية التنظيمية حتى في حدودها الدنيا في اغلب المناطق والمدن والارياف والمعامل والمدارس والاحياء، اذ يصعب عليهم عقد اجتماعات منتظمة لمناقشة سياسة الحزب وتحليل اوضاع البلاد بصورة كاملة، ويتركز اهتمامهم على كيفية صيانة انفسهم ومنظمتهم واجتماعاتهم القصيرة ولقاءاتهم السريعة، وعدم الوقوع في كمائن اجهزة الامن.

وبالرغم من هذا الوضع فان قيادة الحزب تحت منظمات الحزب واعضاءه على مناقشة وتحليل الازواض السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلادنا والكتابة عنها وابداء الآراء والملاحظات والمقترحات بشأن سياسة الحزب. وهكذا فان الظرف القاسي هذا هو الذي فرض قيوداً واسعة على ممارسة المنظمات الحزبية لحقوقها، وحصرها في ادنى شكل من اشكالها.

ومن جانب آخر يوجد عدد كبير من اعضاء الحزب وكوادره في الخارج، اضطروا إلى مغادرة الوطن - أو البقاء في الخارج بالنسبة للمتخرجين - بسبب ملاحقة السلطات الفاشية لهم، ومن ثم اندلاع الحرب، مما حال دون مواصلة عملهم الحزبي السري. واضيف إلى ذلك لجوء عدد كبير من انصار الحزب المسلحين إلى الخارج بعد استخدام السلطة الاسلحة الكيماوية ضد المناطق المحررة، ومناطق واسعة أخرى، في كردستان العراق. وقد استوجب هذا كله تنظيم هؤلاء الرفاق في منظمات حزبية لممارسة حياتهم الحزبية. ورغم انهم بعيدون عن ساحة النضال الاساسية، إلا انهم يستطيعون تأدية قسطهم في النضال عن طريق تعريف اوساط الرأي العام العربي والعالمي بمحنة شعبهم وبعدها قضيتهم.. كما انهم يستطيعون رفع قدراتهم الفكرية والسياسية ومعارفهم الثقافية والعلمية، والمحافظة على شيوعيتهم. وبالمقارنة مع اوضاع رفاقهم في الداخل فانهم يتمتعون بظرف أفضل يقترب من العلنية، مما يمكنهم من ممارسة حياة حزبية شبه طبيعية تتميز بتوفر حرية أكبر للجدل والمناقشة، إن بشأن الاوضاع في بلادنا أو الاحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والفكرية الجارية في البلدان الاشتراكية وفي العالم، أو بشأن سياسة الحزب. وتقوم منظمات الحزب في الخارج بعقد الاجتماعات الموسعة والكونفرنسات والندوات لمناقشة اوضاعها ومهامها والمسائل الملحة المطروحة على الساحة الوطنية والعربية والدولية. وعدا عن هذا فان قيادة الحزب سبق لها ان اتخذت قراراً باجراء الانتخابات في الهيئات الحزبية المختلفة في الخارج عن طريق عقد كونفرنسات لا تقتصر مهمتها على انتخاب الهيئات، وانما ايضاً مناقشة سياسة الحزب من كل جوانبها وفي جميع المجالات، ودراسة المستجدات والتغيرات في عالمنا المعاصر.

نحن الشيوعيين العراقيين نوافقون إلى الديمقراطية، إن على صعيد الحياة العامة في بلادنا أو على صعيد حياتنا الحزبية الداخلية. واليوم فان هذه المسألة اصبحت مطروحة على النطاق الدولي. وتستأثر الآن باهتمام اكبر قضية الديمقراطية الداخلية في الاحزاب الشيوعية بعد ما كشفت الحقائق عن ان الديمقراطية التي كان يقال انها مطبقة في هذه الاحزاب، وخصوصاً الاحزاب الحاكمة، لم يكن لها إلا وجود شكلي. فالبيروقراطية هي التي كانت سائدة في حياة هذه الاحزاب، مما أدى إلى عزلتها عن جماهيرها. لقد تحولت الاحزاب الشيوعية الحاكمة إلى سلطات تستبد بمصائر الطبقة العاملة والفلاحين وعموم الكادحين بصورة بيروقراطية، وقدمت امتيازات لاعضائها دون الجماهير، أو بالاحرى قدمت هذه الامتيازات لقادتها وكوادرها دون حتى قاعدتها الحزبية. وقد رأينا بالتجربة ان اغلبية هذه الاحزاب لم تكن مستعدة لتصحيح اخطائها وتغيير اساليبها البيروقراطية في الحكم والحياة الحزبية الداخلية. إلا ان حركة الشارع ارغمتها في نهاية المطاف على

التخلي عن هذه الاساليب رغم ان حركة الشارع كانت تحتوي عناصر العاطفة والتسرع ودخول العناصر المعادية للاشتراكية والشيوعية وهذا ما نلاحظه اليوم في توجهات بلدان شرقي اوربا نحو الرجوع إلى النظام الرأسمالي بعد ان سيطرت الاحزاب غير الاشتراكية على الحكم في الوقت الذي كان يتعين على الاحزاب الشيوعية ان تبادر من نفسها إلى تصحيح اخطائها وتوفير الديمقراطية السياسية لكل الشعب، واشاعة الديمقراطية في حياتها الداخلية لكي تستطيع ان تزيل ركاس الاخطاء، وتنهض بمهامها لبناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية. ان الاشتراكية هي قضية الشعب الكادح كله، لا الشيوعيين وحدهم ولا قيادة الحزب الشيوعي وحدها. وتتطلب هذه الحقيقة اطلاق الحريات العامة للشعب بأسره كيما يستطيع بناء حياته الجديدة.

انها تجربة غنية، رقم قساوتها، لنا نحن الشيوعيين العراقيين ولكل الشيوعيين في العالم. ويتعين علينا الافادة منها من أجل بناء وطننا الجديد بعد الخلاص من الدكتاتورية الفاشية الحاكمة في بلادنا. ان أول وأهم ما تؤكد هذه التجربة هو ضرورة التعددية في الحكم وفي البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وفي العلاقة مع الجماهير الشعبية. يتعين على حزبنا ان ينظر إلى نفسه باعتباره مرشداً وموجهاً وليس حاكماً يستبد بمصائر الناس بصورة بيروقراطية وتعسفية.

ان حزبنا مقبل على تغيرات مهمة في السياسة والتنظيم والمسائل الفكرية المتعلقة بالديمقراطية الداخلية، تغيرات برنامجية وفي حياة الحزب الداخلية التي تعزز ثقة الاعضاء بهم وتوطد وحدة الحزب التي هي أساس قوة الشيوعيين وهي قوة للحركة الوطنية الديمقراطية ايضاً. وتبرز هذه القضايا بوضوح في مسألة تطبيق الديمقراطية الداخلية، عندما يكون واضحاً للعضو الحزبي حقوقه وواجباته، اذ يصر على ممارسة حقوقه بالكامل ومقابل ذلك يقوم بنشاط وابداع لتنفيذ واجباته.

اوائل آذار ١٩٩٠



نحو المؤتمر الخامس لحزبنا - آراء و مناقشات

حول طبيعة النظام واساليب الكفاح

انها لخطوة هامة وضرورية، تلك التي فتحت بها المجلة باباً ثابتاً بعنوانه (آراء ومناقشات) ومهما اختلفت وجهات النظر في القضايا المطروحة، فانها ستسهم بلا شك، في تغطية الآراء والمواقف المتعلقة بالقضايا الهامة التي تواجهنا على مختلف الاصعدة، كما انها تنشط السجال والحوار سعياً لصياغة المواقف والآراء الأكثر نضجاً، انه الطريق السليم فعلاً في هذا الاتجاه.

لقد أثارت مقالة د. نزيهة الدليمي (طريقنا اللاحق في النضال) جملة من القضايا والتساؤلات. وبودي ان اتوقف عند واحدة منها، نظراً لأهميتها وحساسيتها خاصة في ظروف نضالنا الصعبة الحالية، واقصد بذلك تلك المتعلقة «باختيار» اساليبنا النضالية. حيث ان «الجديد» في المقالة هو امكانية «تحقيق اسقاط نظام الحكم واقامة نظام الحكم الوطني الديمقراطي سلمياً» بعد ان تحتكم كاتبة المقالة إلى «المنطق التاريخي» باجابته الايجابية على امكانية الحركة الجماهيرية «تحقيق ايقاف أو الحد من الاعمال الارهابية للنظام».

ما ان سكنت المدافع على جبهات الحرب، حتى صعد النظام حربه الداخلية، بالتزامن مع الفترة الحرجة من المفاوضات القلقة بين البلدين، بدءاً بشن أوسع حملة اباداة ضد الشعب الكردي، هذه الحملة المتواصلة التي شهدت نقلة نوعية باباداة مدينة حلبجة وتحويلها إلى مقبرة جماعية لسكانها الأمنين، مستخدماً في معظم هجماته، الاسلحة

الكيميائية التي اكتسبتها ابعاداً بشعة، وهي سابقة لا مثيل لها في التاريخ المعاصر اذ لم يسبق لأي نظام في العالم ان استخدم اسلحة ابادة جماعية ضد شعبه بالذات .

وفي مدن الوسط والجنوب وبغداد، اشتدت وتيرة الارهاب والاعدامات الجماعية سواء تلك التي طالت المعارضين أو الهاربين من الجيش أو حملات التصفية في صفوف مؤسساته وكوادره وخاصة العسكريين منهم . (انظر/ تقرير اللجنة العراقية للدفاع عن حقوق الانسان التي نشرتها الصحف يوم ١٢/٢/١٩٩٠ «ان النظام الفاشي في العراق هو اخطر نظام قمعي منظم وانه من اهراب الانظمة القمعية في العالم»، كذلك تقرير اتحاد الحقوقيين الدولي التابعة لهيئة الامم المتحدة الأخير الصادر بصدد حقوق الانسان في العراق، تقرير جماعة «ميدل ايست ووتش» لحقوق الانسان حول المجازر الاخيرة في. الاهوار، وقصف المواطنين الابرءاء في بحيرة دوكان، وتسميم اللاجئين الاكراد في تركيا واعدام الضباط في حملة التصفيات الاخيرة). ان استمرار الارهاب المسلط على شعبنا وتضاعفه والتميز بطابعه الهمجي الذي يندر وجود شبيه له في العالم، وتعميمه ليتخذ طابعاً مأساوياً حقيقياً يشمل كل ميادين الحياة اليومية للمواطنين وليصبح عادة يومية لمجرمي الاجهزة القمعية ومظهراً سائداً في سائر ارجاء البلاد، والاستمرار في اعتباره السياسة الرسمية المعلنة والمسددة بقوة القانون، قد بددت كل تلك الاوهام (مهما كان مصدرها) والتي كانت تعزو سبب تصاعد الارهاب في فترة الحرب إلى «متطلبات» قوانين وظروف الحرب ذاتها.

وبذلك نرى ان لا شيء قد تغير بعد ايقاف القتال بين البلدين، فيما يتعلق باساليب نظام الحكم وموقفه من الديمقراطية، سوى تصاعد وتيرة الارهاب .

لذا أرى ان مقالة د. نزيهة الدليمي تتجاهل وسم نظام الحكم بالديكتاتورية الفاشية، حيث تكفي به «وهو يعتمد في تنفيذ ذلك على القوة الغاشمة العسكرية والادارية لأجهزة حكمه الديكتاتوري».

وهذا التعريف ينطبق على العديد من انظمة الحكم وبذلك يتناسى خصوصية النظام الصدامي والمتمثلة بفاشية اساليب حكمه .

وهنا نعلق على هذه المسألة ليس بهدف الدخول في المساجلات حول التسمية بحد ذاتها بقدر ما يرتبط ذلك بما يخص وبما يتطلبه رسم وجهة صائبة لاساليب نضالنا فالمعادلة هنا متشابكة وغير منفصلة .

لذا فان «أهم مسألة يجب التأكيد عليها بصدد نظام حكم صدام حسين» ليس فقط «مسألة عدم شرعية هذا النظام» بل التأكيد ايضاً على انها دكتاتورية من نمط فاشي. ان هوية الطغمة الحاكمة في العراق يُجسدها بالتحديد هذا الطابع السافر للارهاب وانفلاته وينتاجة المدمرة، واستنادها إلى اجهزة الامن والمخابرات في ادارة دفة الحكم.

ان اختيار البيروقراطية الطفيلية لهذا الاسلوب في الحكم لضمان سيطرتها الاقتصادية والسياسية قد أوصل نظام حكمها هذا إلى الحالة التي اغلقت فيها الابواب أمام أي سبيل آخر لنضال الحركة الوطنية العراقية، لذلك فان تبني اسلوب الكفاح المسلح كاسلوب رئيسي في النضال خلال السنوات السابقة كان نهجاً صائباً تماماً فرضته بالاساس هذه الوقائع المشار إليها اعلاه، بعد ان اصبح أمراً واقعاً تبنته كافة الاحزاب السياسية العاملة على الساحة العراقية وجماهيرها كما تبنته منظمات الحزب حتى قبل اقرارها في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في ١٩٨٠.

ان الانتكاسة العسكرية - السياسية الاخيرة التي واجهت الحركة الانصارية المسلحة في كردستان لم تدلل على فشل أو عدم جدوى هذا الاسلوب في النضال كاسلوب رئيسي، وإنما ظروف وتعقيدات الحرب وفاشية اساليب النظام في مواجهته الحركة الانصارية من جهة والاحطاء التي ارتكبتها القوى الوطنية نفسها، سواء تلك المتعلقة بعدم ارتقاؤها إلى مستوى المسؤولية لضمان وحدتها، أو اخطاء القوى القومية الكردية في تمويلها على استمرار الحرب وتحالفها مع النظام الايراني، أو باخطاء الحزب الشيوعي المتعلقة بالاساس (مع القوى الاخرى مجتمعة) بعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة ظروف ما بعد وقف القتال بالشكل الذي يضمن ديمومة العمل المسلح خاصة داخل المدن، سيما وان اجتماع اللجنة المركزية للحزب في أيار ١٩٨٨ قد عُقد قبل اشهر معدودة من تاريخ وقف اطلاق النار بين البلدين ولم تكن المؤشرات معدومة آنذاك بصدد امكانية وقف القتال وفي الوقت الذي احتل فيه «انهاء الحرب» الشطر الاول من شعارنا المركزي.

لذلك فان ارضية هذا الاسلوب، كاسلوب رئيسي للنضال، ما زالت قائمة، ويتطلب:

١ - ذات السبب الوارد في المقالة: «لقد دلت تجربة حزبنا وتجربة الحركة الوطنية العراقية، على ان النشاط المسلح يستطيع ان يلعب دوراً أساسياً في تغيير موازين القوى لصالح القوى الوطنية والديمقراطية اذا توجه الوجهة الصحيحة وخضع للخطة السياسية الوطنية الديمقراطية العامة». من جهة أخرى بينت هذه التجربة مدى التأثير الايجابي والواقع السياسي الفعال التي تتركه الفعالية العسكرية خاصة تلك التي تتم داخل المدينة، سواء عند خلقها الفرع والهلع في صفوف اجهزة النظام القمعية، أو صدها الواسع بين

الجماهير سواء في كسر حاجز الخوف في صفوفها أو التأثير الدعائي الهائل التي تركه وسطها.

٢ - ان تحـ يد الاسلوب الرئيسي، يضمن عدم بعثرة طاقات الجماهير والمنظمات الحزبية وتشتيتها، بل تجميعها بتركيز أكثر حول هذا الاسلوب أو ذاك.

٣ - ان تحديد الاسلوب المعين كونه رئيسياً في النضال أو أحد الاساليب الرئيسية، لا يعني بتاتا اهمال الاساليب الأخرى، بل بالعكس يشترطها، ويستوجب التعامل بدقة، وخلق تلك الآلية المرنة التي «تسهل عملية الانتقال من اسلوب لآخر بمرونة أكثر وحسب تطور الظروف».

٤ - لا أحد ينكر أهمية اطلاق عفوية الحركة الجماهيرية، وعلى العموم انها حركة موضوعية، منطلقة اليوم وستطور بحكم تطور الواقع نفسه، مهما اختلفت اشكال التعبير عنها، ولكن التعويل عليها لوحدها من أجل تحقيق «مكاسب ما في ظل الحكم الدكتاتوري إلى حد امكانية إيقاف أو الحد من الاعمال الارهابية للنظام» أمر مشكوك فيه، ولا اعتقد انه طرح ينسجم مع طبيعة الوضع القائم، حيث ان تجاهل السببة الفاشية للنظام هو الذي يقود إلى مثل طرح كهذا، إن مثل هذه الاعمال (كاشكال للحركة العفوية للجماهير) لوحدها ستسحق بماكنة الفاشية، ربما دون ان تترك (خاصة في المراحل الاولى منها) تلك الأثر إذا الابعاد السياسية المتوخاة ما لم يترافق معها، إن جاز التعبير، الفعاليات والاعمال المسلحة.

لذا بودي انؤكد انه عند استخلاص الدروس من التجارب الماضية ينبغي مراعاة الظروف الجديدة الناشئة عند محاولة الاستفادة منها. فاعتقد ان ظروف النضال في «عهد» فاشية صدام تختلف عنها في زمن نوري السعيد.

كما ان الصرامة العلمية المطلوبة عند تحليل فكرة معينة تستبعد الاستناد إلى عبارات غير معروفة كمرجع للطرح، مثل عبارة «المنطق التاريخي» الواردة في المقال. فان كان المقصود بها التجارب النضالية عبر «التاريخ»، فأنا اتساءل: كم مرة قدم لنا التاريخ نماذج للحكم كنموذج فاشية صدام حسين؟ وان وجد مثل هذا النموذج أو شيء ما يقاربه، فأني مثال يقدمه لنا «منطق التاريخ» هذا لدكتاتورية فاشية اسقطت بالاساليب التي ترسمها لنا مقالة الدكتورة نزيهة الدليمي؟

كما ينبغي عند عدم الدراية بواقع حال الظروف الصعبة والقاسية لنضال وتواجد قوات الانصار، الابتعاد عن التعامل معها كـ «غلب السردين»! القابلة للحفظ: «ومن المستلزمات الضرورية في ظروف النضال الوطني الديمقراطي في العراق، هو الاحتفاظ بالحركة الانصارية وسلاحها للقيام بمهام سياسية جديدة».

ان الواقع الجديد الذي نشأ بعد الانتكاسة، يتطلب بشكل أكثر من ذي قبل، الاهتمام بنقل العمل المسلح إلى داخل المدن.

ختاماً «ينبغي على السياسيين ان لا يلاحقوا، من خلال السكينة في مكاتبهم الخاصة وعن بعد، الازمنة المتغيرة، ينبغي ان يقتربوا أكثر من الواقع وان يحسوا بينية الحقائق المتطورة، بالذات، وهي تحتجب في الوقائع والاحداث المتغيرة».

شاهين

اواسط ٢ / ١٩٩٠

حول المركزية الديمقراطية

ملاحظات انتقادية حول مداخله الرفيق رحيم عجينة حول مبدأ المركزية الديمقراطية وجهان لميدالية واحدة، التي دارت في مجلة السلم والاشتراكية (عدد الثقافة رقم ٢١٨).

وجدت من المناسب ان أبدي ملاحظاتي هذه حول مداخله الرفيق، آملاً ان تكون مداخلتنا لاحقاً وفي مختلف المواضيع النظرية، واقعية وابداعية تعكس بامانة الجو السائد والحاجة المتنامية للتجديد والديمقراطية في حياة حزبنا الداخلية ليست منظراً ولكن ابدي عدم ارتياحي لما جاء بمضمون المداخلة.

-رفاقي الاعزاء

انه أقل ما نستطيع قوله بحق الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف، انه رائد عملية اعادة البناء في الاتحاد السوفيتي وعملية التجديد في الحركة الشيوعية، انه يعكس جراءة اقتحامية في مواجهة بُعْب الحركة الشيوعية ستالين وتعاليمه حول مفهوم الحزب التي سادت حقبة تاريخية وتركت آثارها على الحركة الشيوعية العالمية ويضمناها حزبنا. وعند ملاحظة المداخل، وبدون شك يُصاب المرء بحزن وألم عميقين، حيث ان المداخلة وكتابتها يحملان في دواخلهما خوفاً عميقاً من الستالينية وتعاليمها، ان المداخلة والمداخل لم يصدقوا عيونهم بعد بأن الستالينية وتعاليمها اتهمت بالاجرام والبيروقراطية ومسؤولة كل المسؤولية عن نمو الركود والبيروقراطية وعوامل الكبح التي تعمق تطور الحركة الشيوعية، وان البشرية أمام انعطاف تاريخي عاصف، وضمن هذه الاجواء تُعاد دراسة الكثير من المسائل التي تتعلق بالمبادئ الاساسية لبناء الحزب ومنها مبدأ (المركزية الديمقراطية) ولذا جاءت المداخلة منضبطة للماضي وليست لينينية، وبذلك بدت يتيمة، معزولة عن اخواتها من المداخلات التي امتازت بالجراءة والابداع وتعكس جو العصر، أما مداخلتنا فكانت عمومية، مُصاغة بعبارات ملساء ومحافظة، تلتفت يمنة ويسرى، خُجلة مدعية خصوصيتها، ضمن آراء ومداخلات واضحة وجريئة تخدش بوضوح الاذن وتفقاً الاعين. لماذا نخاف نقد الستالينية وتأثيراتها السلبية على حزبنا بوضوح وثاني؟ وهل ان الأدلة غير كافية بعد لحسم مثل هذا التردد في نفوسنا ومداخلتنا؟ هل كنا تاريخياً معزولين من هذه التأثيرات؟ ولماذا لم تحمل المداخلة، وهي تساهم بمناقشة أهم مبدأ من مبادئ الحزب التنظيمية مبدأ المركزية الديمقراطية، براعم العصر وضرورات التجديد، على أقل تقدير لتعكس النفس التجديدي المتنامي الصاعد في واقع حركة حزبنا الداخلية.

ان المداخلة تنبأه بركود هامد «ان أغلبية الشيوعيين في حزبنا على كل حال تُنفذ توجهات المركز حتى عندما تكون لديها مواقف انتقادية ازاءها»، وهنا لا يتساءل المداخل هل كان مثل هذا الشيء مريحاً ومقبولاً لدى أغلب الشيوعيين؟ وهل ان أغلب الشيوعيين يتبنون بهذه الطريقة بقوة الاقناع وبشكل ديمقراطي - أم بقوة القرارات والمركزية المفرطة؟ أليس هذا واقعاً لأن تعكس المداخلة تأكيداً على حاجتنا المتنامية للديمقراطية وبضرورة خلق آلية جديدة لعمل هذا المبدأ الهام؟ وهل ان المتراكم على مدى ٥٦ عاماً من عمر الحزب حقاً لا يكفي بأن نعي حاجة هذا المبدأ للتجديد وبعث الروح فيه. لكي يلائم الحاجات المتنامية داخل حياتنا الحزبية؟ أو ليس المبدأ عرضة للمط والتقلص حسب الحاجة وليس الضرورة الموضوعية؟ ويضيف ببناء منقطع النظير «فهم ينتظرون رأي القيادة التي تفكر عنهم ونصوغ النهج» اذا كان هذا هو حال أغلب الشيوعيين عندنا، فما هو حال قيادتنا؟ وهل ان قيادتنا تأخذ الرأي والنهج من مصدر أعلى منها؟ المداخلة همة لا تعكس

واقع الحزب ولا ميكانيزم التجديد النامي داخل حركة الحزب الفعلية، ولا أدري لماذا هذا الاهمال لميكانيزم التجديد الضاغط باتجاه خلق آلية جديدة لعمل هذا المبدأ بحيث لا يكون هناك قيادة تفكر وتصوغ النهج عنهم.

ابو مصطفى

* دفعا للالتباس نرى من المفيد اعادة نشر كامل الفقرة التي ورد فيها استشهاد الرفيق ابو مصطفى. ففي السياق لا تنم الفقرة عن أي تباه بل تصف الواقع وصفاً ينم عن التقدر المحرر.

رحيم عجينة: اعتبر المسألة حول مشاركة الشيوعيين العاديين في صوغ خط الحزب واغناثه، وتعديله عند الضرورة، مسألة ذات أهمية بالغة. وكل من لديه خبرة في العمل الحزبي يعرف الدور المهم الذي تضطلع به المنظمات القاعدية في معطفات التاريخ الحاسمة. ان اغلبية الشيوعيين - في حزبنا على كل حال - تنفذ توجيهات المركز، حتى عندما تكون لديها مواقف انتقادية ازاءها. ولكننا لم نتمكن من تربية روح المبادرة لدى الشيوعيين في وعي الظواهرات الجديدة في الحياة الاقتصادية - الاجتماعية والسياسية، وتقديم الاقتراحات بشأن تجديد استراتيجية الحزب وتكتيكة. فهم ينتظرون رأي القيادة التي تفكر عنهم وتصوغ النهج. ونحن نسعى الآن إلى تنشيط الحياة الداخلية بحيث تبدع المنظمات القاعدية الجديد، وبحيث يصغي الشيوعيون إلى رأي القيادة ويستوحون في الوقت نفسه مشاعر مختلف فئات الشعب وامزجتها. ذلك هو أحد متطلبات المركزية الديمقراطية.

كان من المقرر ان نُشر في العدد الحالي مساهمات الرفاق كوران وآلان ومكي في النقاش حول الدعوة إلى تأسيس حزب شيوعي لكردستان العراق. ونحن مضطرون إلى ارجاء ذلك إلى العدد القادم نظراً لصدور وثيقتي الاجتماع الكامل للجنة المركزية. وإذ نعتذر للمساهمين، نشير إلى أهمية التوجهات التي طرحتها ل. م حول المسائل الواردة في مساهماتهم.

ث ج



حول التغييرات في اوربا الشرقية

البرت بين

غومبو جافين اوتشيرات

عشية عام ١٩٩٠ اقترحت موجة التغييرات حصون النظام الاداري الاوامري المتمسك في اوربا الشرقية . ويلمح البصر طردت من المناصب القيادية كل من حاول اطالة فترة وجود الانظمة الستالينية الجديدة . وحرمت من احتكار السلطة الاحزاب التي حكمت لسنوات طويلة باسم الشغيلة . وخرجت الجماهير الشعبية نفسها إلى مسرح الحياة السياسية .

وقد اطلع قراؤنا على تسلسل هذه الاحداث المدهشة ولعلمهم انتبهوا إلى الميزة التي اتصفت بها وهي ان ضغط الطاقة الشعبية قد عجل بصورة حادة في وتيرة هذه التغييرات . ومضت تسع سنوات منذ الاضرابات العمالية الاولى التي جرت بهدف منح الشرعية الكاملة لـ «التضامن» وتشكيل حكومة ائتلافية متعددة الاحزاب في بولونيا . واحتاجت المجر لما يزيد على السنة لاجراء اصلاحات سياسية واقتصادية جذرية . وفي المانيا الديمقراطية جرت التحولات الجذرية خلال بضعة اسابيع وكانت أسرع من كل من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا . ففي براغ كانت تتغير الصورة السياسية على مرآنا . وسميت هذه التغييرات ثورة سلمية وحتى «ناعمة» . وللأسف فان التحولات لم تجر في كل مكان بدون ضحايا . ففي رومانيا اصطبغ الطريق إلى الحرية بالدماء . ولم يرد الديكتاتور وازلامه التخلي عن دفة السلطة الجائرة بشكل آخر . . .

يمكن القول بحق ان الاحداث العاصفة في اوربا الشرقية هزت العالم . وهي اضافة

إلى ذلك طرحت اسئلة غير قليلة. فما هي الأمور التي تكمن في أساس هذه التغييرات العنيفة؟ أهو التعطش إلى التجديد، وثنية المبادئ الاشتراكية من كل ما هو غريب ودخيل عليها، أم انه الرفض المتعاطف للانظمة التي اوصلت المجتمع إلى الازمة؟ وما هي الحجج التي يمكن ان يقدمها الآن انصار فكرة الاشتراكية لأولئك الذين كفوا عن الايمان بها؟ ألا تؤدي التغييرات في اوربا الشرقية إلى زعزعة الصرح العالمي الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية ولا يزال غير ثابت حتى الآن؟

اسئلة واسئلة... والاجوبة بعيدة المعاني. وتباعد الآراء واسع والتقويمات متنافرة في الاغلب. وطبعاً، فإن اصحاب المعتقدات السياسية المختلفة يدركون العمليات الراهنة في عالم الاشتراكية بصورة متنوعة. وإلى جانب كلمات الموافقة والاعجاب والتأييد تتطير الاسهم الانتقادية من مختلف الجهات. فاذا كان البعض يقدر هذه العمليات على انها «فشل» للاشتراكية وبرهان على عجزها، فقد رأى آخرون، فجأة، في البيريسترويكا السوفيتية والتغييرات في اوربا الشرقية «انهياراً» للنظام الاشتراكي و«اعادة للرأسمالية». ومن الواضح جداً ان الحديث يدور هنا في المقام الاول حول ازالة النموذج الستاليني لاشتراكية التكنات، الذي يحرم الانسان من حق اختيار نمط حياته بحرية والشعوب. من اختيار اشكال بناء الدولة والمجتمع. ان هذه الاشتراكية الخالية من الديمقراطية بالتحديد هي العاجزة فعلاً ولهذا ترفضها الشعوب. وفي الوقت نفسه ما زالت الجماهير الواسعة مؤمنة بمثل المجتمع الانساني الحر والعاقل. وجذر التشويبات التي حصلت في العالم الاشتراكي لا يكمن في الماركسية اللينينية بل في الانحراف عن جوهرها الانساني.

ان العمليات تجري الآن في العالم الاشتراكي وسواه بطرق مختلفة يتصف بها كل بلد، اذ ان طبيعتها واشكالها ووتائرنا ترتبط مباشرة بنضوج حالة المجتمع واستعداده للتحويلات، وبقدرة الاحزاب السياسية على ادراك ضرورة التجديد الذاتي والبدء بعملية التغييرات الثورية الصعبة بل والمؤلمة في بعض الاحيان، في الوقت المناسب. واذا كان هذا الحزب أو ذاك عاجزاً عن ذلك فانه يخاطر بالبقاء خارج السفينة التي بدأت بالابحار.

ان كل الاحزاب التي حكمت دون شريك حتى فترة قريبة في بلدان اوربا الشرقية هي اليوم في وضع صعب جداً وغير عادي. وليس من السهل حتى على الاحزاب التي بدأت قبل غيرها في التجديد الجذري على أساس المبادئ الديمقراطية، لكي تؤكد ذاتها كقوة سياسية معاصرة قادرة عملياً على التعبير عن مصالح الشعب، أن تجد موقعاً لها على ظهر سفينة التقدم. وتشهد على ذلك تجربة الاصلاحيين اليوغسلاف والبولونيين والمجريين. ولكن على ما يبدو ليس ثمة طرق بسيطة نحو الاهداف الجديدة.

يجب على شيوعي كل البلدان الاشتراكية عملياً أن يجدوا اليوم اجوبة عن اسئلة

صعبة، إذ أن كل بلد من هذه البلدان يعاني أزمة - بهذه الدرجة أو تلك - ويمكن أن تكون الأسباب مختلفة. ولكن الأحزاب التي كانت تحتكر السلطة مسؤولة طبعاً عن أمور كثيرة. إنها مسؤولة عن تشويه فكرة الاشتراكية مما الحق ضرراً أخلاقياً كبيراً بقضية الاشتراكية، وعن تفويت فرص توفير الرفاهية المادية للجماهير الواسعة. ومهما كانت المرارة يجب أن نعترف بأن عالم الاشتراكية لم يستطع الدخول بصورة عضوية إلى مرحلة الثورة العلمية التقنية المعاصرة، ولم يتمكن من اكتساب العديد من أهم منجزات الحضارة المعاصرة. إن الأحداث العاصفة في برلين وصوفيا وبراغ وبوخارست ذكرتنا من جديد، بصورة قاطعة، بالحاجة الملحة للجمع بين الاشتراكية والديمقراطية الكاملة التي لا يمكن إقامة اشتراكية حقيقية بدونها. إن هذه الأحداث وما أعقبها من تمييزات في أوروبا الشرقية تؤكد، مرة أخرى، أن زمن الديكتاتوريات والانظمة الاستبدادية وزمن النداءات والوعود الباطلة قد ولى، إذ من الضروري بأسرع وقت ممكن تحقيق انعطاف النظام الاجتماعي بكامله نحو الإنسان وحاجاته ومصالحه وحياته. والاشتراكية لا مستقبل لها إلا إذا كانت ديمقراطية وإنسانية.

لا شك في أن المأساة الرومانية كانت أكبر هزة بالنسبة لكل العالم. طبعاً، لم يعرف الجميع ما هو نظام «شيسكوفي» الواقع. فالثورة الشعبية الرومانية فقط هي التي كشفت عن وجهه الفعلي. الرغم من ذلك فإن اخبار انتهاكات حقوق الإنسان وحالة الجماهير الواسعة «سرية» في رومانيا كانت تتخطى الحدود. وللأسف، يجب الاعتراف بأن الرأي العام في أكثرية البلدان الاشتراكية لم يكن مطلعاً على ذلك بالصورة المطلوبة. إن هذا الشكل الخاص من الاخلاق السياسية انتشر منذ وقت طويل في كل مجال العلاقات بين الدول والحزب في عالم الاشتراكية، وذلك على الرغم من أن ادراك ضرورة العلانية بالمعنى الواسع لهذه الكلمة أخذ يترسخ، أكثر فأكثر، ليس في الاتحاد السوفيتي فحسب، بل وفي بعض البلدان الاشتراكية الأخرى أيضاً. وبسبب التخوف من الاساءة إلى الاصدقاء والزعماء وإثارة خطوات سياسية معينة من جانبهم، جرت التجزئة الدقيقة للمعلومات حول القضايا والصعاب والهفوات الفعلية في العديد من البلدان الشيوعية وتقديمها في شكل «جرعات» وحظر بعض المواضيع الحادة الأخرى تماماً. ويجب ألا نغافأ بحقيقة أن التغييرات الجذرية في ألمانيا الديمقراطية وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا كانت مفاجأة للعديد من المواطنين في عالم الاشتراكية.

ومهما يكن من أمر فقد أخذ بالانهيار النظام الاستبدادي الذي عمل على تجفيف مصادر المبادرة الشعبية. ومن الواضح أن التغييرات في أوروبا الشرقية تجري تحت تأثير البيريسترويكا السوفيتية وفي ظروف حرية الشعوب الكاملة في اختيار طريقها الخاص.

ولا أحد يفكر في تحويل التيارات الحديثة إلى المجاري السابقة. واستطاع كل العالم ان يقتنع ان الزمن قد طوى نظريات السيادة المحدودة أو المنتقصة وان كل بلد مستقل في قراراته وأعماله.

ومما يستحق الاعتبار مسألة ان كل دول اوربا الشرقية أكدت التزاماتها التحالفية في إطار معاهدة حلف فرسوفيا. وهذا شرط مهم لصيانة الاستقرار الضروري لكل بلد بمفرده ولاوربا والعالم عموماً. فالمرحلة الجديدة - المعقدة والعاصفة - للتطور الاوربي ليست درياً مستقيماً ومستوياً ومضموناً. ولا يمكن استبعاد امكانية نشوء قضايا جديدة خطيرة في منطقة حيوية جداً بالنسبة لاوربا والعالم. وسيربط العديد من الأمور هنا بالثقافة السياسية للجماهير وبواقعية جيل السياسيين الحالي ومسؤوليتهم.

لا شك في انه لن يكون سهلاً بناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية وحياء فكرة الاشتراكية التي افرغها النظام البيروقراطي الاوامري نفسه من جوهرها الانساني. وفي الاغلب هناك طريق طويل مليء بالعديد من المحن والمفاجآت.

ان التغييرات الشورية لم تحرر وتجدد الوعي الاجتماعي في بلدان اوربا الشرقية فقط. فهي مثل كل ظاهرة جبارة جلبت البلبله والارتباك أيضاً وأثارت الشباب بخاصة. وتشهد الاتجاهات المتطرفة والشوفينية اليمينية التي تظهر في بعض البلدان على عدم توازن الوعي الاجتماعي في ظروف التغييرات الجذرية. وتستغل بعض الاوساط الشعور القومي وايمان الشعوب بالقيم الديمقراطية والحرية وتحاول تشويه الجوهر الحقيقي للعمليات التجديدية.

وفي هذا الوضع المتوتر تقوم القوى اليسارية والاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان التي تجري فيها الاصلاحات، باعادة النظر في نظريتها حول التطور الاجتماعي بصورة جوهرية، وتعيد بناء عملها وينيتها التنظيمية. وتكمن المهمة الأولى لهذه القوى والاحزاب في رص صفوفها بسرعة وإذا اقتضت الضرورة في الخروج من حالة الصدمة التي اصيبت بها، للأسف، بعض الاحزاب وكسب ثقة الجماهير.

يمكننا قول شيء واحد بثقة وايمان: ان فكرة الاشتراكية اذ نكتسب مجدداً روحاً حية وتستوعب امانى البشرية الابدية حول العدالة والمساواة والحرية ستبقى دائماً جزءاً مكوناً من الحضارة العالمية.



رسالة مفتوحة إلى الاصدقاء

يفغيني ستانتشيف*

على الرغم من ان هذا الأمر غير عادي بالنسبة لمجلة مثل مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» فاني ارجو ان تقبلوا هذه السطور بوصفها رسالة شخصية إلى اصدقائي و اقربائي . فهم وحدهم يمكن ان يتسامحوا ازاء تردد عضو عادي مثلي في الحزب الشيوعي البلغاري وانفعاله وهفواته وتذبذبه . نحن اليوم في بداية كانون الثاني . وقد مر وقت قصير على قيام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري في العاشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ بتنحية تيودور جيفكوف من منصبه كسكرتير عام للجنة المركزية . لقد مكث حوالي اربعة عقود في قمة السلطة .

منذ شهرين فقط كان الأمر بالنسبة لنا نحن البلغار سهلاً ، سهلاً على الرغم من ان صدى هذه الكلمة مخيف . فقد كنا جميعاً (أو جميعاً تقريباً) نعرف ما هو المسموح به وما هو الممنوع . وحددنا بدقة الموقع الذي يشغله كل فرد في سلم المسؤولية وامكانات اتخاذ القرارات . وكنا نعرف مع من نتكلم بضمير « انتم » ومع من نتكلم بضمير « أنت » . واستوعبنا كيفية التحدث والكتابة وبمن نستشهد ومتى وصورة من نعلق على الحائط وما هي الكتب التي يجب عدم قراءتها والاذاعات التي ينبغي عدم الاستماع اليها . واحرزنا على أفضل صورة ملكة انتقاد أو فضح ما يعجبنا في اعماق انفسنا بالرغم من ان ذلك ممنوع . وامتلكنا بامتياز لغة لقمان وعرفنا مسبقاً ما الذي يعجب قراءنا ومشاهديننا والمستمعين الينا .

وحقق بعض الزملاء مهارة عالية في امتلاك البهلوانية الصعبة بالتعبير عما يريدون هم وقراءهم فقط من خلال الكلمات التي تسمح بها السلطة. وإذا خانت الحداثة فجأة أحد «البهلوانات» وإذا فقد البقطة فإنه ينتهي دائماً تقريباً بصورة سيئة - بالنسبة له. على الرغم من ذلك جلب فائدة لآخرين اقتنعوا أن المسألة مريبة والدرب يؤدي إلى مأزق وبدأوا بالبحث عن طرق أخرى...

منذ شهرين كان الأمر «سهلاً». وكان ثمة من يقرر ما هو الصحيح وما هو الخطأ، ويضع الخطط، ويحضر التقارير، ويصوغ «النظريات» و«الاتجاهات الرئيسية»، ويقترح «الآراء» و«إعادة التنظيم» و«توزيع الكادر». وكنا نعرف موقع كل شخص وكل واحد من حاشيته. وإذا أصيبت الحملة الدورية بالفشل لأقينا الحملة التالية بكلمات الإعجاب من دون أي شعور بالذنب. وكنا نصديق بسذاجة ونسمع تفسير الاحباطات: «بعض الدوائر الرجعية في الغرب» أو «حالة السوق العالمية» أو «سنة قاحلة» أو «صيف ممطر». وكانت «الهيئات الجماعية» (اللجنة المركزية للحزب والجمعية الوطنية «البرلمان») طائفة مثلنا جميعاً وتصوت بالاجماع وتوافق على إعادة تنظيم جديدة أو نظرية جديدة (وكأنها من اعدادها). وهكذا كان يتبعها بالتصويت بهبة واحدة حزب اتحاد الشعب الفلاحي البلغاري الصديق والكوسومومول والجبهة الوطنية والنقابات والاتحادات الابداعية والمنظمات النسائية والاجتماعية الأخرى وصولاً إلى الطلائع. وكنا جميعاً نعرف الحقيقة ونصمت. هكذا أسهل وأضمن لأن عدم الخضوع كان غالي الكلفة.

منذ شهرين كانت الحياة اوضح بالنسبة لنا. فقد اوضح لنا ذلك المدير والمسؤول الحزبي والصحف والاذاعة والتلفزيون. وعلمونا ذلك في المدارس والمعاهد ولسنوات طويلة في مختلف الحلقات التنويرية. وصدرت «قوانين احوال» الحياة والعمل وحتى نمط التفكير بعشرات المجلدات المغلفة باغلفة حمراء والمعونة باحرف مذهبة وصدرت مئات الكراريس والوف عديدة من الدوريات. وعلقت لوائح «القواعد الاخلاقية» في الغرف والممرات ابتداء من رياض الاطفال حتى اللجنة المركزية. وكانت الطاعة هي موضوعها الرئيسي.

منذ شهرين كان يمكن ألا نفكر. فكان ثمة من قام بذلك بدلاً منا رغم أن العمل الذهني لم يكن اختصاصاً أساسياً بالنسبة لأكثرية اصحاب القرارات. واقصد الموقع الفعلي وليس الرسمي - إذ جرى منح العديد من القادة درجات والقباب اكااديمية. ولم يكن من الجائز أن يفكر الناس البسطاء - كادوا يعتبرون ذلك خطيئة وكان يمكن أن يؤدي إلى ابراز ضعف علم المعلمين. ولتجنب المجازفة كانت غرفة المعلمين مجهزة بآلية «اعلانية» منظمة بدقة. ولم نتكلم بصوت عال إلا عن الحب والسم والسباحة وفي الحقيقة عن

السياحة الجبلية وليس حول الرحلات إلى الخارج - كون الانطباعات عنها عفة. وخصص لكل واحد عدة ملفات تتضمن معلومات من نوع فئة الدم حتى الموقف من موسيقى الجاز. وهذه المعطيات هي التي حددت الشخص الذي يمكن ان يصبح مسؤولاً ويسافر إلى الخارج ويحظى بالثقة. . . وكانت هناك ملفات للنخبة. لاولئك الذين كانوا يعتبرون مرشحين للمناصب الوزارية وللذين جلسوا دائماً في منصات الرئاسة. وإذا فشلوا بصورة مفضوحة في مناصبهم كقادة للمناطق عينوا مسؤولين في المؤسسات الاقتصادية، ثم ارسلوا سفراء إلى الخارج. ولدى العديد منهم كان عدد البنادق الثمينة في بيوتهم الفخمة أكثر من الكتب التي قرأوها. ولكن ذلك كان يعتبر أمراً عادياً - فكان يجب ان يكون واحداً ممن يكسب غنائم الصيد في عشرات الغابات المحمية المقفلة في وجه الناس العاديين ويشرب الانخاب على شرف القادة في «بيوت» مريحة في ضواحي المدن وفي المقرات الرسمية المنتشرة في كل انحاء بلادنا غير الغنية عموماً.

منذ شهرين كنا ننظر دائماً إلى الرفوف الفارغة في المحلات على خلفية ما يسمى «الخدمة الطبية المجانية» و «التعليم المجاني» وضرورة «الثورة العلمية التقنية». ومن كان يعتبر ذلك قاعدة كان محقاً - كان يمكن الحصول على أي دواء في المستشفى التابع للحكومة وكان أولاد القادة وفقاً لمناصبهم يدرسون في كل انحاء العالم. وفي بلدة السكرتير العام السابق تم بناء مؤسسة لانتاج الكمبيوترات - رمز «تحليقنا» نحو قمم الثورة العلمية التقنية وذلك في مكان مصنع صغير للمقرميد. وانتج حرفيو القرميد الكمبيوترات على الرغم من انه لا أحد يعرف كم كان ذلك مكلفاً لبلغاريا. وهل كان ذلك ضرورياً لها عموماً؟ اذ اننا وصلنا إلى حالة اننا لا نستورد معها القطع المخصصة للكمبيوترات فقط، بل حتى البطاطا والفاصولياء. وهجرت القرى والبلدان في هذا البلد الذي كان زراعياً إلى درجة لا يمكن ان يسمح بها أي اقتصادي جدي. واعتقد ان تشاوشيسكو وحده تخلص بصورة أكثر بربرية من الفلاحين الذين كان عليهم ان يتركوا الأرض ويتنقلوا إلى الصناعة الثقيلة وما فوق الثقيلة المشكوك في أمرها في المدن الكبيرة.

قبل تشرين الثاني ١٩٨٩ كنا نعرف ان الحياة على هذا النحو غير ممكنة. بل يمكن ان نعيش أفضل وبصورة أذكى وأكثر حضارية. ويجب ان نغير بصورة جذرية النظام الذي حولنا ببطء ولكن بثقة إلى شيء فات اوانه على الساحة الاوربية. ولا يمكن ان نستمر في خداع انفسنا بالتاكيدات التي تزعم اننا نقوم باعادة البناء وبالبحت عن طرق معللة علمياً للخروج من حالة الخمول. فالوجه «الابدية» التي قادت البلاد على مدى عشرات السنين لم تستطع التنازل عن مزاعمها الذاتية الانانية. وكنا لا انتقل مرة إلى اليسار وأخرى إلى اليمين نظاهر بالنشاط زوراً لا غير، في حين ان العالم المتحضر اعتمد على منجزات

علمية حقيقية وسبقنا بوتائر عالية. وظهرت نكتة مريرة هي ان اليابانيين لن يلحقوا بنا حتى ولو ركضوا لملاقائنا. كان يمكن ان يكون ذلك مضحكاً لو لم يكن حقيقة صحيحة ومغيفة. لاننا عندما كنا نظاهر ببناء «الاشتراكية المتطورة» بلغت ديوننا من البلدان المتطورة حوالي ١١ مليار دولار الفت بعبء كبير على اكتاف أقل من ٩ ملايين بلغاري. أجل، لقد ادركنا انه لا يمكن ان نعيش هكذا وعرفنا العديد من اولئك الذين عرقلوا تطورنا الطبيعي. وقد اختفى البعض منهم من الحلبة السياسية وستتم حتى محاكمة البعض الآخر. ولكن إلى جانب البقع السوداء في جدران المكاتب التي كانت صورهم معلقة عليها بقيت قضايا اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تراكتت على مدى العديد من السنين. وبدأ الأمر الاصعب: اننا صرنا نتحرك ولكن إلى أين؟

منذ فترة قريبة تحدثت مع بعض زملاء الشباب حول المؤتمر القادم لاتحاد الصحفيين، فقالوا «اننا نحضر مشروعاً بديلاً للنظام الداخلي» فقلت معارضاً «ولكن المشروع الرسمي لم يظهر حتى الآن» فاجابوا «لا بأس نقدم البديل في كل الاحوال». والان، بعد هذه العقود الطويلة من «النظام الكامل» تبين اننا لا نعرف التفكير كما يجب. واتضح بعد كل هذه السنوات من «التقدم الواثق إلى الامام» اننا حتى لا نعرف كل القضايا التي تواجهنا جميعاً وتواجه كل واحد منا على حدة. واتضح ان بعض القرارات الخطيرة مثل قرار تغيير اسماء المسلمين البلغار الذي أدى إلى هجرة مئات الالاف من الناس إلى تركيا تم اتخاذها من قبل شخصين أو ثلاثة أو خمسة اشخاص كحد اقصى. وحدث ذلك في اللجنة المركزية والسكرتارية والمكتب السياسي، حيث كان «الاجتماع الكامل» مسيطراً تقليدياً وفقاً للصحافة. وكنا في الماضي أيضاً نظن ان هذا التعبير يعني أساساً رأي «القائد الأول في الحزب والدولة». ولكن من المشكوك فيه ان يكون واحد منا قد فكر بان الحكم المطلق وصل إلى مثل هذه المقاييس المشوهة. ولكن حتى لو افترض ذلك فماذا بعد؟ فالاشخاص الذين يستقلون سيارات «المرسيدس» اللخمة ويوقفون الحركة في الشوارع يختبئون بتواضع خلف الستائر متخذين شكل القادة القوقرين والمطلعين. واليوم فقط اتضح ان خرق قواعد المرور كان أكثر آثامهم بساطة. واخفوا بالاستشهادات من ماركس وانجلز ولينين تعطشهم البدائي حتى الوقاحة وعديم الكفاءة والاناني للسلطة والاثراء الشخصي. واولئك الذين نعتوا انفسهم بانهم «تحدروا من صفوف الطبقة العاملة» وانهم ممثلون لها كفوا منذ زمن بعيد عن الشعور بانهم جزء من الشعب. وعندما وصلت آثار مأساة تشيرنوبل إلى سماء بلادنا لم يحذر هؤلاء القادة سوى المقربين منهم من هذا الخطر.

اليوم نعرف الكثير عن العديد من الأمور. وعندما نستطيع التحدث حول ذلك فاننا

ندرك ان هذا ليس سوى نصف القضية. والآن يتكلم الوف وعشرات الوف البلغار بحرية وانفعال وحماس. وهناك من القى خلال شهرين خطباً تفوق كل الخطب التي القاها خلال حياته وسيستمررون في الكلام حتى يذكروهم أحد ما بضرورة العمل أيضاً أكثر من الماضي وبصورة معقولة وشريفة فعلاً. لاننا الآن نطمح إلى حياة أفضل وهذا يعني انه يجب ان نعمل بصورة أكثر كثافة.

واليوم يوجد العديدون من امثالي ممن افكارهم غير ثابتة. واعترف بصراحة وشرف انني لم استطع حتى الآن ايجاد موقعي في الحزب والمجتمع. فقبل تشرين الثاني كان آخرون يفكرون نيابة عني. أما اليوم فيجب ان احدد بنفسي خط الحياة. هناك عديدون القوا بكل الذنب على الحزب وقبل ان يتخلوا عن البطاقات الحزبية بدأوا بالنضال ضده. والحركات والمنظمات البديلة تنمو كالفطر بعد المطر. في البداية كانت تظهر احزاب وتيارات وتكتلات واتحادات جديدة بصورة وجلة ثم بصورة أكثر استعراضية. واذا بقيت الوثائق الراهنة على حالها فسيصل عددها حتى نهاية العام إلى أكثر من ٢٠٠ منظمة. واصبح واضحاً ان النموذج المتلاحم والمعمم للشعب البلغاري حمل في نفسه جملة لا تحصى من الآراء والعقائد التي تزدهر الآن. زد على ذلك انه عندما تم في اواخر عام ١٩٨٩ اقرار اعادة السماح للمسلمين البلغار باختيار اسمائهم بانفسهم وقف قسم كبير من الرأي العام ضد ذلك بصورة قاطعة مما فاجأ الجميع تقريباً. ولم يكن بمقدور أية حجج واستشهادات حول ان هذا القرار ينسجم مع الدستور وينبع من الاعلان العام لحقوق الانسان ان تبعث الهدوء في نفوس المعارضين. وظهر العلم البلغاري في ايدي المتظاهرين في العديد من المدن، المضطربين جداً والخطرين والمفعمة نفوسهم بالطاقة الكامنة للحرب الاهلية. وفي وسط صوفيا، أمام مبنى الجمعية الوطنية اجتمع فريق هائل من الناس الذين اتوا من مختلف انحاء بلغاريا، حيث انضم اليهم السكان المحليون ويقوا هناك وهم يحملون اولادهم اياماً كاملة في ظل برد قارس وصلت فيه درجة الحرارة إلى ٢٠ درجة تحت الصفر. وطوال حياتي التي تبلغ نصف قرن لم أشهد قيام الصحف والاذاعة والتلفزيون بالادلاء ببراء متناقضة تماماً حول المسألة ذاتها. فالناس الذين صمتوا سنوات طويلة يريدون اسماع صواتهم وأخذ رأيهم في الاعتبار. ولكن خبرتنا قليلة جداً في الاصغاء إلى الطرف الآخر والبحث عن التفاهم والتمتع بالصبر حياله، اذ اننا تعودنا على الاوامر...

هناك قضيتان كبيرتان للغاية تواجهان بلادنا في بداية عام ١٩٩٠ هما وحدة الشعب والحالة الاقتصادية. وحتى الآن ليس ثمة وصفة جاهزة لكيفية العمل. أي هناك العديد منها ولكن لم يتم اختيار أية واحدة منها بالتجربة، ما عدا تلك التي برهنت بوضوح في الماضي

على عقمها.

ان البلغاري المتسامح تقليدياً بالنسبة للمسألة العنصرية كشف عن نزعات قومية وشوفينية رهيبة وأخذ البعض يتحدث عن «البرق الصافي» و«الامة الصافية» وعن دولة ليست موجودة في العالم. ان السياسة خلال العقود الأخيرة في مجال القضايا الاثنية أدت إلى التراكم غير العادي للعنف الاخلاقي وإثارت العديد من التناقضات المصطنعة، الأمر الذي ربما يستدعي مرور وقت غير قليل قبل ايجاد حلول أكثر صحة في سبيل تحقيق الهدوء والوحدة الوطنية. وما دامت الوحدة غير متوفرة لا يمكن ان نتحدث حول الأمن الوطني. ومما يستدعي التفاوض القرار الذي اتخذ في ٢٩ كانون الاول ١٩٨٩ برفع سمعة البلاد أمام كل العالم. وكان لا يمكن التفكير بان لدى بلغاريا فرصاً للتطور الذاتي قبل حل هذه المعضلة. وفي عام ١٩٨٤ عندما «جعل» جيفكوف، يمكن القول بمفرده، المسلمين بلغاراً مخلصين لم تستوعب أي دولة هذا الفعل بوصفه فعلاً انسانياً وصحيحاً. وهذا حق تماماً. ولا يمكن لأحد سوى من كان في بلادنا في صيف عام ١٩٨٩ ان يعرف المعاناة التي مر بها شعبنا، حيث تدفق المهاجرون من جروحهم مثل نرف الدم الغزير وحتى اليوم أرى أمامي رتلاً طويلاً من الناس مع الاطفال والعجائز المجبرين على السفر إلى الخارج. وقد عاد منهم ما يزيد على ١٠٠ الف شخص. ولكن الذين رجعوا والذين بقوا خلف الحدود سيتذكرون طوال حياتهم الألم والاهانات والمعاناة والذل الذي لحق بهم من جراء سياسة النظام السابق الاستبدادية.

ومن الرائع انه تم تحقيق أول نصر كبير وشامل في العهد الجديد، في بلغاريا بالتحديد، في النضال من أجل حل قضية حيوية جداً كالقضية القومية. فبعد عدة أيام متوترة من النقاشات الحامية في قاعة الجمعية الوطنية وفي إطار المجلس العام لممثلي مختلف القوى تم التوصل إلى اتفاق على أساس التعددية. وتم اقرار وثيقة ختامية عرضت على البرلمان للتصويت عليها بعد مناقشتها بصورة واسعة. ويمكن القول مجازاً ان نقاطها الاحدى عشرة أصبحت من الاسنان الاولى للديمقراطية في العجلة التي يجب ان تقود إلى الحركة آلية الوطن المتجدد على الطريق نحو اوربا والقرن الحادي والعشرين. وجاء في الوثيقة ان «بلغاريا واحدة لا تتجزأ وهي وطننا» وان كل المواطنين البلغار متساوون أمام القانون ويتمتعون بالحقوق والحريات ذاتها ويقومون بالواجبات نفسها، والواجب الأعلى للجميع هو حماية وحدة أراضي البلاد وسيادة شعبها. ومن الحقوق الرئيسية لكل انسان حقه في حرية الضمير والمعتقد والحرية الدينية وحرية اختيار الاسماء واقامة الشعائر الدينية والطفوس التقليدية واتباع العادات والتقاليد. وعلى الرغم من ان اللغة البلغارية هي اللغة الرسمية في البلاد فان المواطنين يستطيعون في التعامل بين بعضهم وخالل حياتهم اليومية

التحدث بأية لغة يريدون. ويجب الالتزام الحازم وغير المشروط بمبدأ مساواة كل المواطنين أمام القانون بدون السماح بأية امتيازات وامتيازات. ويجب بصورة تشريعية توفير ضمانات حقوقية وإدارية إضافية لازمة لحماية حقوق وحريات وأمن الأقلية الاثنية ومصلحتها وحياتها الهائلة في منطقة أو جماعة أو نقطة سكنية معينة.

من المستبعد وجود بلد آخر في أوروبا يوجد فيه مثل هذا العدد من اللوائح والاحكام والاوامر المتناقضة والتي ينفي بعضها البعض الآخر. وكانت أية فكرة تلوح لرئيس الدولة والحزب سابقاً تحظى بثقل أكبر من أي بند من بنود الدستور، هذا ناهيك عن قواعد الحياة الحزبية. لذلك، عندما توفرت للناس أخيراً إمكانية التفكير بانفسهم والاصرار على حقوقهم وحرياتهم يكاد الأمر يتطلب البدء من جديد في كل شيء بما في ذلك التعليم السياسي والحقوقى وترسيخ الحقوق والحريات وتوفير الضمانات الطبيعية لاحترامها.

وببدو انه من المظاهر الطبيعية والمميزة إلى حد بعيد في العصر الجديد نشاط ما يسمى «عباد الشمس». ويستغرب البعض انه خلال حكم القيادة السابقة، كما تبين، كان هناك الكثير من الناس الذين تعرضوا للملاحقات والقمع وصولاً إلى واقع ان اللصوص واصحاب السوابق الذين لا يمتون بصله إلى الملاحقات السياسية قد اضرَبوا عن الطعام في الايام الاولى بعد العاشر من تشرين الاول مطالبين بـ «حقوقهم». وليس من النادر ان يسمع المرء اليوم مزاعم رنانة من قبل بعض الناس الذين فشلوا نتيجة لتفاهتهم وعدم تحليلهم بالانضباط والذين يقولون زوراً انهم «ضحايا جيفكوف».

أما البعض الآخر فقد نسوا فجأة ما كانوا يصرحون به ويروجون له خلال سنوات طويلة. في الحقيقة نشرت بعض الصحف التي يترأسها اناس جريثون ونزيهون فعلاً عدداً من المواد القديمة لكي تذكروا في أي طرف من المتراس كان البعض اثناء تلك السنوات العسيرة. وكتب أحد زملائنا: «استقبل بعض الناس إعادة البناء بحماسة وفتحوا أذرعهم لاحتضانها إلى درجة تهدد بخنقها». أجل. يوجد مثل هذا الخطر الذي ينبع كذلك من أولئك الذين هم على اهبة الاستعداد للتسريح باسم القيادة الجديدة بالتزلف والحمية اللذين حمدوا بهما القيادة السابقة. ان الدواء الشافي يكمن في الشباب الذين يقودون دونما توصيات وإرشادات وبطريقة طبيعية تماماً نوادي وحركات ومنظمات واحزاباً ظهرت حديثاً.

... ان فترة الركود قد رتبنا بطريقة سيئة جداً، اذ ان المساواتية والنداءات الانسانية المزيفة الداعية إلى مساواة اجتماعية ما رعرعت في نفوس الناس شعوراً انه ليس ثمة فرق بين العمل الجيد والعمل السيء. وكان جيش الموظفين الملولين الهائل يثقل اكتاف الشغيلة بعنب لا يحتمل، ولكن ما كان في وسع المرء ان يعمل في الواقع عندما كان يرى

مثلاً توسع جملة من الابنية التابعة للجنة المركزية في وقت انطلاق الدعوات الشيعة لتقليص الجهاز الاداري، اذ ان بناء سكنياً قد الحق بالبناء الرئيسي للجنة المركزية في وسط صوفيا ثم تبعه مبنى آخر وهكذا دواليك. . . ثم ظهرت في كل مكان قصور تابعة للجان حزبية تقف امامها سيارات ليموزين سوداء فاخرة ويحرس ابوابها رجال الميليشيا. وكان الموظفون الذين يحتلون مناصب جيدة يعيشون حياة رغيدة على حساب الاشتراكات الحزبية والدعم الحكومي. ومن المشكوك فيه ان يلقى الكثير منهم اليوم عملاً آخر في الظروف الجديدة. اذ ان قليلين منهم يصلحون لهذا النوع أو ذاك من النشاط الابداعي. وقد برز الكثير من القضايا التي لم تكن تنصور وجودها أو نسيء تقديرها، بل ابعادها وحدتها، اذ ظهر ان وتائر النمو العالية التي افتخرت بها البلاد تم اختلالها في مكتب السكرتير العام. وتتم بصفة مأساوية المعلومات الصحيحة الاولى حول حالة تربة بلغاريا والوضع الايكولوجي وانتاجية العمل وتوزيع المساكن وقتلتها والهوة الضخمة بين أعلى الاجور والمرتبات التقاعدية وادناها (لقد اتخذت اولى الخطوات لتسوية هذه القضية) وتزويد الاقتصاد بالتكنولوجيات والعديد غيرها. وتسعى جميع النوادي والحركات والاحزاب الجديدة تقريباً إلى ادخال روافع السوق. ومن الطبيعي ان تتمايز وجهات النظر فيما بعد وفقاً للاهداف والمصالح الاستراتيجية. إلا ان ذلك قد يسفر عن صعوبة تحقيق الاصلاح الاقتصادي الموحد. كما يتبين ان الاسلوب الاداري الاوامري في القيادة لن يتيح تحقيق التغييرات الجذرية (وليس في الموقع الأخير أخذ تجربة البلدان الأخرى والاتحاد السوفيتي في المقام الأول في الحسبان). إلا انه من الواضح ان الطريق المستقيم يمر عبر التغيرات الحقيقية والوطيدة والجذرية. ولا يمكن تأمين علاقات الانتاج المتجددة إلا عن طريق سن قوانين تقدمية حول الأرض والملكية وما شابه.

ومن البديهي في المقام الأول انه لا يمكن فصل الاصلاحات الاقتصادية عن الاصلاحات السياسية، اذ ان الأولى تنبثق من الثانية والعكس بالعكس. ولا يجوز لأحد ان يتظاهر بانه لا يعرف ان فئة «السابقين» القوية والمجربة بما فيه الكفاية ستعمل كل ما في وسعها للبقاء في دست السلطة ومحاولة اعاقا التغييرات.

عندما اقترحوا عليّ ان أكتب مقالة للمجلة ظننت انني سوف اتحدث باختصار عن مشاعري ورؤيتي للاحداث رؤية هامشية إلى حد ما. أما الآن فانا اختتم مقالتي واشرح هذه الهوة بالميل العام السائد في بلغاريا إلى التأملات العميقة. اضيف إلى ذلك انه لا وجود لرأي واحد حول الكثير مما يجري في البلاد. وليس من النادر ان تساعد العواطف واختلاف الآراء على تبيان الحقيقة وتشكل الاخطاء أفضل عبء للمستقبل بشرط اكتشافها وتقييمها تقييماً سليماً وعدم تكرارها.



لقد شعر كل شخص بالانتصار والهزيمة في آن

روبيرت خووخ*

في مؤتمر عام ١٩٨٩، الذي اعلن عن انشاء الحزب الاشتراكي المجري، كانت تعمل حوالي عشرة منابر تعبّر عن الآراء المختلفة، المتعارضة أحياناً، لمجموعات المندوبين. احدها والتلاحم من أجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري - حل نفسه اثناء عمل المؤتمر، لأنه اعتبر ان الهدف الذي وضعه لنفسه، قد تحقق. وهذا ما اعلنه بصورة عاطفية آنذاك أحد المشاركين النشطاء فيه ر. خووخ، العالم المعروف، نائب مدير معهد الاقتصاد في اكااديمية العلوم المجرية. وبعد ان انضم إلى الحزب الاشتراكي المجري، تزعم بعد عدة أشهر من المؤتمر اتجاهاً جديداً في الحزب هو - فرع الاشتراكيين اليساريين.

- في تشرين الاول ١٩٨٩، فقدت المجر الحزب الشيوعي الحاكم مع بقاء البلد اشتراكياً. اذ ولد الحزب الاشتراكي المجري. فهل كان التخلي عن نموذج الحزب الماركسي اللينيني خطوة اضطرارية مرتبطة بالوضع السياسي الداخلي، أو انه كان حاجة داخلية لعدد من أعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق، الذي وصل إلى وضع الازمة؟

* قائد فرع الاشتراكيين اليساريين في الحزب الاشتراكي المجري، عضو مراسل في اكااديمية العلوم

- للاجابة عن هذا السؤال اعود إلى الكونغرس العام لحزب العمال الاشتراكي المجري الذي جرى في أيار ١٩٨٨. فآنذاك بالذات بدأنا (بصورة خجولة في الواقع) التخلي عن بعض تقاليد بنية التنظيمية للحزب بالمعنى السابق لهذه الكلمة. وتحديدًا، لقد طرحت المسألة حول امكانية وفائدة وجود حرية العمل ومختلف المناير في حزب العمال الاشتراكي المجري. وطالبت بعلمية أكبر في عمل الحزب وقيادته. واعتقد ان ذلك كان بحد ذاته نوعاً من التخلي عن ذلك النموذج البلشفي، الذي تكون في المؤتمر العاشر في روسيا السوفيتية. فحينذاك كما نعلم الغيت حرية التكتلات^(١).

اثارت الاقتراحات، كما كان متوقعاً، نقاشاً حاداً. فالرئيس السابق لحزب العمال الاشتراكي المجري يانوش كادار قد عارض ذلك بشدة. وكنت شخصياً احترمه كثيراً كقائد وكانسان، على الرغم من ملاحظتي للاخطاء في نشاطه. ولم يتخذ القرار، وأقول بصدق انني سررت لذلك، لأن أغلبية المندوبين كانت على الأرجح سترفض الاقتراحات. ولكن عقب الكونغرس الحزبي مباشرة بدأ العمل في الهيئات القيادية على وضع النظام الداخلي الجديد، الذي كانت هذه الافكار بالذات تكمن في اساسه.

ان البنية التنظيمية، التي كانت تميز حزب العمال الاشتراكي المجري السابق - واعني بالدرجة الأولى مبادئ المركزية الديمقراطية - كانت تتيح خلق المبادرات والاقتراحات السليمة الآتية من الاسفل، والقضاء عليها في المهد. واعتقد انه بسبب ذلك إلى حد بعيد بدأت تتجلى ظاهرات الازمة في الحزب والبلاد منذ بداية الثمانينات. فالآمال التي راودت الشيوعيين وغير الحزبيين بان تبدأ التحولات الجذرية بعد الكونغرس الحزبي، ظلت مجرد آمال للأسف. وشهدت الحياة السياسية اخطاء جديده في العام والنصف التي اعقبت الكونغرس.

في الكونغرس الحزبي لم يتطرق الحديث حتى إلى التخلي عن الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري، وعن النظام الاشتراكي. ولكن بعد انتهائه اخذ قسم من القيادة الحزبية يتقدم بمبادرات جذابة جداً في الظاهر، لم تقبلها الاكثرية في الحزب مع ذلك. وأعني هنا، بالدرجة الأولى، إعادة تقييم نتائج العقود الاربعة من تاريخنا وطابع احداث عام ١٩٥٦^(٢)، ونشاط امري ناجح - رئيس الوزراء آنذاك^(٣)، ودور حزب العمال الاشتراكي المجري. وكانت المأساة الكبرى، في رأيي، تلخص في ان القسم الآخر من القيادة كان يتجاوب بفتور شديد مع هذه المبادرات، وكان، أحياناً، يعرب عن وجهة نظر معينة، ثم يعود بعد فترة من الزمن - أيام، أسابيع، أشهر - ليعرب عن نقيضها تماماً. وقد أدى هذا، دون شك، إلى تقويض سمعة الحزب وثقة الاعضاء العاديين الذين لم يقبلوا مواقف القسم الأول من القيادة.

اعتقد ان مسألة نظام تعدد الاحزاب اصبحت هي الحد الفاصل . وعلى الرغم من الاعلان في الكونغرس ان حزب العمال الاشتراكي المجري ليس معارضاً من حيث المبدأ لتعددية الاحزاب ، كان الحديث يدور بان تطورنا التاريخي سار على طريق تكون خلاله نظام الحزب الواحد ، وان هذا النظام سيظل قائماً في المستقبل . وبعد نصف عام أعلن في الاجتماع الكامل للجنة المركزية ان مسألة نظام الحزب الواحد أو تعدد الاحزاب ليست في رأينا مسألة مبدئية في ظروف الاشتراكية . واذا اعترفنا بتعددية الاحزاب أكدنا ، آنذاك ، انه لا يمكن ان تكون علنية إلا تلك المنظمات التي تدعم المجر الاشتراكية . ولكن ، مرة أخرى ، اختفى هذا التعريف بعد عدة أشهر .

أخذ قسم من الناس الذي كانوا في السابق أيضاً من انصار نظام تعدد الاحزاب (البرجوازي) يعلن ان هذه هي ارادة الشعب . ولكن لم يجر أي استفتاء أو اقتراح في صفوف الشعب . ويدلونا ان مطلب تعددية الاحزاب كان يعبر عن رغبة طائفة ضيقة من الاشخاص فقط . وكانت احدى الحجج التي طرحوها التأكيد بأنه ما دامت الاحزاب موجودة عملياً ، فمن الضروري اضافة صفة قانونية عليها . واسمح لنفسي بالتشكيك بصحة هذا الطرح . ففي عهد هورثي^(١) كان الحزب الشيوعي يمارس نشاطه في المجر . ولكن ذلك لم يكن بالنسبة لنظام الحكم أساساً للاعتراف بعلنيته . إذن ، هذه الحجة موضع شك كبير .

لا شك في ان العمليات الاقتصادية الجارية في البلاد مارست تأثيرها في الحزب في تلك الفترة . واذكر ان وضع الاقتصاد الوطني ازداد سوءاً في اواسط السبعينات ، ونما الدين الخارجي بنسبة كبيرة^(٢) . واصبحتنا عملياً رهائن لصندوق النقد الدولي ، الذي تملك الولايات المتحدة الصوت الحاسم فيه . وفي مطلع العقد الراهن أخذ صندوق النقد الدولي يدلنا على كيفية اجراء التدابير الاجتماعية وتنظيم الاسعار وما شابه . وينبغي القول انني اعلنت ، آنذاك ، في احدى الجلسات المغلقة في الاكاديمية ، ان صندوق النقد الدولي يملئ علينا السياسة الاقتصادية ، ولكنني ، للاسف ، استصغرت عواقب هذا الضغط . ففي عام ١٩٨٧ اوصى الصندوق بتطبيق نظام للضرائب مماثل للنظام المعمول به في دول اوربا الغربية . وقد تجلّى ، آنذاك ، ميل لتغيير توجهنا من سوق مجلس التعاضد الاقتصادي إلى سوق اوربا الغربية .

وباختصار ، على هذه الخلفية الاقتصادية تفاقمت الازمات في المجتمع والحزب على حد سواء ، علماً بان تأثيرها المتبادل كان كبيراً وأدى إلى عواقب جديدة .

- هل يمكن القول ان حزب العمال الاشتراكي المجري وصل إلى مؤتمر تشرين الأول وهو في وضع كان من المستحيل فيه تغير أي شيء ، وكان التحلي عن التراث

السابق وحده القادر على إعادة العافية إلى صفوف الحزب؟

- لقد كان حزب العمال الاشتراكي المجري، آنذاك، يضم عملياً كتلاً ومنابر مختلفة، الأمر الذي تجلّى، بالطبع، أيضاً في آراء القيادة الحزبية العليا. وعلى الرغم من أن محاولات بذلت لتوحيدها، إلا أنه كان واضحاً للجميع أن الصراع السياسي داخل الحزب، بما في ذلك بين الأعضاء العاديين، كان يحتدم من يوم إلى آخر. وقليلون هم الذين يعرفون المخرج.

قبل المؤتمر مباشرة كانت المنابر الآتية تعمل داخل حزب العمال الاشتراكي المجري. (سأبدأ من اليمين إلى اليسار. دون أن استبعد وجود آراء أخرى في هذا الشأن). اتحاد الإصلاحات - وهوليس المنبر الأكبر والأكثر تلاحماً وتنظيماً فحسب، بل والأكثر شباباً أيضاً من حيث اعمار المشاركين فيه. واضيف إلى ذلك أن هذا المنبر لا يزال حتى الآن عبارة عن طائفة من الكتل والمجموعات والتيارات المختلفة. وبالمناسبة، اتضح فيما بعد أن قوته كانت أشبه بخداع النظر. فانصار اتحاد الإصلاحات لا يشكلون إلا ١٠ في المئة من الحزب الاشتراكي المجري الراهن القليل العدد.

وفي الوسط يقع المنبر الشعبي الديمقراطي. وأقول بصراحة أنني لولم أكن عضواً في منبر آخر لانضمت إليه بكل سرور. فقد تمكنت هذه المجموعة عملياً من اكتساب مواقع معينة وترشيح ممثلها إلى الهيئات القيادية، وإن لم يكن يمثل العدد الذي رشحه اتحاد الإصلاحات. وبالمناسبة، سأخرج عن موضوع الحديث لأذكر الواقعة المعبرة الطرفية الآتية: بعد المؤتمر ظهرت في صحيفة «نيسابادشاغ»، التي صارت صحيفة اشتراكية (حذف شعار «ياعمال العالم اتحدوا» من رأس صفحتها الأولى)، صورة كانت أشبه بحدث مثير وفق المفاهيم المجرية، هي عبارة عن سيارة «ترابانت» - وهي كما تعلمون سيارة رخيصة ذات هيكل مصنوع من مواد بلاستيكية ومحرك دراجة نارية - لأحد أعضاء هيئة رئاسة الحزب الاشتراكي المجري، تقف أمام مبنى اللجنة المركزية. ولكن هذه، للأسف، حادثة نادرة، فلا يزال اصحاب الكلمة الفصل في الحزب حتى الآن هم أولئك الذين يركبون سيارات «مارسيدس» الفاخرة الشخصية.

في يسار اللوحة السياسية كان يقف منبر «من أجل حزب العمال الاشتراكي المجري» و«التلاحم من أجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري»، الذي كنت انتمي إليه، وكان زعيم هذه الحركة العضو السابق في المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ي. بيريتس، الذي كان يهتم بمسائل الايديولوجيا في الحزب. وقد كان امراً جيداً، أن سياسياً محترفاً كان على رأس هذه الحركة. ولكن، كما تبين، كان لذلك عواقب سلبية معينة فيما بعد. فعندما قررنا في

المؤتمر، مثلاً، الانضمام إلى المنبر الشعبي الديمقراطي رفض طلبنا بكل بساطة. أما المعبرون عن الآراء الأكثر يسارية فكانوا أما غائبين عن المؤتمر وأما ضعيفي التنظيم. فالمنبر الماركسي الموحد في حزب العمال الاشتراكي المجري، مثلاً، الذي يعتبر انه يجري، تحت شعار تغيير النموذج والتحضير لاعادة الرأسمالية في المجر، لم يكن ممثلاً في المؤتمر. كما لم يكن لدى كارولي غروس، السكرتير العام لحزب العمال الاشتراكي المجري في ذلك الحين، أية مجموعة. وهكذا، بصراحة، لم تكن القوى التي اعادت تنظيم حزب العمال الاشتراكي المجري الآن، ممثلة عملياً في المؤتمر.

- ان اتحاد الاصلاحات والمنبر الشعبي الديمقراطي، اللذين كانا يملكان الاغلبية

في المؤتمر، حددا من حيث المبدأ قراراته؟

- أجل. بما ان كل النقد ركز على المنابر اليسارية، اعتقد اننا حولنا الانتباه عن الديمقراطيين الشعبين. وفي ظروف الحرب أيضاً تكون هناك لحظات تجعل مجموعة معينة نفسها هدفاً للثيران. وهذا ضروري في النضال السياسي، على الرغم من انه غير مستحب.

وأشير إلى سمة مميزة أخرى للمؤتمر، هي العلاقات بين مندوبي العاصمة والاقاليم. فالكونفرنس الحزبي لمنظمة بودابست (وقد كانت منظمة العاصمة أكبر منظمات الحزب) الذي سبق المؤتمر، اتخذ موقفاً مختلفاً تماماً عن الموقف الذي اتخذته مؤتمر الشيوعيين المجريين. فقد دعا ثلثاً مندوبيها، ان لم يكن ثلاثة ارباعهم، إلى تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري، وليس إلى انشاء حزب جديد. ولكن ممثلي الاقاليم ايدوا باغليبتهم في المؤتمر وجهة نظر اتحاد الاصلاحات. وهذا، بالمناسبة، أمر طبيعي تماماً: فالملوك الحزبيون، كما يسمى المسؤولون الحزبيون في المناطق الأخرى، كانوا يتصرفون دائماً على نحو مختلف عن سلوكهم في مناطق بودابست العمالية. وهذا ليس في العقود الاربعة الأخيرة فقط، بل خلال تاريخ المجر كله على امتداد ألف عام. مع ان الاحزاب لم تكن موجودة، بالطبع، ولكن التقسيم الاداري كان امراً لم يتغير في شيء، وهو الذي كون «الامراء المحليين» في المناطق.

وبالمناسبة، تحدثت منذ أيام مع قائد أحد الوفود الاقليمية إلى المؤتمر، فقال: ان الاصلاحيين الذين نظموا ما سمي المجموعات الكفاحية من مندوبي الاقاليم، قسموا الحزب، ولكنهم الآن تركوا مساعدتهم من دون اهتمام ودعم. وهذا، بالطبع، رأي مسؤول واحد لمحافظة واحدة فقط، ولكنني أعلم ان مثل هذه الامزجة موجودة في المناطق الأخرى أيضاً.

لقد نشأ في المؤتمر وضع غير عادي: فلم يكن العمل يجري في القاعة فحسب،

بل و وراء الكواليس أيضاً، حيث كانت تتخذ قرارات مهمة. ولذا طالب أحد المندوبين قبل التصويت الحاسم بأن يقدم زعماء الحزب «تفسيراً للشائعات». بتقديم تقارير أمام المجتمعين عما اجروا بشأنه «المفاوضات وراء الكواليس» خلال الايام كلها تقريباً.

وثمة سمة مهمة أخرى، هي مسألة جدول الاعمال. انه لجيد ان الكثيرين في المؤتمر - اربعة احماس المندوبين - كانوا من المتخمين للمرة الاولى، الذين لم يمارسوا عملياً أي نشاط سياسي في السابق. ولكن هذا بدوره جعل مستوى الثقافة السياسية للمندوبين منخفضاً جداً. وفي النتيجة بدا النقاش حول جدول الاعمال بالنسبة للكثيرين عملاً معقداً ومرهقاً جداً، ولا حاجة اليه. حتى ان الكثيرين لم يفهموا ان اقرار هذا الجدول أو ذاك كان يشكل، آنذاك، نجاحاً لحل عدد من المسائل في الاتجاه المطلوب. فلدى مناقشة مسألة كيفية اجراء الانتخابات - أوفق القوائم المغلقة أم المفتوحة - ايدت الاكثرية الاقتراح الاول اعتقاداً منها ان ذلك يؤمن الديمقراطية الحقيقية. ولكن اتضح فيما بعد انه لا يجوز في القوائم المغلقة حذف اسم مرشح ما أو اضافة آخر. عندئذ طالب البعض باعادة التصويت، ولكن القطار كان قد فاتهم، كما يقول المثل.

كان جو المؤتمر حامياً، ولم يتسم دائماً باللياقة. فاحدى الشخصيات السياسية البارزة في الحزب وصف في الاذاعة انتصار اتحاد الاصلاحات بـ «عالم الاجرام السياسي». وآخرون وصفوا اعضاء المنابر الداعية إلى بقاء حزب العمال الاشتراكي المجري بانهم «جردان». ولكن اعتقد انه يجب ان لا يكون في الصراع السياسي مكان للاساءات الشخصية.

اتحدثت عن ذلك باسهاب لأن الحياة السياسية العاصفة في بعض البلدان الاشتراكية لا تزال في بداية انبعاثها، ولذا من الضروري دراسة العبر المرة بدقة، لكي لا تتكرر مثل هذه الاخطاء. واذا تذكر اليوم تلك الايام اعتقد ان كل واحد منا، لحظة تأسيس الحزب الاشتراكي المجري، شعر بنفسه متصراً ومهزوماً في آن. لأن الوثائق التي أقرت في المؤتمر كانت حصيلة مساومات كبيرة.

- ما هو جوهرها؟ فالمنابر الاساسية دعت مجتمعة إلى انشاء الحزب الاشتراكي

المجري...

- لنبدأ بقرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي المجري. فهو يقول ان من بين مبادئ نشاطه - الاتحاد الحر والطوعي للتيارات المختلفة. والكثيرون على يقين حتى الآن من ان ذلك ضروري في ظروف نظام الحزب الواحد فقط. ولكن بما ان هذا الوضع قائم، فلا يجوز فصلي أنا ولا فصل اصدقائي وانصاري المتهمين إلى فرع الاشتراكيين اليساريين، من الحزب الاشتراكي المجري.

كما جاء في القرار أيضاً أن الحزب هو المكمل لتقاليد الحركة الاشتراكية والشيوعية التي لا ينال منها الزمن. ويشير البيان البرنامجي مثلاً إلى أن الحزب الاشتراكي المجري يدعم ويدافع عن تلك القيم الاشتراكية والشيوعية، التي لم تتمكن حتى الستالينية من اخماد قوة جذبها. وهذه الصيغ أيضاً هي نتيجة لمساومات كبيرة، لأن البعض في المؤتمر لم يكن يرغب حتى في ذكر كلمة «ماركسية»، ناهيك عن «الشيوعية». وأخذ الحزب الاشتراكي المجري على عاتقه مسؤولية العقود الأربعة الماضية، على الرغم من أن بعض الاصلاحيين اعترضوا، معتبرين أنه لم يتحقق أي شيء إيجابي خلال هذه السنوات. ودعا قسم من المندوبين الذين يمثلون اتحاد الاصلاحات إلى تشكيل حزب جديد كلياً أو تظهير صفوف الحزب القديم بصورة جذرية. واقترح، مثلاً، انشاء حزب للاشتراكيين الراديكاليين... وبالمناسبة، تلقى الحزب الاشتراكي المجري صفة شديدة بعدم قبوله عضواً في الاشتراكية الدولية، خلافاً للحزب الاشتراكي الديمقراطي المجري، الذي غدا عضواً كاملاً للحقوق في هذه الحركة. واعتقد أن المطلوب من الحزب الاشتراكي المجري، كشرط لقبوله أن يتخلى عن الاشتراكية عموماً كمنظومة كاملة من الافكار.

في نهاية المؤتمر ادركت، أنا والعديد من اصدقائي، أن هذا الوضع الذي تحقق نتيجة للمساومات، لن يبقى لفترة طويلة، ولذا قررنا تشكيل فرع الاشتراكيين اليساريين داخل الحزب الاشتراكي المجري.

- ما هي اهدافه؟

- أنه منبر من الناحية السياسية، ولكنه، وفقاً للنظام الداخلي، فرع من الناحية التنظيمية. وقد اتخذ المؤتمر قراراً يقضي بأن تكون هيئة رئاسة الحزب (المؤلفة من ٢٥ شخصاً) متجانسة، وإلا فإن من الصعب صوغ القرارات حول هذه المسألة أو تلك كما يعتقد. أما مجلس قيادة الحزب، الذي يضم ممثلي المنابر والمنظمات الاقليمية، فهو أكثر تنوعاً، إذا صح القول. وهو يعكس بالفعل تنوع الآراء الموجود داخل الحزب.

ان الكثيرين ينتقدوننا اليوم ويسألوننا: أو ليس الحزب الاشتراكي المجري حزباً اشتراكياً؟ ونحن نجيب: نأمل في أن يكون كذلك، ولكننا لسنا على يقين تام من ذلك. وقد قال أحد أعضاء الفرع: ينبغي أن نصبح ضمير الحزب، أن نحافظ على روحه، على جوهر وراثته البرنامجية التي أقرت في المؤتمر، وأن نساهم بذلك في أن يصبح الحزب الاشتراكي المجري حزباً يسارياً فعلاً.

غير أن فروعنا لا يسعى بذلك إلى الانفصال عن الآخرين. بل، على العكس، نحن نسعى مثلاً إلى تنظيم الصلات مع اتحاد الاصلاحات، حيث أنها لا تزال معدومة، على

الرغم من اننا في حزب واحد. ولدينا علاقات لا بأس بها مع المنبر الشعبي الديمقراطي. ونبحث عن نقاط التقاء مع التيارات الأخرى داخل الحزب الاشتراكي المجري. ونحاول تنظيم الصلات مع غير الحزبيين، متحدثين باسم الحزب الاشتراكي المجري. ونرى انه من الضروري التعاون مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل الجديد الذي انفصل مؤخراً عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي المجري. وبديهي اننا نقيم الحوار مع اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق.

ان عددنا الآن يزيد على الف شخص. وهو رقم مضحك بالمقارنة مع حجم حزب العمال الاشتراكي المجري السابق البالغ ٧٠٠ ألف عضو، ولكنه ليس بالعدد القليل بالنسبة للحزب الاشتراكي المجري الذي ليست لديه الآن منظمات حزبية في عدد من المحافظات.

اننا نرى احدى مهماتنا الاساسية في دعم بعض الاشخاص الموجودين في القيادة، وبالدرجة الأولى ر. نيورس. لأنه من الصعب عليه الدفاع عن وجهة نظره في هيئة الرئاسة من دون دعم الوسط واليساريين.

وبصراحة أقول انني لا اعتبر ان الحزب الاشتراكي المجري ينبغي ان يكون حزباً حاكماً. خلال سنوات طويلة كان لدي رأي آخر، لم يعد ملحاً في ظروف التعددية الحزبية الآن. فالحزب ينبغي ان يكون مؤمناً بنظام ما، ولكن ليس من الضروري ان يكون القوة القائدة فيه. فعلى سبيل المثال، أعلنت الحكومة-المجرية استقلالها عن الحزب الاشتراكي المجري، ولكنها في الوقت نفسه تتوقع ان يتخذ الحزب مواقف مؤيدة لها. ولعلي أقول ان الحزب الاشتراكي هو في الظروف الراهنة أشبه برهينة لدى الحكومة. والحقيقة ان الوضع بدأ يتغير الآن، بعد ان خرج رئيس الوزراء م. نيميث من هيئة رئاسة الحزب. وفي رأيي انه ينبغي وضع حدود أوضح بين الحزب والحكومة.

- ما الذي يقترحه فرعكم في الميدان الاقتصادي؟

- ليس لدينا برنامج غير البيان البرنامجي للحزب الاشتراكي المجري. أما بالنسبة للأفكار التي يمكن «اشباع» هذه الوثائق بها، فنعتقد انه من الضروري في إطار الاقتصاد المختلط تأمين الدور السائد للملكية الاجتماعية، حتى ولو لم يتجمل ذلك في المؤشرات الكمية الصرف. اننا ندعو إلى تنوع اشكالها، بما في ذلك ملكية هيئات الادارة الذاتية والبلديات. ونعترف بضرورة نقل قسم من المؤسسات إلى القطاع الخاص، ولكن نحتج بشدة على تدمير ملكية الدولة بهذا الشكل.

كما نعتبر من المهم أيضاً الحفاظ على التنظيم الذي تمارسه الدولة. ونرفض النظريات والأفكار الليبرالية الجديدة. التي تكتسب شعبية في الحزب الاشتراكي

المجري، للأسف. ونقترح وضع حد للسياسة التقليدية المتبعة منذ بداية الثمانينات. وهذا يعني انه يجب خلق المقدمات والظروف لرفع مستوى المعيشة في المستقبل. لأنه يبدو لنا من غير الواقعي رفعه خلال اشهر أو حتى سنوات معدودة. ونقف أيضاً ضد اخضاع جميع جوانب النشاط الاقتصادي لتأمين وضع مالي أفضل بموجب بنود الميزانية وتوجيهه فقط من أجل ازالة العجز في ميزانية الدولة.

وبالنسبة للعلاقات الاقتصادية الدولية، نعتبر انه من الضروري التعاون بقدر متساو مع الغرب والشرق، دون ان تقلص بأي شكل من الاشكال العلاقات مع البلدان الاشتراكية، بما فيها الاتحاد السوفيتي بالطبع.

وبديهي ان الكثير يتوقف في هذا المجال على الانتخابات المقبلة في البرلمان، التي ستجري في اواخر آذار ١٩٩٠. مع من ستحالف، لكي نتحاشى الهزيمة الساحقة؟ انه ليس السؤال البسيط، فالكثير يتوقف على ذلك.

اذا لحقت بنا الهزيمة، فسنجرب الدخول في حكومة ائتلافية أو تنظيم معارضة يسارية أو وسطية في البرلمان. ولكنني أؤيد وجهة النظر الأخيرة، لأن مشاركتنا في الحكومة ستخدم الآن مصالح القوى اليمينية: ففي مثل هذه الحالة سيكون دائماً من الممكن لقاء ثبة الفشل والاختناقات في المجال الاقتصادي على الحزب الاشتراكي والنيل منه نهائياً.

- ربما ستعاونون مع حزب العمال الاشتراكي المجري؟ فقد قال رئيس الحزب الاشتراكي المجري ر. نيورث في تشرين الاول ان من المنطقي والطبيعي ان يتشكل حزب شيوعي عاجلاً أم آجلاً. وقد حدث هذا بالفعل. فما هو موقف الحزب الاشتراكي المجري منه؟

- يدور نقاش حاد في الحزب حول هذا الأمر. فالكثيرون يخشون ان تنغمس القوى اليسارية في المجر في الصراع فيما بينها، وان تنهش بعضها.

ان النظام الداخلي لا يحظر الصلات مع حزب العمال الاشتراكي المجري، على الرغم من انه من غير اللائق كثيراً إقامة هذه الصلات على مستوى قيادة الفرع: فان ذلك سيعني نشوء حزب داخل الحزب الاشتراكي المجري، وهو أمر لن نقدم عليه بالطبع. ولكن يمكن إقامة العلاقات مع اعضاء حزب العمل الاشتراكي المجري ومع منظماته القاعدية، وهذا ما لم يمنعه أحد. فعلى سبيل المثال، عقدنا مؤخراً اجتماعاً لاعضاء فرعنا في الحزب الاشتراكي المجري، حضره ممثلون عن حزب العمال الاشتراكي المجري. أكان علينا ان نطردهم من القاعة؟ أم انه من الأفضل الدخول في حوار معهم؟ اعتقد ان الطرح الثاني هو الأمثل.

ولكن ليس الجميع يؤيدون هذا الرأي. فعلى سبيل المثال، كان رد الفعل عاصفاً

في صحيفة «نيسابادشاخ» على اقدام احدى اللجان المنطقية للحزب الاشتراكي المجري في بودابست على تخصيص مقر لمنظمة حزب العمال الاشتراكي المجري . وأعلن سكرتير حزبي في احدى المدن ، وهو بالمناسبة لا ينتمي إلى أي منبر ، انه يفضل الانتقال إلى مبنى اصغر ، على اقتسام المبنى مع حزب العمال الاشتراكي المجري . وكما نرى ، الموقف ليس واحداً من حزب العمال الاشتراكي المجري المجدد .

- ربما كان ينبغي عدم استئناف نشاطه مادام البعض يرى ان ذلك يلحق الضرر بالحركة اليسارية؟

- اعتقد انكم لستم على حق ، على الرغم من ان الكثيرين يوافقون على هذا الرأي . ففي ظروف التعددية الحزبية ، التي يؤكدھا الدستور والقانون ، لكل منظمة سياسية الحق في الوجود .

- المسألة الأخرى هي : هل كان من الصحيح الغاء الحزب في المؤتمر بالذات؟ ينبغي القول ان انصار اتحاد الاصلاحات ارتكبوا خطأ كبيراً عندما امتنعوا عن تسمية مؤتمر تشرين الاول المؤتمر الرابع عشر . وقد مكن هذا اتباع حزب العمال الاشتراكي المجري من الدعوة للمؤتمر الدوري الرابع عشر للحزب في كانون الاول ١٩٨٩ . الخطأ الآخر هو عدم اتخاذ قرارات ملموسة حول وقف نشاط حزب العمال الاشتراكي المجري وهياته القيادية .

ان اغلبيه المندوبين تعتبر حتى الآن انه كان لدينا تفويض مفتوح ، ولذا فان قرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي المجري صحيح . وربما هذا صحيح من الناحية القانونية .

ولكن عندما تحدثت بعد المؤتمر في المنظمات القاعدية ، سألني الكثيرون : ألا يؤنبني ضميري عما فعلت؟ وقيل لي : نحن لم نفوضك اتخاذ هذا القرار . ولذا ظهر لدى مئات الالاف من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري شعور بالاساءة ، وربما حتى بالاهانة ، لأن الحزب اختار طريقه دون ان يتشاور معهم . وأعلم انه لم تعجبهم الكلمات التي ترددت كثيراً في المؤتمر : الحزب الاشتراكي المجري لن يأخذ التراث السياسي لحزب العمال الاشتراكي المجري السابق ، ولكنه يعتبر نفسه ورثاً لممتلكاته .

والآن ، بعد ان أعيد تشكيل حزب العمال الاشتراكي المجري ، من الطبيعي ان تنشأ مسائل مادية ، سوف تحل بالطرق القانونية ، بالطبع . ولكن أود ان اشير ، بالمناسبة ، إلى انه على الرغم من ان الدستور كان يؤكد الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري ، فان الحزب نفسه لم يكن مسجلاً في أي مكان . (ربما لانه كان الحزب الوحيد في البلاد؟) . لا يمكن تصور مثل هذا الوضع في الغرب .

- ان منبركم هو: فرع الاشتراكيين اليساريين. ماذا تعنون بمفهوم «اليساريين»؟
- قبل كل شيء انه الاخلاص لافكار الاشتراكية، لروح الماركسية. واعتبر أيضاً حزباً يسارياً الحزب الذي يقوم على مبادئ الجماعية والمعبر عن ارادة الشغيلة.
يبدو لي انه يجري الآن التلاعب بهذه المفاهيم في الاتحاد السوفيتي أيضاً، على حد علمي. لقد قال أحد الزعماء السياسيين للحزب الاشتراكي المجري، مثلاً، وأنا اعترف بان هذا تعبير موفق: ان من هم على يساري، يمينيون بالنسبة لي. فكثيراً جداً ما يعتبرون عندنا الليبرالية هي اليسارية بعينها، ويعتقدون ان كل دكتاتورية انما هي مصطلح يميني، وانه كلما كان المجتمع أكثر ليبرالية، كان أكثر يسارية. في هذه الحالة يتعين اعتبار اليعاقبة يمينيين، والسيدة تاتشر يسارية، وان حزب العمال البريطاني يقف على يمينها. اعتقد انه ينبغي استخدام هذه المفاهيم بالمعنى الاوربي للكلمة. وعلى الرغم من ان الدكتاتورية تنزلق عاجلاً أم آجلاً، مهما كان هذا محزناً، إلى مواقع الارهاب العقوبي أو الستاليني، فانه ينبغي مع ذلك التفريق بين الدكتاتورية الثورية ودكتاتورية الثورة المضادة. ويسمى البعض الآن إلى ازالة الفوارق بينهما. فجري التخفيف من دكتاتورية هورثي بالمقارنة مع المبالغة في وصف مرحلة ما بعد عام ١٩٥٦، التي كانت بمثابة عملية قضاء على ارهاب الثورة المضادة. ان مهمة القوى اليسارية، في رأينا، هي وضع الأمور في نصابها، ولكن هذه، للأسف، مسألة في غاية الصعوبة.

- يقولون ان المجريين اصبحوا غير مباليين بالسياسة، فضلاً عن انهم يتخذون موقفاً سلبياً من كل ما هو «اشتراكي». كيف ترون مستقبل المجر في العام أو العامين القادمين؟
- ابدأ بالقسم الثاني من السؤال. ربما ستصبح بلادنا غير قابلة للتحكم بها من الناحية السياسية، اذا ما توزعت الاصوات بصورة متساوية بين الاحزاب بعد الانتخابات البرلمانية. ولكن في ميدان الاقتصاد سيبقى الاستقرار قائماً في كل الأحوال. حتى انني اعتقد ان المجر ستستفيد من وجود حكومة أكثر يمينية، مما لو كانت هذه الحكومة إلى جانبنا. وهي ستلجأ إلى طرق دكتاتورية، بالطبع، بهدف الدفاع عن نظام تعدد الاحزاب والديمقراطية. وهنا أيضاً، كما يبدو لي، ليس ثمة طريق آخر، لأن الحكومة في اعتقادي ينبغي ان تكون مستقلة عن البرلمان إلى حد أكبر، لكي تتمكن من تحقيق برنامجها بصورة فاعلة.

أما بالنسبة للقسم الأول من السؤال، فان ما يميز اغلبية السكان هو بالدرجة الأولى الشعور بخيبة الأمل واللامبالاة السياسية. ومن الصعب جداً التنبؤ بالاتجاه الذي سيسلكه السواد الأعظم من الشعب الباقي في وضع لا مبال قبل الانتخابات وبعدها. وللأسف، لا تزال ماثلة حتى الآن آثار الحملة التي شنت قبل أكثر من ٤٠ عاماً ضد الشيوعيين.

ويمكنكم التأكد من ذلك اليوم من برامج التلفزيون والاذاعة. واعتقد انه حتى لو فتح المرء حنفية الماء لسمع شيئاً ما معادياً للشيوعية. هذه مزحة بالطبع، ولكن لو تكلمنا بصورة جادة لا يمكن القول ان القوى اليمينية قامت بالفعل بعمل تنظيمي هائل خلال اعادة دفن وفات أمرناج ورفاقه في حزيران ١٩٨٩. لقد ترددت نداءات مباشرة لمواصلة «ثورة عام ١٩٥٦» وتهمجمات عنيفة ومهينة ضد الاتحاد السوفيتي وحزب العمال الاشتراكي المجري. وجميع الذين كانوا إلى الجانب الآخر من المتراس. وحصلت مقاومة شرسة مماثلة بعد عدة اسابيع من ذلك، بعد وفاة يانوش كادار. ولكن على الرغم من ذلك جاءت مئات الالاف من الناس بصورة عفوية واندفاع واحدة لوداع الانسان، الذي قاد حزب العمال الاشتراكي المجري خلال ثلاثة عقود، واقرنت هذه الحقبة من تاريخ المجر باسمه.

ولنحلل نتائج الاستفتاء الشعبي العام الذي جرى مؤخراً^(١). لقد دعا المؤتمر الديمقراطي المجري - القوة الرئيسية للمعارضة - إلى مقاطعة هذا الاستفتاء، ولكنه اصيب بالهزيمة. ودعا الحزب الاشتراكي المجري إلى الاجابة بـ «لا» عن السؤال الاول فقط. ولكنه خسر أمام المجموعتين المعارضتين الاخرين، القليلتي العدد، بالمناسبة أي اتحاد الديمقراطيين الاحرار واتحاد الديمقراطيين الشباب. بيد ان الفارق في الاصوات كان لا يزيد عن الستة آلاف.

ان القضية تكمن كذلك في ان الناس الذين عاشوا في ظروف نمورفاهية البلاد، قد شابوا - فاغلبيتهم من المتقاعدین - ان مستوى المعيشة في اوائل الستينات بدا أمراً طبيعياً بالنسبة للذين ولدوا في تلك الفترة. ولكن الشقة والاجر الجيد كانا لدى آبائهم، وليس لديهم. وعندما بلغ الشباب سن الرشد، كانت البلاد قد دخلت الازمة الاقتصادية. فالمداخيل الفعلية انخفضت من عام إلى عام، وامكانية الحصول على السكر وعلى عمل عالي الاجر، غدت حلماً بعيد المنال. وكان يربط ذلك كله في الغالب بصورة مباشرة بنشاط حزب العمال الاشتراكي المجري الحاكم آنذاك. أما الاحاديث عن الرفاهية السابقة فكانت تعتبر في الغالب مجرد حكايات أو احداث تعود إلى عصر الاجتياح التتري. ولذا فان هذه التكات التي تصدر عن السكان، وخصوصاً عن تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين، تتخذ مواقف سلبية من النظام المسمى «اشتراكياً»، لأنه غير قادر على ان يؤمن لا ظروفاً ملائمة للمعيشة، مماثلة للظروف التي يعرفونها، ليس من الصحف والمجلات وبرامج الاذاعة والتلفزيون فحسب، بل أيضاً من خلال اسفارهم الحرة إلى النمسا المجاورة؛ مثلاً، وإلى البلدان الأخرى، للاطلاع على العالم.

- حدثونا، في الختام، من فضلكم عن حياتكم في الحزب.

- انتسبت إلى الحزب الشيوعي المجري عام ١٩٤٥. (وقد غير اسمه مرات عدة في

ذلك الحين). وشاركت في نشاطه، كما تفعل الاغلبية حتى الآن: كنت اكتفي بمراقبة الاحداث، والخطط القيادي للحزب. منذ عام ١٩٥٤ اخذت اعراض الكثير من الأمور، التي لم تعجبني في حياة الحزب، وتلقيت تأنيباً لقاء ذلك، لكنه ألغى فيما بعد. وعموماً، كنت ادعم نشاط امري ناج. ولكن مع اقتراب عام ١٩٥٦ ترسخت لدي قناعة بانه لن يتمكن من مواصلة سياسة الاصلاحات نظراً للين عريكته وانعدام الصفات التنظيمية لديه وحسن ظنه المفرط.

بعد عام ١٩٥٦ شاركت في انشاء حزب العمال الاشتراكي المجري وكنت سكرتيراً لاحدى منظماته القاعدية. وبوصفي اقتصادياً اعددت اصلاح عام ١٩٦٨، ومن ثم عملت بنشاط من أجل تطبيقه. وكنت آنذاك، كما هي حالي الآن، أعمل في معهد الاقتصاد التابع لأكاديمية العلوم المجرية.

وباختصار، جعلتني الحياة في صفوف اليمينيين أحياناً (في الكونغرس الحزبي)، وأحياناً في الوسط، أما اليوم فأنا في صفوف اليسار.

- اذن، لقد اجتزمت الطريق من شيوعي إلى اشتراكي؟

- لا ازال حتى الآن اعتبر نفسي شيوعياً. وكانت لدي بسبب ذلك مصاعب سواء في الحزب الشيوعي أو الشغيلة المجرية أو حزب العمال الاشتراكي المجري، ويدور انني ساواجهما في اشتراكي المجرية أيضاً. ولكنني لن اغير قناعاتي ونظرتي إلى العالم. فقد كنت وابقى ماركسياً بافضل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان.

الهوامش

(١) في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) في آذار ١٩٢١، دعا لينين إلى وضع حد نهائي للتجمعات التكتلية في صفوفه. وقد جاء في القرار: «يقرر المؤتمر الحل الفوري لجميع الكتل التي تشكلت على هذا الاساس أو ذاك من دون استثناء، ويعهد إلى جميع المنظمات العمل بصرامة على منع أي نشاطات تكتلية. ان عدم تنفيذ قرار المؤتمر هذا ينبغي ان يؤدي إلى الطرد من الحزب حتماً وفوراً» - المحرر.

(٢) انظر على سبيل المثال. ديورد آتسيل. لا بديل من اشاعة الديمقراطية وقضايا السلم والاشتراكية»، ١٩٨٩، العدد ٧.

(٣) جاء في بيان مجلس وزراء جمهورية المجر الشعبية حول قضية امري ناج المنشور في ١٤ حزيران ١٩٨٩: «لقد كان رجل دولة فذاً، تمكن من ادراك ضرورة تغيير السياسة الغربية غير القابلة للحياة، وتحقيق المصالح والتقاليد الوطنية. ان طموحات امري ناج واتباعه الفكرية، الديمقراطية الانسانية والوطنية بطابعها تشكل عناصر مهمة في السياسة الحكومية الراهنة» - المحرر.

(٤) دكتور المجر الفاشي في اعوام ١٩٢٠ - ١٩٤٤، المحرر.

- (٥) يبلغ مجموعه الصافي أكثر من ١٤ مليار دولار، أي ١٨٥٠ دولار لكل مواطن مجري - المحرر .
- (٦) جرى في تشرين الثاني ١٩٨٩ . وقد كان يقضي بالإجابة عن أربعة أسئلة : هل ينبغي أن ينتخب رئيس الجمهورية بعد الانتخابات البرلمانية فقط ؟ هل ينبغي أن تغادر الأحزاب المؤسسات ؟ هي ينبغي أن يقدم حزب العمال الاشتراكي المجري كشفاً بممتلكاته ؟ هل ينبغي حل الميليشيا العمالية ؟ - المحرر .



عندما زالت الاوهام

فلاديمير غانين

توصف الاحداث التي جرت في رومانيا عشية عام ١٩٩٠ بكونها ثورة. فقد سقطت دكتاتورية عاتية وحشية. واستبشر الشعب الذي سمع صوته الخاص لأول مرة عملياً خلال ربع قرن. وبهذا الواقع الجديد عرف على الفور ان له حقوقاً اضافة إلى الواجبات. فكيف تم ذلك بالضبط؟ اعتقد ان المقابلات المنشورة ادناه تمكن من وضع بعض الاستنتاجات حول طبيعة وخصوصيات العمليات الجارية الآن في البلاد.

كازيمير يونسكو هو أحد الذين كانوا حتى الامس القريب «مواطنين رومانيين عاديين» وعاشوا في هذا البلد مثل ملايين الناس في البرد والحرمان. أما اليوم فان خريج معهد النفط والغاز ومن ثم خريج كلية الفلسفة في جامعة بوخارست، هو نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني في رومانيا. كان يعمل قبل الثورة في معهد الاقتصاد ولم يشغل أي منصب في البنى السياسية السابقة. عمره ٤٣ عاماً متزوج ويقوم بتربية ابنه.

يبدأ كازيمير يونسكو الحديث قائلاً: مع التعمق في الفلسفة وادراك قوانين التطور الاقتصادي، شعرت برغبة أقل في ممارسة السياسة في ظل النظام القديم، حيث انحصر كل شيء في تنفيذ الاوامر بصمت. وفي الوقت ذاته بدأت في السنوات الاخيرة بالتحديد في التعمق بالقضايا التي واجهها اقتصاد بلادنا وتوصلت إلى قناعة راسخة بان النظام القائم غير قادر على السير بالبلاد إلى الامام. اذ لم يكن شاوشيسكو أو الاوساط القريبة منه مهتمين بذلك.

- هل يعتبر هذا الوضع «مأثرة شخصية» لشاوشيسكو؟ وما هي الاجواء التي كانت سائدة في الحزب والبلاد قبل عام ١٩٦٥ أي قبل وصوله إلى السلطة؟
- لقد اعتقد الكثيرون منا في ذلك الوقت بان رومانيا قد تخلصت من «النفوذ الخارجي»، فقد اخرجت القوات اسوفيتية من البلاد وكان الوضع الاقتصادي مستقراً إلى حد ما، بل ونخيل اليها اننا نعيش بصورة جيدة مقارنة ببعض البلدان الاشتراكية الأخرى، وبان السياسة التي مارستها القيادة آنذاك كانت في مصلحة الشعب. غير ان ذلك كله كان مجرد مظاهر خارجية ويبدو اننا خدعنا.

لقد سن شاوشيسكو في السنوات الاولى من حكمه عدداً من القوانين والمراسيم التي كان من شأنها ان تضلل الشعب فعلاً. واذكر أحد الاجتماعات «البارزة» التي عقدها شاوشيسكو في نهاية الستينات. وقد جرت فيه مناقشة مسألة سوء استخدام السلطة من قبل اجهزة الامن، واديت علناً أساليب عمل هذه الاجهزة وأشير إلى انها لا تملك الحق في مراقبة المواطنين والتتصت على الهواتف وفتح الرسائل... الخ. كما أشير وقتها إلى ان اجهزة الامن ذات الصلاحيات الخاصة ستوضع في صف واحد مع الهيئات الحزبية. ورغم انها مدعوة لاعلام القيادة عن الاعمال الموجهة ضد الدولة ومنعها.

ولكن لم تمض ٣ - ٤ سنوات حتى اعادت هذه الاجهزة مراقبتها السرية على المجتمع بعد ان ادركت انها تفقد نفوذها في البلاد. واني واثق من ان ذلك جرى بمصادقة من القيادة العليا وموافقتها. وعند ذلك صدرت، بوحى من اجهزة الامن، مراسيم رئاسية تحد من حرية المواطنين ومن صلاحيات مسؤولي المؤسسات والمنظمات، تلك الحريات والصلاحيات التي يخضع تنفيذها لمراقبة اجهزة الامن أيضاً. ومع مرور الزمن بدأت هذه الاجهزة تنسج الاوهام حول دورها زاعمة انه لولا نشاطها لحلت كارثة بالاشتراكية في رومانيا. وبعدما اقتنع شاوشيسكو بذلك بدأ هو نفسه يعتمد في كل اموره على اجهزة الامن وهي لم تسترشد في عملها مطلقاً بالمبادئ الاشتراكية.

لقد بدأت تختفي مع مرور الزمن الميول الديمقراطية المتعددة التي كانت موجودة في بلادنا اواسط الستينات. وفي الوقت نفسه استجمعت قواها تركيبة موازية للسلطة لم يتم الحديث عنها علناً في أي مكان، وكان من الممكن التكهن فقط بوجودها عن طريق معرفة كيف تحل الامور في رومانيا. وقد شملت جميع مجالات نشاط الحزب والدولة وتغلغلت بعمق في الاقتصاد والسياسة والثقافة وفي ارواح الناس. وكانت هذه التركيبة عبارة عن مجموعة «الحزب - اجهزة الامن» التي قادت البلاد وحكمتها بشكل مطلق وخاصة في السنوات الاخيرة. لقد خاف الناس من هذه المنظومة غير المرئية لمعرفتهم ان محاولة مجابعتها من قبل أحد ما تعني اختفائه فجأة بكل بساطة. واذا ما تعلق الأمر بشخصية

معروفة فقد قضت العادة بارسالها لـ «المعالجة» في مشفى للأمراض النفسية، ولم يكن ثمة أمل في عودتها من هناك سليمة معافاة. أما أولئك الناس الذين كانوا معروفين للعالم كله وكان من الصعب «اخفاؤهم» فقد احيطوا بحلقة كاملة من العاملين في اجهزة الامن، وهكذا عاشوا كما لو انهم يعيشون في جزيرة غير مأهولة في وسط البلاد.

- اذن كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية ساعدت على انحطاط الحزب وشايشيكو نفسه.

- ألا تعتقدون ان الاهتمام الكبير الذي يبديه جميع الصحفيين الاجانب في رومانيا بوضع الحزب الشيوعي السابق هو ظاهرة ذات دلالة؟ ان الاجابة عن هذا السؤال باستفاضة تتطلب القيام بتحليل عميق لنشاط الحزب ودراسة ارشيفه واستقصاء مجمل الطريق الذي قطعته في السنوات الاخيرة. ونحن، بهدف القيام بذلك، نعتزم تشكيل جماعات اختصاصية من العلماء تتناول الوثائق المعنية بالمعالجة والدراسة الشاملة. كما نسعى إلى ان لا يتكرر الاستبداد وسياسة املاء الشروط من جانب حزب واحد في بلادنا ابداً. لذلك اعتقد ان التفكير العميق وبشكل جدي في وضع الحزب ودوره لا يمكن ان يتم إلا بعد مضي عام أو عامين.

- على الرغم من ذلك يبدو ان من الممكن الآن تقييم الوضع الذي نشأ في الحزب في السنوات الاخيرة ولو ببعض كلمات؟

- اعتقد انه من السابق لاوانه التحدث حول الحزب ضمن الوضع الذي تكوّن في البلاد في الوقت الراهن. وسوف يقول الناس غداً عندما يسمعونني «انظروا كيف ان نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني بدأ يترحم على الحزب الشيوعي». وهذا لا يعني سوى صب الماء في طاحونة الذين يترصدون كل خطوة من خطواتنا ويعرقلون عملنا. ومن غير هذا لدينا العديد من المشاكل مع النشطاء السابقين في الاقضية والمؤسسات والمعامل. فهم حاضرو البديهة دوماً ويعرفون كيف يأخذون زمام السلطة في ايديهم ويطمحون في كل مكان للوصول اليها بالحق أو الباطل. لقد تعلموا خلال سنوات طويلة كيف يقودون الناس وهم يتكاثفون اليوم أكثر من أي وقت مضى.

- يشكو بعض قادة الاحزاب التي تشكل الآن من انهم محرومون من حق التحدث في الصحافة والاذاعة والتلفزيون.

- نحن نعرف مزاعمهم وقد اطلعنا عليها في بعض الصحف الاجنبية. ولكن الوضع ليس كذلك. ان الصحافة عندنا اليوم حرة ونحن لا نوجهها. يضاف إلى ذلك، اننا كررنا أكثر من مرة الدعوة إلى جميع الاحزاب لعقد «طاولة مستديرة»، ونقترح مناقشة أية قضايا تتعلق بتطور مجتمعنا السالح بصورة مشتركة. اننا لا نفرض حظراً على أحد، ومن بينهم

الشيوعيون أيضاً، ولا على أي شيء. فليشكلوا منظماتهم، وليشاركوا في حياة البلاد السياسية. هذا هو موقفنا، واعتقد انه يشير إلى الثقة بقوانا وباننا على استعداد لاجراء حوار بناء مع الجميع بصراحة وعن وعي.

لكن ذلك يجب ان يتم عبر منافسة ومباراة نزيهة. إلا انه ليس ثمة الآن لدى العديد من الذين يناقشوننا أي اهتمام عدا الوصول إلى السلطة. ولكن انظروا كم من القضايا امامنا، اذ يجب حل المسائل المتعلقة بالمواد الغذائية، والا سيبدأ عندنا الجوع بالمعنى الحرفي للكلمة. كما اننا نخسر في الصناعة مليارات عديدة من الليرات بسبب نقص المواد الأولية والمعدات في عدد من المصانع، كما سيتوجب علينا انجاز المهمات في المجال الاجتماعي وفي الرعاية الصحية، ويجب تأمين التدفئة والكهرباء للشعب. يضاف إلى ذلك، العمل التنظيمي الصرف، واعداد مختلف اشكال الوثائق، هذا العمل وذاك الاعداد اللذان يتطلبان جهداً ووقتاً كبيرين... الخ. ليس لدينا الآن وقت للمصياغات المتقنة ووضع الفواصل كي تبدو بصورة افضل في نظر الرأي العام العالمي. وبالمناسبة يتوجب على الصحافة العالمية ايضاً اذا كانت متمسك بالآراء الانسانية الاساسية ان تساعدنا بعض الشيء وبالاخرى ان تفهمنا بصورة أفضل.

ثمة مسألة أخرى. لقد سيطرت في رومانيا خلال ربع قرن بهذا الشكل أو ذاك دكتاتورية شائيسكو الشبيهة باستبداد ستالين. وكانت شاملة في العقدين الاخيرين بشكل خاص. ولم يكن من حق الانسان التعبير عن رأيه بحرية ولم يستطع قراءة الصحافة الاجنبية ولم يكن بإمكانه تلقي رسالة من الخارج أو القيام بجولات سياحية. لقد شبهونا بصفدعة في بئر، يبدو لها ان السماء كلها ما تراه من فتحة البئر فقط. هكذا عشنا في رومانيا. لذلك ليس بإمكان شعبنا ان يصبح بين عشية وضحاها مثقفاً تثقيفاً سياسياً. لقد كان شعبنا معزولاً تماماً عن السياسة. كما ان الدكتاتورية اقصتنا عن الحرية باحكام.

طبعاً لم يكن بمقدور الناس في مثل هذه الظروف ادراك كل شيء. يضاف إلى ذلك، اننا عشنا تحت نير الدكتاتورية، وانا نفسي مازلت اتعلم الديمقراطية واتعود على الحرية. لو عدنا إلى الاجتماعات الطلابية فاني اعترف باننا نرتكب احياناً اخطاء. فانا على سبيل المثال بدأت خطابي في أحد الاجتماعات بالكلمات الآتية: «اضمن لكم...». ولكنني لست مدعواً لاعطاء وعود وضمانات ما. لقد استولوا على ذلك الحق بانفسهم. واتصروا في الثورة. لكنني ادركت في لحظة معينة بان الطلاب لم يتخلصوا بعد من عادة التفكير كما في ظل النظام القديم الذي كان يعد الشعب دوماً بشيء ما ويقدم له الضمانات. أما الآن فان جميع الضمانات هي في ايدي الناس انفسهم، ان جاز التعبير.

- في مجلس جبهة الانقاذ الوطني انت شخصياً مسؤول عن نشاط عدد من

لجانه. أية واحدة منه، في رأيكم، يتوجب عليها ان تنجز مهمات أكثر من غيرها؟

- كلها. لدينا جميعاً اليوم عمل كثير. فعلى سبيل المثال، سيبدأ بعد عدة دقائق لقاء في الاكاديمية الرومانية مع اعضاء لجنة حماية البيئة. ومن المعروف بشكل أكيد اليوم ان الدكتاتور شاوشيسكو مارس في هذا المجال سياسة تناقض مع متطلبات الحضارة المعاصرة.

واللجنة الأخرى التي تواجهها مهمات كثيرة هي لجنة العلاقات مع مجالس جبهة الانقاذ الوطني المحلية. يواجهنا هنا نوعان من المسائل الهامة، تتلخص الاولى في ان العديد من رجال النظام السابق تمكنوا من التسلل إلى السلطة في المناطق على الرغم من جهودنا وسعينا لمنع ذلك. وهم يعالجون إلى جانب المسائل التنظيمية القضايا المتعلقة بتوزيع المواد الغذائية على السكان، ولكن ليس التوزيع فقط. فنظراً لانهم اعتادوا على سرقة الشعب، يقومون من جديد بنهب المستودعات والمؤن. وهؤلاء اناس خطرون جداً على الثورة لان بإمكانهم خلق توتر في البلاد ونحن نحاول فضحهم بجميع الوسائل. وفي الوقت ذاته سيتوجب علينا تطبيق نظام البطاقات بالنسبة للكثير من اصناف المواد الغذائية كي نؤمن للشعب ولو البحد الأدنى من حاجاته الضرورية، كما سيتوجب علينا تنظيم مراقبة توزيع المواد الغذائية.

أما المسألة الثانية فهي مرتبطة بالاولى ارتباطاً وثيقاً، وهي تتعلق بفئة من الناس تسللوا إلى السلطة باساليب مختلفة في العديد من الاقضية (وقد تأكدنا من ذلك خلال وجودنا هناك) وهم يلجأون إلى الممارسات السابقة ذاتها. انهم يشرفون على كتابات الصحف وينشرون الذعر ويؤلبون الشبيبة على قادة مجالس جبهة الانقاذ الوطني. لذلك قررنا اجراء انتخابات في بعض المناطق وادخال نسبة أكبر من الشباب في المجالس. وليس مهماً انهم لا يزالون عديمي الخبرة ويرتكبون اخطاء في البداية، ولكننا على ثقة من ان الشباب هم أقل الناس تعرضاً للفساد. فهم يطمحون بحماسة إلى حياة افضل وإلى الحرية. ونحن نثق بمثل هؤلاء الشباب.

- بعد المجازر الدموية الوحشية في تيمشوار، اتهم شاوشيسكو بعض بلدان اوربا الشرقية زاعماً انها وراء هذه الاحداث بهدف زعزعة استقرار الاوضاع في رومانيا. ماذا يمكن القول الآن حول ذلك بعد انتصار الثورة الشعبية؟

- هذا هراء ما بعده هراء. ان ما حدث في العقد الاخير وبشكل خاص عام ١٩٨٩ في عدد من البلدان الاشتراكية، كان بالنسبة لنا ولجميع الشعب بمثابة مدرسة حقيقية. ان تطور

الاحداث في الاتحاد السوفييتي كان يعني بالنسبة لنا «نوراً في نوافذنا». لقد تابعنا دوماً باهتمام العمليات الاجتماعية الجارية في الاتحاد السوفييتي. وعندما رأينا انهم لا يتحدثون هناك عن عملية اعادة البناء فقط بل ويطبّقونها، ادركنا انه يتوجب علينا حل قضايانا بانفسنا، فلن يقوم أحد بذلك عوضاً عنا.

- ثمة بعض الادعاءات التي تزعم ان مجموعة صغيرة من اعضاء جبهة الانقاذ الوطني هي التي تقوم باعداد الكثير من القوانين ثم يقوم مجلس الجبهة بالمصادقة عليها وقرارها، علماً انه من الناحية المبدئية يجب ان يناقشها جميع المواطنين في البلاد.

- يدور الحديث حول التدابير التي لا تحتل التأجيل. ولكن لا يقوم باعدادها بعض اعضاء جبهة الانقاذ الوطني وانما مجموعات كبيرة من المستشارين والعلماء. ثم يناقش هذه المشاريع باسهاب اعضاء المجلس، وبعد ذلك فقط يتم اقرارها. أما مشاريع القوانين الأكثر أهمية مثل قانون الانتخابات ودستور البلاد الجديد فسوف يناقش باستفاضة في الصحافة ومن قبل جميع مواطني رومانيا. وعلى الرغم من ان الوقت يضغط علينا والناس يريدون التخلص بسرعة من تركة دكتاتورية شاوشيسكو لكننا لن نستعجل في اتخاذ هذه القرارات. ان الشعب هو صانع الثورة لذلك فان الكلمة الفصل له.

- سؤال أخير. لتتصور ان حديثنا يتم بعد الانتخابات العامة. فكيف ترون رومانيا وجبهة الانقاذ الوطني بعد عدة أشهر من الثورة؟

- اقول شيئاً واحداً: ستكون سعداء لو عرفنا اننا ادينا واجبتنا، واننا اعددنا وقررنا قانون الانتخابات الذي سيتيح للشعب امكانية الانتخاب بنفسه وأنّ أحداً لن يستطيع ايقاف سير البلاد نحو التقدم والحرية والديمقراطية. واذا انتخب الشعب من هم أكثر جدارة بغض النظر عن انتمائهم الحزبي، فستكون سعداء أيضاً. لا أحد منا يتمسك بهذه المناصب. وسوف نبني مع الجميع، في مناصب أخرى، حياة جديدة.

خلف كواليس المسرح السياسي

يمكن القول ان احدي الخصائص المميزة لرومانيا اليوم هي ظهور ما يسمى بالمسرح السياسي فيها. وقد وضع «اساسه» قانون تسجيل ونشاط الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية الذي اقره مجلس جبهة الانقاذ الوطني عشية عام ١٩٩٠. وعلى الرغم من ان «انشاء» لم يستكمل بعد، فان الذين يساهمون في «بنائه» يستخدمون «المشروع» لاغراض مباشرة. وعلى أية حال كان النقاش محتملاً في مقر الحزب الوطني

الليبرالي في اللحظة التي دخلت فيها إليه ، حول خطة المشاركة في الانتخابات القادمة .

«يجب أن نعلم الشباب الديمقراطية»

لقد مر الحزب الوطني الليبرالي الذي ظهر عام ١٨٧٥ بالعديد من المراحل الدراماتيكية . وعلى الرغم من ان الحزب كان احدى القوى السياسية الرئيسية التي حققت الاستقلال لرومانيا وشاركت بنشاط في توطيد وتعزيز نظام دولتها ، إلا ان الملك كارل الثاني قام بحله عام ١٩٣٨ .

وجرت ملاحقة اعضاء الحزب الوطني الليبرالي خلال فترة حكم انطونيسكو الفاشي . ثم انخرطوا عام ١٩٤٤ بعد انتفاضة آب في حياة البلاد السياسية من جديد . لكن جرى حظر الحزب ، مرة أخرى في عام ١٩٤٨ .

واليوم بعد ٤٢ عاماً من الغياب الفعلي يعمل الحزب الوطني الليبرالي من جديد وفق الاسس القانونية .

ويقول ايغي ساندوليسكو سكرتير اللجنة التنظيمية الخاصة باستعادة نشاط الحزب الوطني الليبرالي :

- اعتقد ان الحزب سيلعب قريباً أحد أهم الادوار في تحديد النهج الاجتماعي والاقتصادي للبلاد . ولو تحدثنا باختصار فاننا سوف نسعى إلى تشجيع المشروع الخاص وتنشيطه والدفاع عن مبدأ إلغاء التأميم في الاقتصاد . وعقيدتنا هي سياسة منح القروض التشجيعية وضمان جميع الحقوق الدستورية والحريات للمواطنين والفصل بين سلطات الدولة : التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وتعزيز الاستقلال الوطني مع الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع البلدان التي ترغب في ذلك .

وتدرك القيادة الراهنة للحزب الوطني الليبرالي ان الانتخابات القادمة ستكون بالنسبة لها امتحاناً هاماً ، لانه ليس لديها الآن أية خبرة سياسية تذكر .

ويمكن قول الشيء ذاته عن الاحزاب الأخرى . اذ تشير تقديرات الخبراء انه لن يكون بمقدور أي منها كسب اغلبيه الاصوات الحاسمة التي تمكنها من تشكيل الحكومة . لذلك فان الحزب الوطني الليبرالي ، كما اعلموني في مقر قيادته ، سيتحالف على الاغلب مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الفلاحين ، وقد تم الاتفاق على ذلك . ويعتقد ان فرصة النجاح متوفرة أمام هذا الحلف .

والأمر الذي يقلق ساندوليسكو الذي ترأس حتى عام ١٩٤٨ منظمة الشباب التابعة للحزب الوطني الليبرالي ، هو ان اجيالاً باكملها قد ولدت وترعرعت ودخلت معترك الحياة

الواعية دون ان تعرف ما هي الديمقراطية.

- سيتوجب علينا تعليم الشباب العمل في ظروف الحرية الجديدة تماماً بالنسبة لهم. هكذا يحدد محدتي المهمة الرئيسية للمخضرمين في الحزب.

ويعتقد ان ثمة أولويتين في تطور الحياة الاجتماعية اليوم. أولاً - تطهير الهياكل القيادية الحالية من الذين بنوا حياتهم على أساس المساومات. ثانياً - من الضروري النهوض بالاقتصاد الروماني لكي يقف على رجله. واذا ما تم تأجيل وتأخير انجاز هذه المهمات فستكون الرفاهية والديمقراطية والحرية في خطر كبير.

وثمة طرف آخر في الاوضاع الراهة يقلق قادة الحزب الوطني الليبرالي بشكل كبير هو امتلاك جبهة الانقاذ الوطني الآن كامل السلطة في البلاد. ونظراً لأن هذه الجبهة هي في وضع مميز فسوف تجد نفسها حتماً خارج المنافسة لوقر ان المساهمة في الانتخابات أمر ممكن.

- نحن نعتبر جبهة الانقاذ الوطني كاتحاد للقوى الديمقراطية والوطنية في البلاد التي منحها الناس صلاحيات كاملة من أجل تهيئة ظروف ملائمة كي يقرر الشعب بنفسه مصيره، هكذا يوضح ساندوليسكو موقفه. ويجب على جبهة الانقاذ الوطني كأعلى هيئة للسلطة ان تحل نفسها بعد اعلان النتائج الأولية للانتخابات. واذا كان اعضاء الجبهة يريدون الدخول إلى البرلمان وإلى الحكومة فيجب عليهم تقديم استقالتهم من المناصب التي شغلوها بصورة عفوية وعلى موجة الثورة الشعبية والانساب إلى الاحزاب التي تلاثم معتقداتهم أو تشكيل احزاب جديدة. وسيكون بمقدور بعضهم، في ظل التعددية السياسية تشكيل حزب شيوعي جديد تحت أي اسم كان وهو ما سيقومون به في نهاية المطاف بطيبة خاطر كما يتضح من تصريحاتهم.

عرش الملك

بدا لي ان ثمة آراء مغايرة بعض الشيء لدى من يسمون انفسهم باعضاء الحزب الليبرالي. في الواقع، لم تكن هذه المنظمة مسجلة بغد في تلك الفترة في المحكمة كما تقضي بذلك القوانين الجديدة في رومانيا. والخمسة عشر شخصاً الذين التقيت بهم في أحد فنادق بوخارست كانوا يمثلون مجموعة المبادرة لتشكيل حزب جديد وتنظيم أول مؤتمر له. وقد وافق احدهم - ميخاي كوتسانتينسكو - البالغ من العمر ٢٨ عاماً وهو نائب رئيس المجموعة على الاجابة عن اسئلتي.

- كم يبلغ عدد انصاركم؟

- نعتقد ان مئات الالوف من الناس تؤيد برنامجنا .
- ما هي اسس هذه التقديرات؟
- يأتي الينا الناس من جميع ارجاء البلاد ويعلنون عن تضامنهم وتأييدهم لاهدافنا .
- هل انتم واثقون من الفوز في الانتخابات؟
- نعم . ونعتقد ان حوالي ٨٠ في المئة من الناخبين سيصوتون لنا .
- هل تأملون انتم بالذات في الحصول على منصب ما في الحكومة القادمة وشغل مركز مفصلي في الهرمية الحزبية؟
- مؤتمر الحزب هو الذي سيقدر مصيري .
- ما هي الشهادة التي تحملونها؟
- لم تسمح لي اجهزة الامن بالدراسة في الجامعة .
- وهل تتوون الدراسة الآن؟
- هذه ليست المهمة الاولى بالنسبة لي الآن .
- ما الذي يشغلكم الآن أكثر م أي شيء آخر؟
- مستقبل النظام السياسي في البلاد . يجب ان يقوم على أساس ملكي ودستوري على الطريقة البريطانية . - جود مجلسين للبرلمان وحكومة تشكلها الاغلبية البرلمانية .
- ومن سيكون
- الملك ميخاي الذي يعيش في المهجر . فهو سيوحد الامة ويصبح رمزها .
- في هذه الحالة ما الذي يقصده مؤسسو الحزب بكلمة «ليبرالي»؟
- نعتقد ان المجتمع الذي نناضل من أجل تكوينه يجب ان يتميز بالديمقراطية وبالمستوى العالي من التطور العلمي التقني . وهو بالنسبة لنا مجتمع غير مسيس تنقل الملكية فيه إلى القطاع الخاص باقصى الحدود .
- ان اساس الليبرالية هو حرية الفكر . هل توافقون على ان يتمتع الآخرون بهذا الحق الاساسي الذي تطالبون به لانفسكم؟ ويشكل خاص اولئك الذين يعتقدون الآراء الماركسية فيما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع؟
- لم تكن في رومانيا في أي وقت من الاوقات ظروف للماركسية . والتعاليم التي يدور الحديث حولها غريبة عن شعبنا وقد ادخلت إلى بلادنا من الخارج وفرضت بالقوة .
- كيف يتفق مع تصوركم حول الديمقراطية الرأي القائل بان الحزب الشيوعي يجب ان يبقى «خارج اللعبة»؟
- هكذا أراد الشعب . نحن طبعاً راديكاليون ولكننا لسنا متطرفين . ولكن ما العمل اذا كانت الايديولوجيا الشيوعية قد اقترنت في وعي الناس بنظام شاوشيسكو .

- ولكن على الاغلب كان هناك بعض الناس في الحزب الشيوعي غير موافقين على سياسة الدكتاتور.
- نحن لا نكثر بمصيرهم ، بل نهتم بقضايانا الخاصة .

ما زال السؤال مطروحا

لا يجوز اعتبار جواب ميخاي كونستانتيسكو عن السؤال الاخير لبقاً . لكنني سمعت من كثيرين غيره تعابير أكثر حدة بحق الحزب الشيوعي . لكن هناك عدداً غير قليل من الذين لا يوافقون على الرأي القائل بان الحزب قد فقد المستقبل بشكل ابدى . وعلى الرغم من ان احداً من هؤلاء لم يرغب في المشاركة في مناقشة مثل هذه الموضوعات على صفحات المجلة إلا انهم عبروا عن بعض الآراء التي لها علاقة مباشرة بالقضايا التي تهمني .

ان الحزب الشيوعي الروماني الذي تحول في عهد دكتاتورية شاوشيسكو إلى مجرد تمثال من الشمع يعرض في المتاحف كـف عن الوجود بوصفه حزباً شيوعياً في تلك اللحظة التي اقتحم فيها آلاف من سكان بوخارست في ٢٢ كانون الاول ١٩٨٩ مبنى اللجنة المركزية كي يقضوا نهائياً على السلطة التي وعدتهم بجبال من الذهب في المستقبل ولكنها لم تترك لهم على امتداد ربع قرن أي أمل في حياة لائقة إلى هذه الدرجة أو تلك في الحاضر . ذلك هو الاستنتاج الذي يخطر على البال من جميع التصريحات التي أدلى بها قادة الجبهة الانقاذ الوطني حتى الوقت الحاضر .

غير ان الكثيرين من الذين اقتحموا مقر الحزب أو دافعوا عن مبنى التلفزيون الذي أعلن نفسه حراً والذي انقضت عليه وحدات اجهزة الامن كانت لهم علاقة مباشرة بالحزب الشيوعي الروماني . وفي الحقيقة نقول انهم لم يماثلوا انفسهم وقتلوا بالحزب ولم يكن بإمكانهم ان يتأملوا في العواقب المحتملة بالنسبة لهم والتي قد تسفر عنها الثورة التي اندلعت بسرعة مفاجئة والمرجوة إلى اقصى الحدود .

ولكن في اليوم التالي لسقوط الدكتاتور برزت أمام الثلاثة ملايين و ٨٠٠ الف انسان الذين كانوا يحملون بطاقة عضوية الحزب الشيوعي الروماني اسئلة حادة بهذه الدرجة أو تلك تتعلق بإمكانهم ودورهم في ماضي ومستقبل البلاد والمجتمع . وإذا ما استخلصنا استنتاجات مما تسنى لي سماعه في بوخارست ، فيمكن الافتراض ان حل مثل هذه القضايا صعب جداً بالنسبة لمن لم يطابق في أي وقت من الاوقات بين المبادئ والمثل الشيوعية الحقيقية وبين الاهداف واساليب تحقيقها مما أعلنه وطبقه الدكتاتور ، ولمن كان في

المعارضة الداخلية لنظامه.

لقد بدا ان انهيار الدكتاتورية يجب ان يفتح الافاق لانبعث الحزب على الاسس الماركسية بالذات وبناء مجتمع اشتراكي حقيقي في البلاد.

ولكن اولئك الذين وافقوا على مناقشة هذا الموضوع معي يعتقدون ان التربة الواقعية منعقدة اليوم بالنسبة للاولى والثانية على حد سواء. وأشاروا إلى انه من الجنون السياسي والاستفزاز الصريح التحدث الآن عن شيء من هذا القبيل. لذلك يمكن فقط التكهن بمدى عمق المأساة بالنسبة لانصار المبادئ والافكار الاشتراكية المخلصين الذين يدركون بوضوح استحالة تحقيقها في الوقت الراهن.

طبعاً لن يقف هؤلاء مكتوفي الايدي. فالعديد من الذين عارضوا شاوشيسكو علناً معروفون بشكل جيد على انهم شرفاء ومبدئيون. وثقة المجتمع بهم كبيرة لدرجة انها كافية لمساهماتهم ومشاركتهم في تكوين مؤسسات دولة جديدة وبنى سياسية تضمن لرومانيا تطوراً ديمقراطياً حقيقياً.

وعلى الرغم من ذلك كله مازالت قائمة مسألة امكانية بروز حزب في البلاد قادر (في المستقبل) على تطوير النظرية الماركسية اللينينية بشكل خلاق والعمل على تحقيقها في الحياة.

ويمكن القول انه لم تعد هناك عراقيل شكلية لتحقيق ذلك بعد الغاء المرسوم الذي فرض الحظر على نشاط الحزب الشيوعي. ولا يرى الزعماء السياسيون ذوو التفكير الواسع للاحزاب التي يعاد تشكيلها والاحزاب الجديدة في مثل هذا الخصم خطراً جدياً ولن يصروا كما يبدو على اقرار قانون يحد من حقوق مثل هذه المنظمة. سوف يمر الزمن ويتضح للجماهير الواسعة ان مأساة رومانيا لم تكن في الافكار الشيوعية بحد ذاتها. وعلى أية حال، فان جميع الذين تكلمت معهم في هذا الموضوع يدركون جيداً ان مثل هذا السؤال لا يمكن النظر فيه إلا بوصفه سؤالاً بلاغياً في ذلك البلد الذي ساد فيه مدة طويلة وتحت يافطات مختلفة الحكم الملكي المطلق، والذي يقل فيه الدخل الوطني بثلاث أو اربع مرات عنه في البلدان الرأسمالية الشبيهة به من حيث المساحة والموارد. ويرى الكثيرون من هؤلاء الناس ان هذا السؤال سيكشف عن كونه سؤالاً بلاغياً اذا ما تخلصت الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى التي سارت منذ وقت غير بعيد بـ «ثبات» على طريق البناء الاشتراكي، من الازمة التي تعانيها حالياً، وأثبتت ان برامجها واقعية وقابلة للتحقيق.

أدب وفن



تحية، أبا فرات، إلعوامك والشعر

ما أجدزنا، ونحن نشهد اقتراب شاعرنا الكبير الجواهري من عامه التسعين، ان نجعل هذه المناسبة حدثاً للاحتفاء بالشعر الذي جسده الجواهري مختصراً عصوراً باكملها وتاريخاً لا يستدعي الذاكرة بل يحرضها لتستحيل حاضراً.

ما أجدزنا أن نعلن: ان زمناً يتفي الجواهري ستحل عليه اللعنة إلى الأبد.

ما أجدزنا أن نربط يقيننا بيقين الجواهري، ونعلي حقيقة الشعر!

من ينفي المتنبّي ثانية؟ ومن يُعيد مأساة شعرائنا العظام؟

هل قدّر الشعر أن يبصر المأساة وهي تتكرر مهزلة في التاريخ؟

هل قدّرنا أن نصدق التاريخ ولا نصدق ما نراه باعيننا؟

ولكن ما نراه أوسع من رؤية العين، وأصدق مما يتوهمه العقل، فعن أي مهرجانات

وباطل يتحدث المحتفون، ومن ينبغي ان يُحتفى به غائب وهو الأشد حضوراً وسيّد كل مهرجان؟

إن الجواهري هو الآن الصبّ بوطنه وشعبه من أي وقت مضى.

وإذا كان ثمة أفراح شحيحة لنا في المنفى فهو فرحنا بحضور الجواهري بيننا شاهداً

للمأساة يشاركنا مصائبنا، ويقاسمنا همومنا، ويتطلع معنا إلى ما حلمنا به جميعاً: عراق اشعاره الجميل.

تحية، أبا فرات، لحلمك الجميل واشعارك الخالدة، ولتكن أيامنا القادمة مهرجاناً

حقيقياً للاحتفاء بأيامك وأيام الشعر، وليجعل ادباؤنا وشعراؤنا هذه المناسبة، باسهاماتهم

في مجلّتنا، انتصاراً للحقيقة والشعر.

أدب وفن



الاسلام وعلم الجمال والفن

فصل لمبي

والأرض وضعها للأنام. فيها فكهة والنخل
ذات الأكمام والحب ذو المصنف والريحان. *

تضم الفن الاسلامي وحدة شاملة، على الرغم من سعة المناطق التي انتشر فيها، والتنوع القومي والجغرافي والفقهي الذي نما وترعرع فيه من حدود الصين حتى بلاد الاندلس.

أكدت هذه الحقيقة الآثارُ الشاخصة حتى يومنا هذا، والممتدة هي الأخرى من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر منه: عمارة، مخطوطات، رسوم، نحت، زخرفة، خط عربي، نقش، أثاث، ملابس، وشم، تنسيق الزهور، منسوجات أرضية، وجدارية، قبور، طريقة تجميل الوجوه، الخ... وهذا التشابه يحير المختص والمشاهد العادي معاً. ونادراً ما نستطيع التمييز بين الانتاج الروحي لبلاد ما وراء النهر وانتاج بلاد الشام، أو إبداع بغداد وإبداع القاهرة. فهناك روح متكاملة وجمال واحد مهيمن على سائر الأشياء.

* سورة الرحمن، الآية: ١٠، ١١، ١٢. وفي نفس السورة نجد هذه الآية: «متكئين على رفرف خضر وعبري حسان» وهي الآية: ٧٦. ولم أجد في القرآن كلمة «عبري» إلا هنا.

فهل هناك تصور جمالي أو فلسفة جمالية أو علم جمال عند المسلمين وأين نجده؟ في الحقيقة لا يمكن الادعاء، على الأقل من جانبي، باني سوف أبرهن على ذلك، لكنني في الوقت نفسه، سادعي بأنني أحاول هنا تتبع الخطى والآثار الموصلة إلى هذا الموضوع. «وليس للانسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى».

سنبدأ بكتاب المسلمين: «القرآن» أولاً ونحاول تتبع الآيات التي تفيدنا بهذا الخصوص، ثم نتفحص الاحاديث النبوية وآراء بعض الصحابة وفقهاء المسلمين الذين نجد عندهم ما يسعفنا، ثم نتقل أخيراً إلى شيوخ الصوفية والكتاب المتورين من المسلمين.

١ - موقف القرآن

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تدفع الانسان إلى التمعن في خلق السماوات والأرض*، والنظر إلى عجائب الكون وجماله ودقة صنعه وفائدته، ولا يمكننا، بطبيعة الحال، تسجيل هذه الآيات كلها، ولكن لابد من إيراد بعضها للبرهنة، ليس غير. وقبل الخوض في هذه المسألة، علينا أيضاً ان نحل مشكلة من أعقد المشاكل التي تواجه الناقد الفني، أو عالم الجمال وربما حتى المؤرخ الفني، ألا وهي علاقة الدين الاسلامي بالفن وتحريمه.

لقد كان الدين اليهودي ضد صنع التماثيل والرسم وكل ما يشابه ما في الأرض والسماء:- «الصورة المنحوتة أو أي شيء مشابه لما في السماء من فوق، أو في الأرض من تحت أو في الماء من تحت الأرض.»^١ وظل الدين المسيحي ضد استخدام الفن في بيوت العبادة حتى القرن الثالث الميلادي، إذ بدأت الاستفادة منه لغرض نشر الدين وشرح ما يصعب شرحه بالكلام. ولم يسلم الدين الاسلامي من هذه التقاليد، رغم ان القرآن لم يحرم الفن أو صناعته، ولم يعتبره شيئاً غير مرغوب فيه. وسيأتي الكلام عن هذا في وقته.

فالقرآن، ابتداءً، يحدد العالم الموضوعي، وهذا ما نراه في العديد من سوره، وقصة آدم خير مثال على ذلك: «وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء.»^٢ و(خلق الانسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار)^٣ أي ان الطين (الصلصال) كان قبل الانسان ومنه جاء الانسان.

وظهر إهتمام القرآن بالطبيعة وجمالها، وجعل الانسان مندفعاً إليها والتمتع بها «قل

* مثلاً الآية (٣٣) في سورة الرحمن.. «يامعشر الجب والاس إن إستطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذوا إلا بسلطان».

من حَرَمَ زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. ^(١)». ويزيد القرآن في حث الإنسان على التجميل والتزين :- «يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المرففين. ^(٢)».

ثم يحدد القرآن الجمال بالاخلاق كذلك :- «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» ^(٣) أو «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. ^(٤)» ولكن كيف يمكننا الاحساس بالجمال وروعة الخلق؟ يقول القرآن :- «... وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. ^(٥)».

بإيجاز نستطيع ان نحلل هذه الآيات على الشكل التالي :

هناك عالم خارج وعينا، وهو عالم جميل (الجمال في الطبيعة). وهذا العالم ينعكس علينا من خلال السمع والابصار والافئدة (الحواس) وتطورها وتحولها إلى اجهزة طورت الانسان بعد ان تطورت هي بالذات، ثم تحويل هذه الانعكاسات إلى أفعال وبالتالي إلى معرفة وخبرة، واكتساب تجارب جديدة. وهذا اذا ما حاولنا تطبيقه على تطور فلسفة الجمال أو علم الجمال (الجماليات) (ESTETIQUES) نجد ان الاسلام قد اختزل هذا التطور الذي وصلنا اليه، منذ قرون خلت، فالمثاليون الذاتيون والموضوعيون الذين تكلموا عن الجمال حصروه في ذات الانسان وفي الطبيعة، كل على حدة.

ولما جاء ديدرو وروسو وفولتير كان الرأي السائد ان الجمال في الطبيعة وهو في الاساس موضوعي ولا دخل للانسان فيه. ثم تطورت منذ ذلك الحين النظريات الجمالية في الغرب على يد كانت، غوته، هيغل، فيورباخ، شوبنهاور، نيتشه، ماركس، بليخانوف، لينين، لوكاش. اصبح الجمال متوزعا على الطبيعة + الانسان + العمل الفني. وهناك علاقة متينة ما بين الاطراف الثلاثة.

حتى الآن تكلم القرآن عن الجمال في الطبيعة والجمال عند الانسان. لكن كيف نطرق القرآن إلى الجمال في العمل الفني؟

سؤال هام. علينا الاجابة عليه، وها نحن نحاول.

توجد في القرآن ثلاثة مواقع تتحدث عن النحت (التمثيل). واحد من هذه المواقع كان ضد النحت لأنه وضع لغرض العبادة: «ولقد اتينا إبراهيم رسده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم عليها عاكفون. قالوا وجدنا أباءنا لها عابدین. قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين» ^(١) اذن الاستياء قد جاء بسبب العبادة. وهذا ما كان أيضاً عبد فتح مكة حيث دمرت الأعمال النحتية باعتبارها تمثل آلهة وليس لكونها أعمالاً فنية. أما الآية الثانية فقد وردت التماثيل فيها كشيء مبارك ونعمة من نعم الله

على عبده الانسان :- «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر (النحاس) ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يفرغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور»^(١).

هنا تأتي صناعة التماثيل كنعمة من نعمة على عباده الصالحين، أي إنها موهبة لا يستطيع كل انسان التمتع بها. وللتأكيد على هذا نورد المثال الثالث عن التماثيل :- «اني يقصد هنا عيسى بن مريم) قد جئتكم بأية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .»^(٢) وفي هذه الآية يتحول صنع التماثيل إلى آية من آيات الله يهبها لمن يشاء من عباده. ولما كانت السورة الثانية والسورة الثالثة تجيزان صنع التماثيل مادامت ليست للعبادة، فلماذا حرم الاسلام الفن (الفنون التشكيلية وخصوصاً تصوير البشر)؟ علينا إعادة ترتيب وطرح السؤال على النحو التالي: لماذا لم يذكر القرآن ولو آية واحدة ضد الفن وهو الذي تطرق إلى قضايا أقل خطورة واخف جرماً من الناحية الدينية، كالخمرة والميسر ولحم الخنزير وما إلى ذلك؟

الجواب، علي ما أعتقد ان التحريم قد جاء بعد وفاة النبي، وخلق القرآن منه يؤكد هذه الحقيقة رغم ما نقل عن النبي محمد من احاديث ليست في كل الاحوال لصالح الفن، والرسم والنحت بشكل خاص. ويبنى الفقهاء قضية التحريم على أساس الآية التالية :- «هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى . . .»^(٣) وترد كلمة المصور في أشكال مختلفة للفعل «صَوَّرَ» في القرآن مثال: «خلق السموات والأرض بالحق وصَوَّرَكم فأحسن صُورَكم واليه المصير.»^(٤) واجمالاً للموقف من الفن والفنانين نجد في موقف القرآن من الشعراء الموقف الصحيح للاسلام تجاه الفن والفنانين :- «والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(٥). فالشعر اذن مسموح به بشرط أن يكون صادقاً وحقيقياً ويقف ضد الظلم ومع الأعمال الصالحة. وموقف النبي من حسن بن ثابت وغيره يكرره لينين مع غوركي في عصرنا الحاضر. لقد كان الاسلام مع العلم النافع، فلم يك مفكره من هواة التأمل الفلسفي المحض وبعيداً عن سير الحياة وحركتها الدائبة بل ان النبي محمد يؤكد على ان :- «لا خير في علم لا ينفع» وهم يربطون المعرفة بالتجربة الحسية ويؤكدون عليها.

٢ - موقف النبي محمد: يتحدث الرواة، وما أكثرهم، نقلاً عن النبي بأنه قد حرم الرسم والنحت (التصوير والتجسيم) لأنه اعتبر ذلك محاولة لتقليد الخالق (نظرية المثل

لأفلاطون). أو التشبه به، فإله هو «المصور» ولا مصور سواه. لكنهم يقعون في تناقض غريب عندما يبيحون رسم النبات والطيور وما إليها، بحجة عدم وجود الروح فيها، وهم ينسون أن الشجر والصخر والطبيعة عموماً هي من خلق الله كذلك. ومن يرسمها يقع عليه ما يقع على رسّام الأشخاص. والحال أن العديد من الاخاديت هي أحاديث مزوّرة ليس فيما يخص الفن فقط، بل في أمور أخرى كذلك. ومما له دلالة ما رواه أنس بن مالك، خادم النبي والعارف بشؤون بيته، حيث قال: - «كان قرام (ستر) لعائشة، قد سترت به جانباً من بيتها، فقال رسول الله (ص) أميطي عنا قرامك هذا. فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»^(١١٠). والنبي هنا لم يقل لها لا تستعمليه وإنما أبعديه عن مكان الصلاة وهذه الرواية لها علاقة برواية لعائشة نفسها: «قدم رسول الله (ص) من سفر، وقد اشترت نمطاً (ثوباً من صوف - أو بساطاً) فيه صورة، فسترته على سهوة بيتي (السهوة: الرف، أو الطاق، أو الكوة...) فلما دخل (ص)، كره ما صنعت، وقال: أسترين الجدر بإعائشة؟! فطرحته، فقطعت مرفقتين (وسادتين) فقد رأيته متكئاً على أحدهما وفيها صورة!»^(١١١). وعن علي بن ابي طالب يروى هذا الحديث: - «قال رسول الله: أن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها...»^(١١٢) ويروى عن ابن عباس: - «أن رجلاً (رساماً) من العراق جاء إلى عبد الله بن عباس فقال له: - «يا ابن عباس، اني رجل أصور هذه الصور ، وأصنع هذه الصور، فإفنتي فيها؟» فقال للرجل: - «... فإن كنت لا بد فاعلا فاجعل الشجر وما لا نفس فيه.»^(١١٣). وحادثة دخول النبي جوف الكعبة تشير إلى الموقف النبوي من الرسم، ويروي ابن عباس أن النبي «لما رأى الصور في البيت (يعني الكعبة) لم يدخل، وأمر بها فمحيّت. ورأى [صور] إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام بأيديهما الأزلام. فقال: قاتلهم الله، والله ما استقسما بالأزلام قط!»^(١١٤). وعن عمر بن الخطاب، أنه لا يدخل كنيسة فيها تماثيل أوصور، وهو أميل هنا إلى الكنائس الشرقية التي لا تحبذ الرسوم أو التماثيل. ولم تسجل حادثة في تاريخ خلفاء النبي «الأربعة» تقول بانهم حطمو تماثلاً في كنيسة أو صورة في جدارها. لأن معظم هذه الصور (وهي من الفن البيزنطي - القرن السابع الميلادي -) كانت تؤيد ما جاء به القرآن من قصص الانبياء ومعجزاتهم. وربما زار النبي الكنائس المهمة في «رافينا» في ايطاليا وكنائس الشام والاسكندرية واليونان في سفراته العديدة إلى الشمال (رحلة الصيف). فالقرآن يصف العرش السماوي وكأنه فسيفساء بيزنطية، من موازيك مدينة بزانصر، عاصمة الامبراطورية الرومانية المقدسة (الشرقية) وقد سميت هذه العاصمة بالقسطنطينية نسبة إلى الامبراطور قسطنطين وتسمى الآن اسطنبول المحرف من اسم «إسلام بول»، والتي تم فتحها من قبل (العثمانيين). ومن السنة النبوية أيضاً نروي

هذه الحادثة :- «كنت العب بالبنات (الدمى) عند النبي»^(١٢٠) تقول عائشة . وتضيف أيضاً :- «دخل عليّ رسول الله (ص) يوماً وأنا ألعب بالبنات فقال :- ما هذا يا عائشة؟ فقلت :- خيل سليمان فضحك»^(١٢١).

هنا نجد أنفسنا أمام دمي على هيئة خيل، فهل كانت عائشة تلعب بالكُرْج؟ (قصة في نهايتها رأس حصان أو حيوان ما حسب طبيعة الحكاية). وقد تحدث الدكتور محمد حسين الأعرجي في كتابه: (فن التمثيل عند العرب) عن ذلك (ص ٢١) قائلاً :- «كان المخشون على عهد رسول الله (ص) أربعة: هيت، وهرم، وماتع، وإته. ولم يكونوا يزنون بالفاحشة الكبرى... وربما لعب بعضهم بالكُرْج».

وهناك رواية عن ابن عباس كذلك تقول انه كان يملك كانوا (موقداً) معدنياً فيه تماثيل أربعة. كان يستعمله لحاجاته. والواقع ان موضوعه التحريم تحييطها تناقضات واحاديث متضاربة، أقل ما يقال فيها، انها تعكس صورة سلبية وجامدة وقاسية عن النبي محمد. وهذا عكس الواقع والتاريخ الشخصي للنبي، فقد اتسم حقاً بالحزم في الأمور الأساسية لدينه، لكنه كان في منتهى السماحة والرفقة في تعامله وعلاقاته الخاصة والعامة.

٣- موقف الفقهاء وعلماء الاسلام وشيوخ الصوفية

يروى عن الامام علي ابن ابي طالب أنه قال :- «صفاء الكتابة من صفاء القلوب»^(١٢٢). وله في «نهج البلاغة» صور أدبية رائعة التعبير عن بدائع الخلق والطبيعة، ومنها يمكن استنباط قيم جمالية غير بعيدة عن تلك التي وردت في القرآن. ويتحدث ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ - ١١١١ م) عن الجمال، في كتاباته العديدة ومما يقوله :- «كل شيء فجعله وحسنه في ان يحضر كماله اللائق به الممكن له. فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال»^(١٢٣). ثم يضيف «فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء»^(١٢٤) ويزيد هذا العالم: «ان الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة... وكل جمال فهو محبوب عند مُدْرِك الجمال. فان كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب»^(١٢٥) ويربط الغزالي الجمال باللذة :- «كل ما ادركه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك»^(١٢٦).

أما جلال الدين الرومي (المتوفى عام ١٢٧٣ م) فيقول في ديوانه الشهير «المثنوي» الذي ترجمه د. محمد عبد السلام كفاقي إلى العربية عام ١٩٦١، ج ١، ص ٥٤٢ -

٥٤٣ :- «كل ما كان جميلاً رائق الحُسين فقد صُنِعَ من أجلِ الاحساس السليم الذي يدركه ويتذوقه.»^(٣٧)

ويسأل هذا الشيخ قائلاً :- «هل يرسم أي رسام صورةً جميلةً حباً في الصورة نفسها دون ان يأمل في المنفعة من ورائها؟» ثم يقول «ان الصورة الظاهرة إنما عُيِّلَتْ لكي تُدرك الصورة الباطنة، والصورة الأخيرة تشكلت من أجل ادراك صورة باطنية أخرى على قدر بصيرتك. فالصورة الأولى انما تعمل من أجل الوصول إلى الثانية مثل ارتقاء درجات السلم»^(٣٨).

أما ابن عربي محيي الدين (المتوفى عام ١٢٤٠ م) فيقول: «يجمع في نفسه (أي الإنسان) صورة الله وصورة العالم. وهو وحده الذي تتجلى فيه الذات الإلهية، بكل الصفات والاسماء. وهو المرأة التي تنكشف له فيها ذاته. ونحن أنفسنا الصفات التي نصف بها الله، ووجودنا ما هو إلا تحقيق وجوده»^(٣٩).

أما المفسر، النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ هـ - ٩٥٠ م) فيقول :- «ان بعض المفسرين والفقهاء يجيزون الصور»^(٤٠) واستدلوا بسورة سبأ وآيات سليمان مع الجن وكذلك بسورة آل عمران وصنع عيسى طيراً من الطين لقومه. ويتحدث مكي بن حموش الأندلسي (ت ٤٣٧ هـ - ١٠٤٥ م) في كتابه (الهداية إلى بلوغ النهاية) بان هناك «فرقة تجيز التصوير» مستندة على الآيات نفسها التي ذكرناها سابقاً. والقرطبي (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٣ م) يقدم إجتهد المالكية في اجازة التصوير عندما تقتضيها ضرورات اجتماعية وأخلاقية، وأستند على احاديث عائشة «وبناها».

وهذا أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي المالكي المذهب (ت ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) يقول في كتابه (شرح المحصول) :- «بلغني ان الملك الكامل وضع له شمعدان - وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يوضع عليها الشمع للانارة - كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فاذا انقضت عشر ساعات - أي حان وقت الفجر - طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وإصبعه في أذنه، وقال: صبح الله السلطان بالسعادة. فيعلم ان الفجر قد طلع»^(٤١). ثم يدعي هذا الامام بانه قد صنع واحداً أفضل منه لكنه لم يستطع ان يجعل الشخص يتكلم.

ويقدم الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) في بداية هذا القرن شرحاً جريئاً لقضية التحريم، في مقالاته التي كان يكتبها في مجلة (المنار) لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: «... ولا يمكنك ان تجيب المفتي بان الصورة، على كل حال، مظنة العبادة، فاني أظن انه يقول لك: أن لسانك، أيضاً، مظنة الكذب، فهل يجب ربطه؟ مع انه يجوز ان يصدق، كما ان يكذب؟ وبالعجالة، فانه يغلب على ظني ان

الشريعة الاسلامية أبعد من ان تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية، وتمثيل الصور الذهنية . . . (٣١).

أرجو ان أكون قد قدمت صورة سريعة وعامة عن التصور الجمالي والموقف من الفن في الاسلام، بما يخدم الحقائق الموضوعية والحضارية، وساهمت كغيري في توضيح بعض النقاط الخلافية التي لا يزال الجدل يدور حولها . . وربما يساعدنا الحظ، في المرة القادمة، كي نتحدث عن الرسم الاسلامي وجمالياته.

الهوامش

- (١) الاصحاح العشرون، سفر الخروج - التوراة.
- (٢) سورة هود، الآية: ٧ - القرآن.
- (٣) سورة الرحمن، الآية: ١٣، ١٤ - القرآن.
- (٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٢ - القرآن.
- (٥) المصدر السابق نفسه، الآية: ٣١ - القرآن.
- (٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤ - القرآن.
- (٧) المصدر نفسه، الآية: ٢٦.
- (٨) سورة السجدة، الآية: ٩ - القرآن.
- (٩) سورة الانبياء، الآية: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤ - القرآن.
- (١٠) سورة سبأ، الآية: ١٢، ١٣.
- (١١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
- (١٢) سورة الحشر، الآية: ٢٤.
- (١٣) سورة التغاين، الآية: ٣.
- (١٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.
- (١٥) رواه: أحمد بن حنبل، انظر: د. م عماره: الاسلام وقضايا العصر، ص ٥١ - ٥٢، دار الوحدة - بيروت.
- (١٦) المصدر السابق نفسه.
- (١٧) المصدر نفسه.
- (١٨) المصدر نفسه.
- (١٩) نفس المصدر. نجد ان النبي قد أمر بمسح صورة إبراهيم لكونها تزيف حقيقة الرجلين فهما ضد الألام (القال) ولهذا فالصورة تشويه له ولا بد من ازالتها.
- (٢٠) طبقات ابن سعد، ج: ٨ ص ٤٨، ط، دار التحرير - القاهرة.

- (٢١) المصدر نفسه، ص ٤٢. ومثله روي عن أحمد بن حنبل والمخاري ومسلم وأبو داود والفسائي وأبو ماجه وغيرهم. ومن الحدير بالذكر ان المذهب المالكي يبيع صنع التماثيل لغرض التربية والتعليم فعنده ان الدمى تساعد الاطفال على تعلم قواعد الحيلة الاجتماعية الضرورية.
- (٢٢) رواه القاضي أحمد بن مير منشي في كتابه: «الحطاطون والرسامون» وهو من كتّاب القرن السابع عشر الميلادي.
- (٢٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية، ط ٢، ج ٢، ص ١٠٤١، مادة الغزالي انظر أيضاً كيمياء السعادة. وهو جزء هام من كتابه البارز إحياء علوم الدين
- (٢٤) المصدر السابق نفسه
- (٢٥) احياء علوم الدين: ج ٤، ص (٣٠٣ - ٣٠٤).
- (٢٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص (٢٩٦).
- (٢٧) نفس المصدر، ج ٤، الأبيات ٢٨٨١ - ٢٨٩٢.
- (٢٨) دائرة المعارف الاسلامية، انظر مقالة ر. أ. نيكلسون عن الاسان الكامل ولوي ماسينيون: الطوائف، للحلاج، باريس ١٩١٣، ص ١٢٩.
- (٢٩) د. م. عمارة، الاسلام وقضايا العصر، مصدر سابق، ص ٥٣.
- (٣٠) مقدمة تحقيق كتاب الفرافي (الإحكام) ص ١٥، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح ابو غره، طبعة حلب سنة ١٩٦٧. انظر كذلك: الاسلام وقضايا العصر، ص ٥٥.
- (٣١) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦. دراسة وتحقيق د. م. عماره، بيروت عام ١٩٧٢ م.



أربعة عقود من تاريخ المسرح السياسي في العراق (١٨٨٠ - ١٩٢٠)

لطيف حسن

عرف العراق بدايات المسرح الوافد اليه، من مصادره المختلفة (من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٠)^(١).

خلال هذه العقود الأربعة، تعرف الوجهاء والأعيان ومترفو التجار والمتقنون الشباب، وضباط الجيش على نشاطات مسرحية باللغة الفرنسية والانكليزية والتركية والعربية.

وقبل تناول هذه النشاطات المتفرقة والهامة في تاريخ المسرح العراقي، لابد من وقفة سريعة عند الوضع الاجتماعي والسياسي للعقود الأربعة التي شهدت لأول مرة عملية انبات بذرة المسرح الباروكي في العراق.

في الفترة (١٨٨٠ - ١٩١٧)، كان العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية، وقد حكم ولاية بغداد وحدها في هذه الفترة القلقة خمسة وعشرون والياً، أي بمعدل عام وبضعة أشهر لحكم كل وال^(٢).

ونحن نشير إلى هذا الأمر، كونه يشكل مظهراً من مظاهر الفوضى السياسية السائدة خلال هذه المرحلة التي عمت فيها الأمية والأمراض والنكبات.

كما ان العراق قد عانى من ويلات الحرب العالمية الأولى الشيء الكثير، حيث كان خلال سنوات الحرب، ميداناً لمعارك حربية شملت معظم مساحة العراق، ناهيك عن تفسخ الجهاز الحكومي وفساده، وغلبة النزعة العشائرية والقيم البدوية.

ان هذه المرحلة من أشد المراحل تخلفاً «على الرغم من انها شهدت تأسيس أول مدرسة للبنات، وافتتاح أول شارع عام، وتكوين النوادي الأدبية والاجتماعية التي كان لها دور في مناصرة المسرح والايمان برسائله ومن هذه النوادي (الانتباه العربي) و(ندوة المقهى الحمراء) و(النادي العلمي الوطني) الذي أقدم على تمثيل رواية (وفاء العرب) لكن جمال باشا منعها وأوعز إلى مرزوقته ان يشهروا بالقائمين بها»^(٣).

كما ان هذه المرحلة «شهدت قيام الحركة المشروطية في تموز ١٨٨٨ والتي تمثلت فيها إعادة الدستور، وصدور مراسيم أطلقت فيها حرية الكلام والطبع والاجتماع، وكذلك الغيت الرقابة، وأعلن العفو العام عن السجناء السياسيين، وكان لهذه الحركة تأثير واسع على وعي مواطني العراق، وخاصة الحواضر، إلى جانب ما كانت تلعبه الصحافة من أدوار على اختلاف منابرها»^(٤).

في الفترة (١٩١٧ - ١٩٢٠) أصبح العراق كله تحت السيطرة الانكليزية، فقد أقامت بريطانيا في العراق نظاماً استعمارياً، كانت السلطة المطلقة فيه للقيادة العسكرية الانكليزية المحتلة، حيث تفرد بالحكم كل من (الجنرال مود) و(ارنولد ولسن) و(بريسي كوكس)، وخلال هذه الفترة حل محل الموظفين الاتراك السابقين، موظفون من الادارة الانكلو- هندية، واستبدلت العملة التركية بعملة جديدة، وأعيد تنسيق نظام الادارة والقضاء على الطراز الهندي، وتحول العراق إلى أحد أقاليم الهند البريطانية»^(٥).

في هذه العقود الأربعة المثيرة من تاريخ العراق، بدأت البرجوازية تنمو في رحم الامبراطورية العثمانية، التي كانت تعيش أزمتها الأخيرة، وشمل هذا النمو العراق أيضاً، ولكن بوتيرة أضعف، ونهوض ابطأ، ومع نهضة البرجوازية «دخل المسرح تركيا، ومنه وفد إلى العراق. فقد زارت بغداد، وقامت بجولة في المحافظات الأخرى فرقة (آل طغرل بك) التركية عام ١٩١٠، وكررت زيارتها مرة أخرى بعد هذا التاريخ»^(٦).

وعند دخول الانكليز إلى العراق، «استقدموا معهم فرقاً تمثيلية خاصة بهم، سرعان ما توجهت عروضها إلى عموم الجمهور، وكانت تسمى اجواقاً، وتقليداً لهذه الفرق، فقد عمّدت بعض المدارس الخاصة باليهود إلى تقديم عروضها المسرحية باللغة الانكليزية»^(٧).

وأزاء هذه النشاطات المسرحية الاجنبية، التي لم تكن معروفة سابقاً، انبهر الشباب المثقف والمتنور من الطبقات الارستقراطية والبرجوازية الناهضة، لاسيما اولئك الذين درسوا في اسطنبول، «وقد تأثروا بمشاهدتهم للمسرح هناك»^(٨). وكذلك من هؤلاء الشباب من زار مصر والشام التي شهدت برجوازياتها نهوضاً أبكر وأطلعوا على بواكير العروض المسرحية هناك، وحاولوا تقليدها، إلى جانب متابعتهم باعجاب نشاطات الجالية التبشيرية

الفرنسية، التي كانت تشجع مدارسها المسيحية في الموصل وبغداد للعناية بالفن المسرحي المدرسي لاغراض لا تنفصل عن مطامح فرنسا الكولونيالية، وهي تنتظر وفاة الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) لاقتطاع ولاية الموصل منها.

وكانت مدارس هذه الجاليات، تضم أيضاً طلاباً عراقيين من المسيحيين أثرت فيهم بهذا الشكل أو ذاك النهضة البرجوازية، وتأثيراتها في تأجيج المشاعر الوطنية والقومية التي عمت الشباب المثقف آنذاك.

وكما هو معروف ان «المسرحية التبشيرية، هي المسرحية الرائدة في العراق والتي وضعها القسس والمعلمون في المدارس، وكانت تدور في إطار الاحداث الدينية التاريخية المنتزعة من العهد القديم والعهد الجديد»^(١).

ويؤكد لويس شيخو ان الكلية اليسوعية في بيروت كانت السبّاقة في تقديم المسرحيات العربية «وكانت كليتنا أول من سبق إلى تشخيص الروايات العربية التمثيلية سنة ١٨٨٢، فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقية ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حب الوطن، ذكرى تواريخ بلادهم، فمن جملة ما مثلوا (حكم هيرودوس على ولديه) و (استشهاد القديس جرجس) ورواية (صديقاً) ثم (داوود ويوناثان) ومما أقتبسوه من تاريخ العرب رواية (أبن السمؤال) ورواية (المهلهل) و (شهداء نجران) و (نكبة البرامكة) و (اخوة الخنساء) وكان للطلبة في التأليف سهم واف، إلا ان معظمها بقلم الآباء، أو بعض اساتذة الكلية»^(٢).

وقد قدمت مسرحيات عراقية حول نفس المواضيع بسبب الترابط والعلاقات المذهبية، ووحدة المنهج فيما بين هذه المدارس التي تدار من مركز واحد «فقد قدمت مسرحية (جان دارك) عام ١٩٠٦ على مسرح القاصد الرسولي في الموصل، ومثل الطلاب في مدرسة (السمنير في الموصل) مسرحية (الطيور الصغيرة) عام ١٩٠٨، ومسرحية (ماركسان) في السنة نفسها وقد ترجمها عن الفرنسية مترجمان لبنانيان، كما ترجم القس جرجس قندلا مسرحيتي (الطيب رغماً عنه) و (الثري النبيل) لموليير عام ١٩٠٨ ومثلتا على مسرح المدرسة الكلدانية في الموصل»^(٣).

لقد ساعد قيام الحركة المشروطية، أتبعات الوعي القومي لدى الشباب العراقي المتنور، وتوفرت الاجواء في ظل الايام الأخيرة للامبراطورية العثمانية لانتعاش افكار التحرر الوطني من عسف واضطهاد وحكم السلاطين المطلق، وشكل هؤلاء الشباب العديد من النوادي الاجتماعية التي قدموا من خلالها محاولاتهم الأولى في المسرح العراقي، على نمط مشاهداتهم للاشكال المسرحية الوافدة، ومحاكاة لها، لكن بمضامين وأهداف سياسية منسجمة مع تطلعاتهم الجريئة آنذاك.

لقد ارتبط هذا المسرح الوافد من البداية بالوعي الوطني والقومي والسياسي للبرجوازية الفتية، ووجه ضد الاحتلال العثماني، وقد حفظ لنا الأرشيف المسرحي، التابع لمركز الأبحاث والدراسات المسرحية في العراق حوالي ثلاثين مسرحية كتبت خلال هذه العقود الأربعة، وقد منعت السلطات العثمانية العديد منها. «فقد أوعز جمال باشا إلى المرتزقة بإيقاف عرض مسرحية (وفاء العرب) التي حاول النادي العلمي الوطني ان يمثلها بمناسبة قدوم الصحفي محمد رشيد رضا من لبنان، الذي كان مقرراً ان يلقي محاضرة على جمهور المسرحية خلال الاستراحة»^(١١). «ومنعت مسرحية (شهيد الدستور) من العرض لأمدر غير معين ولموانع اقتضت ذلك، حسبما جاء في الاعلان الذي نشرته جريدة (الرقيب) في الاول من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هجرية»^(١٢).

وخلال هذه العقود الأربعة لا تتوفر لحد الآن أية معلومات تشير إلى تشكيل فرق مسرحية أهلية خاصة، وما قدم من نشاطات فبواسطة المدارس والنوادي والتجمعات التي تسترت بالنشاطات الاجتماعية والثقافية، وهي في جوهرها كانت تعمل من أجل اذكاء الروح الوطنية وتأجيحها ضد المحتلين، ان هذه النوادي لعبت دوراً في انعاش النشاط المسرحي الذي اتخذته سلاحاً في جهادها ضد الغزاة الانكليز وخاصة في بغداد وبنينوى»^(١٣).

وتكتب (مس بيل) رسالة إلى ابنيها تذكر فيها انها حضرت مسرحية وطنية، قام بتمثيلها جماعة من الشباب الوطنيين، وتذكر كيف كان الحاضرون يصفقون كلما وردت كلمة (الاستقلال) أثناء التمثيل، وكيف انها التقت في الحفلة بأشد أعداء الانكليز، فصافحتهم بروح ودية»^(١٤).

مما تقدم نخلص إلى ان المسرح الوافد إلى العراق برواده المتعددة: التركية والفرنسية والانجليزية والعربية (سوريا ومصر)، نجح في خلق مناخ لنشوء مسرح النخبة، يعكس ايديولوجيتها الوطنية والقومية التحررية وهو مسرح يهوية سياسية سافرة منذ البداية. وجمهور هذا المسرح، هم نخبة من شرائح اجتماعية متنوعة وجديدة كانت في طليعة النضال التحرري من أجل الاستقلال وتحقيق الهوية القومية، انضم اليهم في وقت لاحق رجال الدين من مناوئي الاحتلال البريطاني الذين لعبوا دوراً هاماً في قيادة وتوجيه ثورة العشرين.

ظلت هذه النشاطات المسرحية هامشية وموسمية، محصورة بين جدران المدارس ومنتديات القلة من عليا القوم، معزولة عن الطبقات الشعبية الواسعة التي لم تكن في متناول يدها غير فنونها الاصيلية المتوارثة (رواة السيرة، والقصصون وطقوس الشيعة المهرجانية في عاشوراء والالعب التي تجري في الاعراس والافراح والاسواق).

وبما ان المسرح السياسي ، هو مسرح طبقي واسع وشعبي من حيث الجوهر، يعكس الطموح السياسي للجماهير وموقفها من الطبقة السائدة والفتات الحاكمة ، فان هذا المسرح في ظل ظروف العراق آنذاك ، اقتصر نشاطه المحدد على مراكز المدن الهامة بغداد والموصل والبصرة ، حيث تشكل هذه المدن مراكز التجمع الاساسية للشرائح الاجتماعية المتنوعة القليلة العدد بما لا يقاس إلى عدد سكان العراق من فقراء الفلاحين والكادحين والحرفيين والمعدمين لكنها فاعلة سياسياً وحتى هذه النشاطات المسرحية الضيقة لم تتوسع في المدن المذكورة إلى خارج مراكزها وجمهورها المحدد، ولم تتحول إلى ظاهرة شعبية في المدينة.

لقد كان للشعب فنونه الاصيل (المناسبات الدينية وفنون الاسواق والافراح) التي يعبر من خلالها عن مشاعره ومواقفه ازاء الاحداث الهامة بشكل عفوي في أحيان كثيرة، فقد كان للشعر الشعبي و(الهوسة) كما هو معروف ، دوراً هاماً في تحريك مشاعر الجماهير الفلاحية أثناء ثورة العشرين .

ان محدودية انتشار هذا المسرح ، ومن ثم تراجعها فيما بعد يرتبط بهوية النخبة التي التزمت ، النخبة الاجتماعية الناشئة والمتحركة وغير المتبلورة طبقياً .

وللدلالة على ذلك نشير إلى وثيقة تؤكد هذه الحقيقة ، من خلال الكشف عن ان المساهمين في تقديم ما يمكن اعتباره أنضج محاولة مسرحية في إطار هذه الفترة من حيث التأليف والتمثيل ، احتلوا فيما بعد مراكز رفيعة على صعيد اجهزة الدولة ، والبعض منهم لعب دوراً يتعارض سياسياً وفكرياً مع طبيعة الدور الذي كان يقف وراء مشاركته في هذه المحاولة المسرحية الرائدة .

وتشير هذه الوثيقة التي نشرها مصطفى نور الدين الواعظ تحت عنوان (تمثيل الروايات لتغذية الثورة) ان مسرحية النعمان بن المنذر التي ألفها الشاعر مهدي البصري والتي تعد أول عرض فني سياسي في العراق قد قام بتمثيلها «كل من السادة قاسم العلوي (محام) وعبد القادر صالح (مدير الحسابات العام) ومحمود خالص (عضو محكمة التمييز) ونجيب الراوي (وزير المعارف سابقاً) وابراهيم الواعظ (حاكم استئناف الموصل) وعلي غالب العزاوي (محام توفي رحمه الله) والحاج رؤوف الدهان (حاكم في محاكم العراق) وعبد العزيز ماجد (حاكم في محاكم العراق) وأحمد الراوي (مدير الخارجية العام) وعبد القادر جميل (رئيس محكمة استئناف الموصل) وحسن سامي التاتار (عضو محكمة التمييز) وطالب مشتاق (مدير البنك العربي) وجميل الراوي (مدير مدرسة الشرطة) وجميل رمزي (ضابط في الجيش توفي رحمه الله) وخير الدين خورشيد (ضابط في الجيش) وأمين خالص (مفتي اداري) وأنور النقشلي (مدير ادارة المجلس النيابي سابقاً) فمثلنا رواية (النعمان ابن

المنذر) مرتين مرة لمنفعة مجلة اللسان والثانية لمنفعة المدرسة الاهلية (التفويض اليوم) وكان الدخل في كل مرة يتجاوز العشرة آلاف روبية وكل هذه المبالغ كانت ترسل إلى الثوار في الجنوب^(١٧).

«ان العناوين التي الحقها مؤلف الكتاب (الروض الأزهر) بجوار اسماء الممثلين هي عناوين وظائفهم التي كانوا يشغلونها في اواخر الاربعينات من هذا القرن عند تأليفه لكتابه^(١٨).

بمعنى ان ان هذه النخبة التي لعبت دوراً ثورياً في مرحلة التحرر الوطني من الاحتلال، هي ذاتها التي تسلمت فيما بعد أرفع المناصب في الدولة العراقية الحديثة التي كانت ترتبط بالاستعمار البريطاني باحلاف سياسية وعسكرية تؤمن تبعيتها الكلية لها، وأخذت تلعب هذه العناصر فيما بعد الدور الكابح في السلطة لحركة الجماهير ولمناضليه من أجل انجاز الاستقلال الحقيقي، والتحرر الوطني الكامل.

الهوامش والمراجع

- (١) ١٨٨٠ تاريخ أقدم مخطوطة لمسرحيات عراقية (آدم وحواء، ويوسف الحسن، وطوبيا) تأليف الشماس حنا حبشي، ١٨٨٠، عثر عليها كاتب البحث في مكتبة توما عزيزة في عام ١٩٦٦ وأهداها إلى المركز الوثائقي للمسرح العراقي عام ١٩٦٩.
- (٢) راجع (حكومات بغداد) عبد الحميد العلوجي ١٩٦٢.
- (٣) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ - ١٩٢١) أحمد فياض المفرجي مجلة - سينما ومسرح - العراقية - عدد ١/ حزيران ١٩٨٢.
- (٤) (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) د. علي الوردی - الجزء السادس / ١٩٧٦.
- (٥) راجع (العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب) نجدت فتحي صفوت، بيروت ١٩٦٩ و(حكومات بغداد).
- (٦) (المسرحية العربية في العراق) علي الزبيدي - ص / ٢٨.
- (٧) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ - ١٩٢١).
- (٨) (المسرحية العربية في العراق).
- (٩) (اثر المسرح العربي على المسرح العراقي) د. عمر الطالب - القسم الأول - مجلة سينما ومسرح - العراقية العدد / ١١ ايلول ١٩٧٤.
- (١٠) (الاداب العربية في القرن التاسع عشر) لويس شيخو - ص / ٢.
- (١١) (اثر المسرح العربي على المسرح العراقي) القسم الأول.
- (١٢) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ - ١٩٢١).
- (١٣) المصدر السابق.

-
- (١٤) المصدر السابق.
- (١٥) راجع (خلق الملوك) مس بول - ترجمة عبد الكريم الناصري - مكتبة النهضة، بيروت/ ١٩٧٣.
- (١٦) (الحركة المسرحية في العراق) أحمد فياض المفرجي - بغداد ١٩٦٥ - ص / ١٩.
- (١٧) (الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر) مصطفى نور الدين الواعظ.
- (١٨) (وثائق مسرحية) أحمد فياض المفرجي - مجلة - سينما ومسرح - المراقية العدد/ ١١ ايلول ١٩٧٤.



جان جينيه و حديث عن المسافة بين الالاماني والواقع!

سمير سالم داود

في خريف عام ١٩٧٠ وصل جان جينيه إلى دمشق قادماً من الاردن، لم يمكث سوى أيام معدودة طلب بعدها بالحاح زيارة قواعد المقاومة المنتشرة آنذاك على طول الخط الفاصل مع قوات الاحتلال الاسرائيلية في مرتفعات الجولان، نفس الشيء كان يفعله دائماً حين يصل عمان قبل مجزرة ايلول، فور وصوله يسرع إلى الاغوار ليعيش عن قرب مع عالم «الفدائيين» تاركاً للزمن تسجيل الانطباعات والملاحظات بعيداً عن رتوش وبهارات اللقاءات الصحفية السريعة!

بعد اسبوعين، أو ربما أكثر - لا اذكر على وجه التحديد - امضاها جينيه بين قواعد المقاومة، عاد إلى دمشق في طريق عودته سراً إلى المناطق الشمالية في الاردن، يومها تقرر - ! - اللقاء معه للوقوف على حصيلة جولته الميدانية لغرض الاستفادة من انطباعاته عند تنظيم زيارات صحفية أخرى لهذه القواعد للتأكيد - اعلامياً - أمام الرأي العام العربي والدولي، ان ما حدث في ايلول الاسود لم يكن سوى سحابة صيف عابرة!

ابدى جينيه دهشته من الطلب - هذا ما عرفناه فيما بعد! - ولم يوافق على الفكرة إلا على مضض، دون ان ندري انه قد عقد العزم على «تدفعينا» ثمن اصرارنا «السمج» على اللقاء معه خلافاً لارادته الحقيقية!

كنا ثلاثة! يجمعنا العمل في اعلام أحد مكاتب المقاومة الفلسطينية... سوري - المترجم - كان على معرفة جيدة بجينيه بحكم دراسته في باريس... وفلسطيني سبق ان

التقى مع جينيه مرات عديدة في الاغوار . . . عراقي لم يلتق مع جينيه من قبل وكل ما كان يعرفه عن الرجل لا يزيد عن مواقفه الداعمة لضال الشعب الفلسطيني وبعض التفاصيل عن حكايته «الفضائية» المعروفة!

في الموعد المحدد تماماً وصل . . . أو بالأحرى تسلسل إلى المكتب بكل تواضع، وبشكل كنا نعتقه آنذاك - آنذاك فقط؟! - عند التعامل مع «قادة» من الدرجة العاشرة! . . . شدني اليه منذ البداية وروحه الفتية، على الرغم من انه كان يومذاك قد جاوز عقده السادس، بنظرون جينز وسترة جلدية مثل أي شاب في العشرين من العمر!

باصرار غريب رفض الجلوس! كما لو انه كان ينوي اختصار اللقاء إلى أقصر وقت ممكن، وهو اصرار لم نفهم دواعيه في البداية طبعاً، نظراً لأنه لم يكن يخامرنا أدنى شك في اننا نتعامل مع جان جينيه معاملة الند للند! باعتبار ان الحكاية لا تعدو ان تكون في النهاية أكثر من مجرد لقاء بين ثلاثة من المثقفين العرب . . . مثقف فرنسي! وكم كان هذا الشعور مثيراً للشفقة خاصة ونحن كنا لا نزال نلحق جراح هزيمتنا المريرة في ايلول الاسود! حين بدأ اللقاء الموعد وتأكد من الهدف ابتسم - استطيع الجزم الآن ان ابتسامته كانت تنطوي على قدر غير قليل من السخرية! - ندعوه لزيارة قواعدها ثم نجلس بانتظار معرفة انطباعاته، كما لو ان الوصول إلى هذه القواعد صعب جداً أو لمعجزنا الوقوف على طبيعة الواقع - واقعنا! ملاحظات الآخرين!!

حين سأله أخيراً - انطباعاته لغرض . . . قاطعنا بشيء من نفاذ الصبر متسائلاً: عن توقعاتنا نحن حول حصيلة جولته؟!

في ذلك الزمن! يوم كنا نطرح اوهاماً بديلاً عن الوقائع الملموسة على الأرض - هل انتهى ذلك الزمن حقاً؟! - بادره الفلسطيني ومن منطلق الاعتداد بالنفس وأعلن - بصيغة أقرب ما تكون إلى القرار! - ان الحصيلة هي بالتأكيد ايجابية و . . .

قاطعه جينيه متسائلاً بمكر: لماذا تتصور الأمر على هذا النحو ياسيدي؟! حين طال صمت صاحبي تدخلت محاولاً إعادة الكرة إلى الملعب الفرنسي! مؤكداً بحماس ان من الطبيعي ان تكون حصيلة جولته ايجابية انطلاقاً من حقيقة - ! - ان استمرار المقاومة وقدرتها على المواصلة بعد مجزرة ايلول لا يمكن ان يثيرا في النفس إلا مشاعر ايجابية دون أدنى شك!

تصورت ان ما قلته كان ضربة «معلم!» وتركتني جينيه استمتع بهذا الشعور الساذج بضع لحظات قبل ان يرد: ذلك جانب واحد من الصورة، ماذا عن الجانب الآخر الذي ينبغي الآن التركيز عليه وتفحصه بصورة دقيقة؟!

تساءل قبل ان يضيف بأسى واضح: كنت اتصور ان ما حدث في ايلول سيجعلكم

تبتعدون عن الاسراف في احلال تصوراتكم بديلاً عن الوقائع ! - احاول ان عكس جوهر ما قاله من حيث المعنى وليس حرفياً - ولكن يبدو انكم مازلتُم تواصلون باصرار الاستمتاع بترديد «حلو» الكلام حتى لو كان لا يعبر عن الواقع ! والمصيبة انكم تفعلون ذلك بنشوة من يمارس الجنس!

شعرت بالغبط إلى حد الانفجار بعد ان تحولت مع صاحبي إلى مجرد «شيء ماء» وتركنا جبينه لحظات قصيرة نستوعب هجومه العاصف قبل ان يعود للحديث مضيقاً بالـم: كيف يمكن ان تكون حصيلة جولتي ايجابية بعد ان عشت بين مقاتلين يتطلعون في كل لحظة إلى عدوهم دون ان يتمكنوا من ان يفعلوا أي شيء؟ وما قيمة البنادق حين تتحول إلى مجرد عصي حديدية؟... من قبل كانت ساعات النهار هي كل ما يفصل ما بين الرغبة وتحقيقها.. أما الآن فقد حاولوا - يقصد المقاتلين - اقناعي كما تفعلون الآن بان كل شيء تمام! وتحذثوا بحماس أكبر من حماسكم عن... وعن... وعن... ولكني طالعت في عيونهم وتعابير وجوههم الحقيقة المرة التي تحاولون جعلها ايجابية بالقوة وخلافاً لارادتي!

هل تدركون لماذا تمارسون هذه اللعبة إلى حد الابداع أحياناً؟! اجاب - بعد ان صرنا في وضع لم نعد نفكر فيه بالرد - تفعلون ذلك خوفاً من مواجهة اخطائكم... وبدلاً من مناقشة الاسباب التي قادتكم إلى هذه النهاية تفضلون الففر إلى النتائج والبحث عن الذرائع المناسبة حتى لو أدى ذلك إلى «لُحس» شعاراتكم التي كنتم إلى ما قبل اسابيع قليلة فقط تقدمون الشواهد والأدلة على صوابها وامكانية تحقيقها على أرض الواقع... و..

لم تكن هذه الكلمات القاسية هي فقط ما ميز هذا اللقاء «التاريخي»! فالرجل لم يتركنا حتى بعد ان تحولنا إلى مجرد تلامذة صغار لا يملكون ازاء استاذهم سوى الارتباك والحيرة - هكذا كان يجب ان تصرف منذ البداية! - وانما راح يتحدث عن ضرورة عدم محاكمة النتائج بمعزل عن الاسباب، أو الوقوع في خطيئة التقدير غير الصائب للمسافة بين الأماني والواقع... بين الخطاب والفعل... معيداً على اذهاننا - وبشكل ينطوي على التفريع - الابداعات الاولى للماركسية رغم انه لم يكن في يوم ما شيوعياً!

الهوامش

- ولد جان جينيه في باريس ١٩١٠ وعاش حياته في البداية ما بين التشرد والسجون قبل ان يكرس نفسه للابداع الفني بعد ان نظم جان بول سارتر وعدد من كبار المثقفين الفرنسيين حملة واسعة لاطلاق

سراحه.

- كتب عنه سارتر دراسة طويلة بعنوان: جان جينيه. . القديس الشهيد.
- اصدر جينيه العديد من الروايات منها «سيدة الورد» و «معجزة الورد» و «يوميات سارق». . . أما في المسرح فقد كتب. . . «الخادعات»، «الزنج»، «الستائر»، «رقابة مشددة». . وقد قدمت العديد من أعماله مسرحياً وسينمائياً.
- عرف جينيه بمساندته لقضايا الشعوب المضطهدة. . عاش بين المقاتلين أيام حرب التحرير الجزائرية. . ساند بضال شعب فيتنام ودخل سراً إلى الولايات المتحدة الامريكية لتنظيم حملات الادانة للعدوان الامريكي ضد الشعب الفيتنامي. . ساند بقوة الشعب الفلسطيني وكفاحه البطولي وكتب العديد من الموضوعات حول الفترات التي امضاها بين قواعد المقاومة في الاغوار وجرش.
- كان من بين اوائل الذين دخلوا إلى مخيمي صبرا وشاتيلا بعد مجزرة ايلول عام ١٩٨٢ وكتب تهادته عن تلك المجزرة المروعة في مجلة الدراسات الفلسطينية الصادرة باللغة الفرنسية.
- توفي جان جينيه في باريس نيسان عام ١٩٨٦.



ماذا يحدث في بطرسبورغ

ترجمة - هلال حميد

ماركلا بوجيو وفرانكو كومو

مشهد من مسرحية بعنوان (الرفيق غرامشي)، من تأليف ماركلا بوجيو، و فرانكو كومو. عرضت عام ١٩٧٢ على مسرح (أضواء المسرح) في بولونيا وقام بإخراجها بوجيو نفسه. ومن خلال اعادة البناء المسرحي لحياة أنطونيو غرامشي، تقدم هذه المسرحية بانوراما مركبة للمجتمع الايطالي عشية وخلال هيمنة الفاشية.

(غرامشي في زنزانة. حوله ظلام.. ظلام مخيف يساعد فيما بعد، عندما يأخذ الضوء بالانتشار، في عرض الاحداث والشخص التي تسترجعها ذكريات غرامشي المضطربة. تلك الذكريات تجره بين حين وآخر الى دوامتها - تعاقب في الشخصيات، طفرات في الزمان والمكان، تقلبات في الظروف والمحيط -.

لهذا فان زنزانة غرامشي ستكون الموضوع الاساسي للاحداث بغض النظر عما تحتويه، حيث انها يمكن ان تحتوي على حاجيات بسيطة - سرير قابل للطوي، طاولة، بعض الكراسي - من البساطة بحيث يمكن استخدامها في أي مشهد وحدث كان.

كل شيء الآن في غاية الفوضى، أشبه بكابوس الذكريات التي تتراكم فوق بعضها في ذهن السجين - أصوات مبعثرة، هيجان، ضجيج.

ظلال تتحرك عند حافة الضوء. غرامشي يجلس ماسكا رأسه بين يديه.
الزنزانة تدوي بالأصداء).

(أصوات)

- ماذا يحدث في بطرسبورغ؟

- ماذا حدث في روسيا؟

- ثورة - ثورة.

- ثورة - في إيطاليا كما في روسيا - ثورة.

- ماذا حدث في روسيا؟

- ثورة - ثورة فرنسية.

(صرخة بمثابة سؤال)

- ماذا يحدث في بطرسبورغ؟

(جواب بموازة السؤال)

- ثورة فرنسية.

(في هذه الاثناء، يظهر من الظلام، حشد من العمال يتجمع حول
غرامشي، الذي لا يزال جالسا ورأسه بين يديه)

غرامشي - عام ١٩١١ - ١٩١٤ - ١٩١٧ في تورينو، كان لا يزال من السهل الاعتقاد
بامكانية العمل في إيطاليا على غرار روسيا.

.....
- ثورة - الآن هنا.

- ماذا يحدث في بطرسبورغ؟

- ثورة فرنسية.

غرامشي - لا ليست فرنسية. يجب مناقضة تأويل البرجوازية بتأويل اشتراكي
للأحداث. (ينهض الآن من بين الآخرين. يحاول ان يخاطب الحشد) باغتيالهم لشحة
الاخبار، قام البرجوازيون باختلاق التماثل. ففي صحفهم يزعمون المقارنة بين الثورتين،
لأن الأحداث تتشابه - لكن الثورة الروسية ليست هي الثورة الفرنسية. هم - في صحفهم،
يقولون لنا أن سلطة القصر الاوتقراطية قد أستعيض عنها بسلطة لاتعرف هويتها بعد، هذا
كل ما في الأمر، وأنهم يأملون أن تكون برجوازية - لهذا اختلقوا التماثل بين روسيا وفرنسا -
فهم يخطئون. ان الثورة الروسية ليست حدثا فحسب. انها فعل بوليتاري. وأنا موقن -
علينا أن نكون موقنين - بأن النظام الوحيد الذي سينتق هو النظام الاشتراكي.
صوت - وهنا في الحال - ثورة.

غرامشي - الثورة لا ترتجل. تريثوا. من يشأ الغاية عليه مشيئة الوسيلة. تريثوا -
تورينو في حالة حصار.

(يتعاطف هيجان الحشد. لا يصغون إليه حماساتهم تغلب غرامشي.
خطابات مرتجلة تعارض موضوعات غرامشي وتريثه).

الخطيب الأول - الشعب في عجلة من أمره.

الخطيب الثاني - من الأفضل خسارة خمسمائة من جماعتنا، في النضال من أجل
قضية الشغيلة، على خسارة عشرة آلاف ضد الألمان في الجبهة، لمصلحة البرجوازية.
غرامشي - الجنود سيطلقون النار عليكم.

الخطيب الأول - الجنود بروليتاريون - انهم معنا.

غرامشي - ليس صحيحاً - فالبرجوازيون أقنعوا الجنود بأن الثورة قد نظمها الألمان
للانتصار في الحرب - احذروا.

الخطيب الثاني - الجنود سيتآخون مع الثوار.

غرامشي - تورينو محاصرة بفوج ساسري. كل سقف أصبح عشا للرشاشات.
حاصروا الطرق بالمدافع. وأمام كل مدخل دورية.

.....
الخطيب الثاني - الجنود سيتآخون.

(صلية رشاش. صرخة. الحشد يتفكك. غرامشي وحيد في الزنانة، رأسه
بين يديه، كما في البدء)

غرامشي - أي ثوري أنا، إذ أحول الثورة إلى عملية حسابية مجردة؟ أي ثوري أنا
حيال أولئك الموتى؟ (يدخل جنود مسلحون) فوج ساسري - جميعهم ساردينيون، موتى
من الجوع، أتوا ليقتلوا موتى آخرين من الجوع. (يكلم أحد الجنود) أتيتم لتفعلوا ماذا في
تورينو؟

الجندي الأول - لقتل السادة.

غرامشي - أي سادة؟

الجندي الأول - السادة الذين يقومون بالاضراب.

غرامشي - السادة لا يضربون. أولئك هم عمال.

الجندي الأول - ههنا الجميع سادة. عندهم نقود.

الجندي الثاني - عندهم نقود ويضربون.

غرامشي - ولماذا يضربون؟

الجندي الثاني - لأنهم يريدون المزيد منها.

الجندى الأول - بينما نحن في ساردينيا نعاني الجوع .
 غرامشي - العمال ناس فقراء - حيشا وجدوا .
 الجندى الأول - الفقراء في ساسرى . أنا أعرف الفقراء . ان هؤلاء سكنة اليايسة
 يضعون الياقة والرباط ويكسبون ثلاثين ليرة في اليوم .
 الجندى الثاني - أنا لا أحصل على الثلاثين ليرة حتى في شهر .
 الجندى الاول - (الى غرامشي) أنت من ساردينيا - مثلي . ولكن هل رأيتم في
 ساسرى - في نورو، كيف يلبس الفقراء الحقيقيون؟ . يكسبون ليرة واحدة ونصف، في
 اليوم - ليرة ونصف .

غرامشي - ماذا تعمل في ساردينيا؟ .
 الجندى الأول - أنا؟ - لاشي . أي عمل ألقاه .
 غرامشي - (للآخر) وأنت؟ .
 الجندى الثاني - أنا أعمل في المنجم . في مقالع سيداس مودرنس . احدى عشرة
 ساعة عمل في اليوم . من السادسة صباحاً وحتى الخامسة مساءً دون توقف حتى وقت
 الغذاء . ان قطعة الخبز الاسمر الصغيرة تلك، كنا نأكلها ونحن مستمرون في الحفر، ولا
 يعرف ان كان أسمر لأنه أسمر بسبب حجر التوتياء .
 الجندى الأول - كان أبي عامل منجم . عندما مات كان بصاقه أسود . أنا، الخدمة
 العسكرية ماكان عليّ حتى أداؤها، لأنني أتحمل عبء الاسرة بكاملها . ولكن بما أني كنت
 عاطلاً عن العمل، فقد كان عليّ ان أكون اما في الجبهة أو في البيت - قالوا لي، الامر
 سيان، فأرسلوني الى الجبهة .

الجندى الثاني - أنا أيضاً ماكان عليّ المجيء الى هنا، لأن بصاقي أسود مثل أبيك .
 لكن الطبيب قال لي انه هكذا لأنني أشرب وأئمل - وهكذا، أعطاني دواء الكينين، فكنت
 ان أصاب بالجنون وأرسلني إلى الجبهة أنت من ساردينيا - وتقول، ان هؤلاء
 سادة تورينو فقراء . فأي سارديني تكون؟ .

غرامشي - سارديني - مثلك .
 الجندى الأول - ولكن هل رأيتم في حياتك أنت، كيف يلبس الفقراء
 الحقيقيون؟ .

غرامشي - حتى أنا فقير .
 الجندى الأول - كيف؟ - لأنك سارديني فأنت فقير .

غرامشي - قل لي اذن - لو أُنِي غدا، أقوم بالاضراب مع الآخرين، فما تفعل أنت؟ .
أُتطلق النار عليّ؟ .

الجندي الأول - (بتردد) ما شأنك أنت بهم؟ . أنت سارديني .

غرامشي - وإذا قمت بالاضراب معهم؟ .

الجندي الأول - اذا تقوم بالاضراب معهم، (بشيء من التعاطف، وهو يتقهقر للخروج) ابق في البيت .

الجندي الثاني - اسمع لي أنا - ابق في البيت .

الجندي الأول - أفضل .

(يتقهقر الجنود فيخرجون . غرامشي وحيدا في الزنزانة) .



قصة قصيرة

- جلاس المقاعد الامامية -

د. حسان عاكف

منذ اسبوعين وهو ينتظر هذه اللحظات بشوق وتحرق. انشغل طيلة النهار باستكمال مفردات زينته ومكياجِه وأكسسواره: أمضى ساعتين تحت موس الحلاق وأدوات التجفيف والشسوار. صبغ الحذاء الذي استعاره من زميله. بدل شريط الساعة الجلدي بآخر معدني، وعاد ببذلة قيافته العسكرية من محلات الكوي والتنظيف. ارتدى البذلة، عدل كتافياتها وأكمامها، تحسس طياتها وازرارها وهو يتحرك ويتبخر أمام المرأة. فرح طفولي غمر قلبه عندما بدت له جديدة ومتناسقة مع جسمه، رغم إنه اشتراها منذ خمس سنوات، ربما لأنه لم يلبسها سوى في ثلاث مناسبات سابقة. لم يعياً كثيراً برائحة البنزين المنبعثة منها، وقدر ان عطر «البروت» المبتاع لمثل هذه المناسبات بديلاً عن قناني ماء الورد التي توارث استخدامها عن أبيه ستغطي على رائحة البنزين. رش وجهه وكفيه وكتافيات البذلة برذاذ «البروت»، تردد للحظات ثم راح يرذذ أبطيه وقفاه. وللمرة الأخيرة تساءل: «هل اذهب بالملابس المدنية أم ببذلة القيافة العسكرية؟». شعر بالامتعاض حين خيل له انه سمع صوت زميله عادل ينصحه بالصحو من غفلته والتخلي عن فكرته الساذجة! . حسم الأمر بشكل لا عودة عنه «سأذهب بالملابس العسكرية، لسبب بسيط هو اني لا أملك أفضل منها بين ملابس المدنية»، ثم ان الحفل يقام بمناسبة مرور عام على توقف المعارك في الحرب «التي كان لي شرف المساهمة في جبهاتها الامامية سنين طوال». مرة أخرى ترذذ

من عطر المناميات المفضل. نظر إلى المرأة وغمز مبتسماً، ثم توجه نحو باب الغرفة وهو يندندن: «جندينا أبو التحرير جندينا...».

غادر البيت قبل موعد الحفلة بوقت طويل، استقل الباص العمومي، وزادت شدة الازدحام فيه من قلقه على نظافة البدلة وطيائها، بعد ساعتين من التنقل بين ثلاثة باصات وجد نفسه أمام المبنى الضخم المخصص للاحتفال. ما زال هناك متسع من الوقت، لكن لا بأس من الدخول مبكراً وحجز مكان في مقدمة القاعة، فالدعوة عامة ويمكنك اختيار المكان الذي ترغب. دخل القاعة وجدها شبه خالية. تقدم ببطء نحو المقاعد الامامية. شعر بالارتباك وتسارع نبضه حين تخيل نفسه جالساً في الصف الأول. فكر للحظات واختار مقعداً في الصف الرابع، فذلك أفضل وأهدأ ويجنبه نظرات الآخرين وفضول عدسات التلفزيون التي لا بد انها ستتركز على جلاس الصف الأول، رغم رغبته وحرصه على ظهور صورته على الشاشة الصغيرة ومشاهدة زملائه لها، خصوصاً المناكد عادل والذي لا أحد يعرف ماذا يريد، ولا هو يعرف ما الذي يرضيه. ضحك من نفسه حين تنبه انه حاول نفث المقعد قبل الجلوس عليه «هل تظنه مقعد (زبل) أيها المغفل، تمنعه جيداً مخمله القرمزي أنعم من وجهك وأنظف من وجه جدك». خلع بيريته، وضعها على ركبته، أفرد أصابعه وراح يعيد ترتيب شعره وتصفيفه.

جال بنظره في أرجاء القاعة، مجاميع المدعوين تتوافد كاسراب طيور ملونة وتنتثر ألوان الطيف وعطر الياسمين على المقاعد، بهرته الألوان والانوار وأدهشته لوحات الديكور الفخمة وبراعة تصميمها. «آه ما أجمل ان يكون المرء من جلاس المقاعد الامامية في مثل هذه القاعات الفارهة» خاطب نفسه، وحين رنا بانتباه إلى الوجوه المحيطة به إنتابه شعور غريب وخيل له انه يقلب صفحات «نجوم المجتمع» في المجلات المصرية واللبنانية. إنتبه حين لاحظ واحدة من أولئك الفاتنات اللائي يعلقن الأشرطة الحمراء على صدورهن تتوجه نحوه وابتسامة آسرة على شفثيها الورديتين «اتحداك يا عادل واتحدى فاتنات السينما إن كن في جمالها». اعتذرت منه بهدوء وقدمت له القرنفلة التي كانت تحملها. لم يذهب به التفكير كما يفترض ان يحصل لشاب في سنه يُفاجأ بموقف كهذا «لا بد ان منظمي الحفل أوجدوا هذا التقليد لتكريمنا نحن الذين اعطينا الكثير لصنع لحظات الفرح هذه». لم تمهله ليشكرها، وبصوت دافئ خجول طلبت منه التخلي عن مقعده للرجل الواقف إلى جانبها واختيار مقعد بديل في مؤخرة القاعة. أحس بضغطة مرجعة على قفاه جعلته يصحو ويفقد توازنه في ذات الوقت. شعر بما هو أكثر من الانزعاج، شعر بالخذلان والمهانة، إلا انه تمالك نفسه، ولملم شتات جرائه معتزلاً عن عدم استعداده للتجاوب مع ما طلب منه. أخبر ذات الشريط الأحمر انه تعبد المعجيء مبكراً للحصول على مكان في المقاعد

الامامية، وهناك مقاعد عديدة يمكن ان يختار الرجل أحدها. لم تغير الفاتنة من سحر 'لباقتها': «عفواً، كل ما تقوله صحيح، ولكن هل يرضيك جلوس سيادة العميد في المقاعد الخلفية». تهاوت حججه، وتبعثرت كلماته، وغشيت وجهه سحابة من الضيق والانكسار، وأحس بجيوش النمل تغزو جسده، ودارت جذران القاعة وتداخلت مع سقفها، واختلط طيف أسراب الطيور مع هالة شرائط الزينة المعلقة على الجدران، واختزلت جميع الألوان بلون كان يبدو قاتماً تارة وباهتاً تارة أخرى. ووسط هذه العتمة قفزت صورة زميله عادل فاقعة مستفزة وجاء استخفافه فاقعاً هو الآخر «لم تسمع نصيحتي، هذه الحفلات لأهلها. وأنت لست من سمارها». شعر بثقل كبير على صدره، واختلطت رائحة البنزين النفّاذ المنبعثة من البدلة برائحة العرق المتصّيب من جسمه، ويجهد غير يسير، ودون ان يكلف نفسه عناء التطلع في وجه العميد، كبح انفعالاته وجاء صوته مخنوقاً متقطعاً: «إن كانت هناك حاجة للاعتذار فأنا من يجب ان يعتذر، كان عليّ ان أدرك منذ البداية أننا لسنا في جبهة قتال حتى أفكر بمكان لي في الصفوف الامامية، في الجبهة نحن في الصفوف الأولى، أما هنا فانت من ينبغي ان يكون في المقدمة».

ويدون ان يعرف كيف غادر القاعة او يتنبه لموسيقى «اعراس النصر» ولألحان «الفرح» النارية وأسهب الوردية التي كانت تملأ سماء المنطقة، وجد نفسه يركض للمحاق بالباص الذي د... في الطرف الآخر من الشارع.

أيلول / ١٩٨٩



شعر

خريف المحبة

منعم الفقير

الخيانة لم تعد موقعة
من أية جهة تجيء.

الشاعر الروسي يسين

«خريف المحبة»

لقد
تساقط الاصدقاء
من شجرة الصداقة
وها أنا ذا
أمضي خريف المحبة
بكل
ما في الخوف من فرح.

«عزلة»

على
تلة بعيدة
بعيدة جداً
سأبني كوخاً
وسأحكم بناءه
وسأدع
في أحد جدرانها
كوة صغيرة جداً
ليتسلل
منها ضيوفي .

«الصمت»

أريد
أن ألزم الصمت
وأدير ظهري إلى الثثرة
أريد
أن أمنح البحر قمي
وأنتظر
حتى يغدو
جزءاً منه .

«ملوحة»

لقد
نسيت (ملوحة)

القبلة الأولى

وها أنا ذا
أضبط على البحر
بين شفتي.

«جفاف قلب»

أخيراً
ستنجد يا قلبي المغرور
وستغدو
كتلة
لحم
تثقل صدري.

(.....)

الليل
يتداعى عند النافذة
الشمعة
تدفع بما لديها من ضوء.
القلم
يتأوه
الكلمات العابثة
تلتهم صفاء الورقة.

«وجع النظر»

أطوف بنظري
من مكان إلى آخر
أطوف

به

الاغصان
تتشع بثياب الحداد
ربما
على يوم انقضى .

أخلق بنظري
بعيدا ، بعيدا
لعله يحط على تلك النافذة
التي تلهث عبر اسوارها الزجاجية
السنة الشموع .

(. . . .)

ابعدي عني
ايتها الطبيعة
باشجارك ، بحارك ،
وناسك ، قادة ومقادين .
لكي
أختلس لحظة واحدة
من وجودي . . .

«رغبة محمومة»

أنا
لم أزل كما أنا

محموم الرغبة
بالنط في الحقول

واللعب
في البرك والالوحال
وقضاء نهاري
في ملاحقة فراشة.

«وجود الشجرة»

صدقيني
ايتها الشجرة
أن وجودك،
أفضل من وجودي.
اذ لا شجرة
(مهما علت أو انحطت)
تستطيع أن
تحجب عنك الربيع.

«اقترح صياحي»

المرأة
تقترح علي وجهي
فأقبل
على مضض
هذا الاقتراح.



جدارية أسفار

صلاح الحمداني

رأيت

مواعيد لاتفارق الذاكرة، قبراتٍ مثقلة بحزومات حزنٍ تختبئ تحت اكوامٍ معاطف جنود مهشمين... رأيت كذلك حكاياتٍ منسية في جيوبي، حانوتٍ معسكرات الرشيد العفق، ساحة التعداد الغريقة، عريف حضيرتي الجنوبي، ضابط المعسكر الفاشي وعواصف تغلي تنتظر على عتبة دار...

رأيت

جراحاً متفتحة تزحف ببطء تبتلع بغداد... رأيت نفسي في مرآة وشعراء مهملين تحت مطر، عباءات، قطارات، مظلات، همومٍ وسهر... رأيت امي تحت ضوء قمر شهر يار تغرق بفوطتها اجنحة فخات ممزقة برصاص الحرب، مقتولة وخارطة الوطن - الشهادة، ووجعاً يغص في ضحى... رأيت صداماً مذبحاً وناساً يرقصون رقصة الغدر ويموتون...

رأيت

جثثاً متروكة في مقبرة، وهموماً ترتدي اجيالا لاتورق من أرصفة نائية مثلهم في

مدن عصرية، ماء متحجرا وسط صحراء، نصيرا يضع رأسه في فوهة مدفع هاون ويضحك، نخيلاً يمد الاناق، يستقصي تموز، ومحتضراً يقرأ وصية... رأيت ملاحا يقصص خارقة بالية في جزيرة نائية تطفو في غرقتي ويشتم، حمامات وكلمات عن الحب والسلام موشومة في جلود رجال، مدبوغة، ملقاة على اسلاك حدود، وعجوزاً تحتضن بذلة شهيد تحاور جمرا في «منقلة»، كاتباً مشنوقاً في أجيال، وإبتسامات نسوة يجلدن قانون الله يدهن احذية عسكري.

جهوداً ضائعة في صحف قديمة
واشلاء مقاتلين مبعثرة فوق ورق...

رأيت

بحاراً ينتحب فوق رصيف ميناء وكاهنا يرمي بنفسه من سطح كنيسة، صياداً ملتجئاً يضع البحر خلفه مع قليل من شمس ما، على دراجة بخارية يتجه صوب فناء... رأيت مزارعاً يعرض زوجته البسيطة على زوار لا يعرفون لغة الجوع وملاحاً في عتمة يرطم رأسه بفنار مهجور، جنوداً يلعبون اعمارهم على حيطان جرداء شامخة في خواء.

لعناتي تفرق روزنامة ١٩٨٧
الحرب دخلت عامها السابع...

رأيت

— كتاباً وقصائد لشعراء منفي، تبعثرت بمحاذاة مقبرة مراكب، وكلمات رسامين ورجال سياسة تطاردها كلاب.

ماذا يعني ان يموت الرجال في وقت مكر؟

أو عصفور يحلق توا من دفتر مبلل فوق سطح دار، يحمل بمنقاره لغات عن الثورة، يهاجر بها عبر بحار ليرميها فوق قبر يمتد في عراء.

اشتربت على نفسي غرف الطوفانات ولعلمت الابدان المرتجفة في عزلة شتاءات. نعم، سأنتشد للغائبين والذاهبين صوب النخيل المفرق بالدماء، مافاتني يوم زغاريد سقوط الفاشية، وما جففتني سحابة تسقط في كأس أو موعد في علبه تصفر الآن فيها الريح، وما تركني ضيم متعفن في الذاكرة.

ماذا يحيد الخوف يا صديقي؟

هو أن نأخذ مطرقة نهشم بها مرآة، ترصد شارع... خال هذا الرواق، وشظايا المرأة

لا تعكس الرجولة، الا بعض هموم شيخوخة وعطش يزداد ظمأ وحماقات طفولة.

هو ان تطارد كلمات وأنفاسا تحمل معنى عودة، تحمل عصا ومشاورير لملاحقة الدم المتفحج بين معاني اللغة.

هو أن تطمن الارق، أن تأخذ الحدود مرات عديدة تربط بها الانهر كي لا تهرب من العراق.

هو ان تطارد طيور «اوتابشتم» العمياء التي مازالت تبحث عن يابسة. مات كل كمامش وبقي سهر انكيوت والحزاس الليليين النبلاء. . هو الخوف يا صديقي ان تأخذ متراسات تعبى الرؤوس وانتظار الغرباء وتقذف بهما بعيدا، وراء المرايا والمحيطات.

أعزل هذا الشعور، تكلست فوقه الايام العجاف

ارصد نفسي والصحف، أعوي صباحات مشلولة

لا تحمل معنى انسانيا. . .

املك حق المشاركة مع هذه الجثث المتباعدة الاوصال. . ماذا اقرأ هذا النهار؟

ماذا قرأت ليلة البارحة؟ حرب الشوارع تنتظر/ ليكن !!

الحدود المكتظة بالاموات، نسور جارحة تقتفي وعر الجبال وشبابا يرتدون الرياح

لم تهزمهم المدن. . .

تملك حق المشاركة حتى لو كنت منفيا تلتقط كفن عزلتك بين الاسنان، تنهجي

مقتلك بين سطور الاخبار. . .

لك حق الاطياف والعودة مع الرجال.

حق لك الارض

حق لك الخوف

حق لك القتل برؤية الفاشيين مفجوعين كل ملتصق بقبره !!



قصائد كردية حديثة

ترجمة: سامي شورش

شعر: حمه سعيد حسن

(١) التمثال

بالامس...
وفي الساعة الرابعة عصراً حسب توقيت صدام،
تفقد الرئيس صدام
في زيارة عاجلة، مدينة الرئيس صدام،
وهناك في محلة صدام
عند ساحة صدام بالذات،
وبعد القائه خطبة تاريخية مطولة
انزاح الستار
عن تمثال شامخ للرئيس صدام.

(٢) بكائية

من على بعد آلاف الاميال عن كردستان،
إذا ما تيقنت
ان زهرة سيمائي الحمراء .
سوف لا تذبل بعودتي،
لعدوت حافياً . .
واحتضنت الطرق عشقاً
حتى مدينة شارزوري .

* * *

ما برحت عيناى تنزّان العمى
اشوقاً لاحضان مدينتي الطافحة بدفء الامومة - السليمانية
ها . . أتدحرج رأسي المقلوع
وسقط عند أقدامي .

* * *

كأَمْ تُكَلِّى بوحيدها
أسمع لفحة نيران الوجد في قلبي
لمدينتي المختنقة في عواصف الغاز،
وكطير ضاع منه الصغار . .
يؤرقني الجنون لعشي المهدم، .
ويعتصر النشيج عروقي . .
فيما دموعي المهطال لا تعرف برهة راحة
لشعبي المطارد،
لشعبي المعتقل بين أسوار الموت
لشعبي المباد كأسراب الجراد
على مرأى من العالم .

(٣) نشيد اليأس

صدره . : زوادة أخبار مؤلمة ،
 ومقلته . . مدامع ،
 عش عصفير حزن . . قلبه ،
 واعماقه . . بركان هائج ،
 منبع الحسرة والآهات . . حنجرته ،
 وروحه . . بحر وماد لا متناه ،
 ومأكله . . الألم
 لكردستانه الممدودة تحت حدّ السكاكين ،
 ولشعبه الكردي المنتظر تحت ظلال اللهب
 جبال المشائق .

* * *

ضباب هلامي . . هو مصيره ،
 محياه غريب ، وارديته الاسى ،
 يجوب الارحاء مشرداً وتائهاً
 فرحاً بأصفاد الغربة ،
 نهاراته ليل . . ولياليه ليلاء ،
 لقد أضاع البرجوازيون حياته سدى ،
 وعيونه
 قد انطفأت من شدة التطلع
 والبحث عن شعاع الأمل .



يانكي / فيلم جديد

لا يمكن لمن يزور مدينة كييف في جمهورية اوكرانيا الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي حيث توجد أكبر ثاني استوديوهات السينما هناك بعد موسفيلم وهي ستوديوهات دوفجينكو، إلا ان يلتقي حقاً مع المخرج الاوكراني الموهوب ذي الخيال الخصب والنشاط المتفجر فيكتور غريس ، الذي يدهش المتحدث اليه بحيويته وسرعة بديهته وذكاؤه المتقدم وتواضعه الكبير. هذا الفنان كثر من المعلومات والأفكار فهو قادر على افتان المقابل بكل شيء يملكه بصوته الطفولي وحرركاته العصبية وتعابير يديه ووجهه وبالطبع بمواضيعه الفنية والثقافية. ففي لقاء واحد خلال ساعة من الزمن يستطيع ان يتحدث عن عشرة سيناريوهات ومشاريع جاهزة للتنفيذ في رأسه. ومن امانياته العزيزة على نفسه هو ان يتمكن يوماً من تحويل ملحمة جلجامش إلى السينما برؤية خلاقة جديدة.

ولد المخرج فيكتور غريس عام ١٩٣٩ لكنه يبدو حتى اليوم شاباً رغم اعوامه الخمسين. درس السينما في معهد الدولة للسينما في موسكو «دفيك» وتخرج عام ١٩٦٧ وكان عنوان فيلم التخرج القصير (من الذي سيموت اليوم). اخرج عام ١٩٦٩ فيلماً تلفزيونياً بعنوان (المطر الأعمى) وهو فيلم زوائي قصير أيضاً حصل عنه على الجائزة الذهبية الأولى في مهرجان الافلام التلفزيونية في مونت كارلو وجائزة لجنة التحكيم الخاصة في المهرجان الفيدرالي للافلام التلفزيونية في لينينغراد عام ١٩٦٩. كما اخرج فيلماً قصيراً آخر بعنوان (الازرق والاخضر) عام ١٩٧١. يعتبر المخرج اعماله هذه محاولات تجريبية أو تطبيقية لصقل موهبته واكسابه الخبرة العملية الضرورية للانطلاق في عالم الافلام الروائية الطويلة. اعطيت له الفرصة الأولى عام ١٩٨١ لاجراج أول افلامه الروائية الطويلة وكان بعنوان (الدجاجة السوداء) أو (سكان الاقبية) فاز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى في مهرجان موسكو الدولي في تظاهرة افلام الاطفال والمراهقين عام ١٩٨١ وكذلك الجائزة الكبرى للمهرجان الفيدرالي في فيلنوس للافلام الموجهة للشباب عام ١٩٨١ وجائزة تقديرية خاصة لفريق الفيلم عن النوعية الراقية وثراء الاخراج والافتان الفني والتقني وذلك في اللقاء الدولي للافلام الاولى لمخرجيها (أول فيلم طويل في حياة المخرج) للسينما

المستقلة في تور عام ١٩٨٣ كما عرض جماهيرياً في صالة كوزموس الباريسية المتخصصة بعرض الافلام السوفيتية وكان الاقبال الجماهيري عليه شديداً كما أشاد به النقاد الفرنسيون كثيراً.

الفيلم عبارة عن قصيدة شعرية رقيقة عن الحياة الداخلية لطفل فائق الحساسية في إحدى المدارس الداخلية ومحاولة هروبه من قسوة المعاملة الخشنة التي يتلقاها في المدرسة من خلال التجائه للمخيل والحلم حيث يتخيل دجاجة السوداء السحرية تمتلك قدرات هائلة لا محدودة تعطيها له مثل الذكاء والذاكرة غير المحدودة وإمكانية الاجابة على أي سؤال وحل أية معضلة.

لعل أهم ما يميز هذا الفيلم هو معالجته الاخراجية إلى جانب مضمونه الجميل ففيه رؤية إخراجية جديدة ومتطورة جداً بالنسبة لمجمل الانتاج السينمائي السوفيتي العام عدا استثناءات قليلة بالطبع . لقد كان المخرج جريئاً في كل لقطة ومشهد نفذه بمهارة خارقة رغم نقص أو قلة الامكانيات والخبرات المتوفرة (كان أول افلامه الطويلة) إلى جانب رداة الفيلم الخام المتوفر آنذاك وقدم الوسائل التقنية لتنفيذ المؤثرات والحيل السينمائية التي لم تسعه في تنفيذ سوى ٣٥٪ مما كان يتمنى أو يرغب في تنفيذه حسب تصريحه لنا . ومع ذلك جاء الفيلم جميلاً جداً أخذاً يشد المشاهد وساحراً للغاية خصوصاً بالنسبة للأطفال .

منذ أول لقطة - مشهد ترافلنغ بانورامي طويل جداً لم يشهد له تاريخ السينما المعاصرة مثيلاً، نفذ بطريقة الكاميرا المحمولة على الكتف نلمح وتلمس في هذا الفيلم بدايات اسلوب المخرج ونتوقع ما سيكون عليه في افلامه القادمة مثل شغفه في إدارة المجاميع في حركة كالجغرافية مذهلة وسيطرة تامة من الناحية الشكلية والتكوينية على هذه المجاميع (الكومبارس) وتوزيعها توزيعاً هندسياً متقناً مع تدعيم المشاهد بالمؤثرات الصوتية والموسيقية المناسبة لاضفاء بُعد غنائي فريد عليها.

على الرغم من كل هذه البدايات الموفقة التي أثبتت بلا لبس أو شك قدرة المخرج الفنية وموهبته الفذة ونجاحه على الصعيدين الجماهيري والفني إلا انه أثار الهلع في نفوس المسؤولين القدامى على جهاز السينما السوفيتية وجعلهم يترددون في منحه فرصاً أخرى خوفاً من خلق تاركوفسكي آخر أو باردجانوف آخر واضطر المخرج إلى الانتظار ثمانية أعوام أخرى قبل الافتتاح الأخير الذي حصل منذ عام ١٩٨٥ لأخذ فرصته الثانية في مجال الافلام الروائية الطويلة وكان فيلم (يانكي) أو (مغامرات جديدة ليانكي في بلاط الملك ارثر) سنة ١٩٨٨ . وهو فيلم ملحمي - اسطوري من نوع الخيالي أو فنتازيا معاصرة اعدّه بحرية تامة عن رواية قديمة جداً لمارك توين . كتب السيناريو بالاشتراك مع ميخائيل لوشتبين وصوره الكسندر باتوفسكي وادوارد تملين وقام بالادوار الرئيسية فيه سيرغي

كولتوكوف وايفدوكيا غيرمانوف والبير فيلدزوف والممثل - والمخرج الكبير الكسندر كايديونوفسكي مع اناستاسيا فيرتسكايا وايفجينيا ايفستيف فلاديمير كاشبور ومارك غريس ابن المخرج فيكتور غريس وانتج الفيلم ستوديو دوفجينكو في كييف جمهورية اوكرانيا . . . موضوع الفيلم لا يُلخص ببضعة صفحات فهذه محاولة فاشلة سلفاً ولا يمكن الاطاحة به في مقالة صحفية - نقدية واحدة فهو يستحق ان يخصص له كتاب كامل لدراسة وتحليل جوانبه الفنية والجمالية . لكنني سأحاول ان أنقل انطباعاً أولياً رسخ في ذهني منذ مشاهدتي لأول مرة له بحضور مخرج الفيلم في عرض خاص نظم له في ستوديو دوفجينكو لأنني شاهدته بعد ذلك عدة مرات على الفيديو لكتابة دراسة نقدية - تحليلية طويلة عنه متخصصة بعض الشيء .

يبدأ الفيلم بعرض لطبيعة وعرة وقاسية مكونة من صخور وجبال ورمال وصحراء وذلك بلقطات عامة وبعيدة جداً، نرى في عمقها فرسان من العصور المندثرة يحاولون اخراج ناقوس ضخم مدفون تحت التراب . وفي مشهد لاحق بالغ الجمال والروعة ومصور بطريقة الرؤية السرابية المضطربة - أي كما تبدو الأشياء غير واضحة كالسراب في الصحراء - لطائرة ضخمة لا تتمكن من تمييزها أول وهلة حيث تبدو كالوحش الكاسر الطائر في الجو تطلق صراخاً وخواراً موحشاً ومخيفاً كصراخ الديناصور وهي على وشك السقوط مصورة بالتصوير البطيء مثيرة عاصفة من الرياح القوية جداً مع غبار كثير، ثم نرى فارسين من القرون الوسطى يتصديان ببطولة نادرة ويأثرون في نفس الوقت لهذا الوحش الفولاذي الطائر القادم من المجهول . وبعد ذلك في بلاط الملك ارثر تتوافد الاخبار بطريقة تراجيدية عن مصرع الفارس الاسطوري الشجاع لانسلوت لكنه يبرز أثناء طقوس التأبين من بين الجموع متخن بالجراح .

لم ينبج من كارثة سقوط الطائرة إلا «هانك مورغان» - مثل دوره ببروعة واثقان وبكثير من الصدق سيرغي كولتاكوف - وكانت دهشته عظيمة عندما اكتشف انه موجود في بلد لا علاقة له بالحضارة التي يعرفها . بلد ليس فيه حدود جغرافية ربما يكون موجوداً بالتوازي مع عالمنا الحقيقي . انه عالم اسطوري يتبعي بشكله الظاهر للعصور الوسطى في عهد الاختلاقيات الفروسية والحقائق الخالدة . على الرغم من اصابة الشخصيات المعروضة سواء عن طريق الملامح الخارجية أو الملابس التي يرتدونها أو الديكورات التي يتحركون داخلها إلا اننا نرى بجلاء ان المخرج لم يهدف إلى إعادة بناء اجواء القرون الوسطى بل سعى إلى خلق ملحمة فنية خيالية لها معانٍ معاصرة ومغزى رمزي نبيل .

نشابع رحلة هانك مورغان في هذا العالم الغريب عنه عندما يتعرف بأمرأة فائقة

الجمال هي ساندی حيث يربطهما خيط غير مرئي من الحب لكنها سرعان ما تختفي ليجد مورغان نفسه بين ذراعي الساحرة الجميلة مورغانا حيث يتخلى على الفور وبلا تردد عن معشوقته السابقة ويخونها مع هذه الساحرة المغرية .

الطائرة التي اجتاز بها مورغان حدود البعد الرابع للوجود أي اجتاز بها الزمن النسبي ، باتت حطاماً من القرن العشرين تشهد على روعة تكنولوجيا هذا القرن وتقدمه العلمي الشكلي مع خواتمه الاخلاقي والروحي . في كل فصل من فصول الفيلم يخرج من حطام هذا الزكام الحديدي نوع جديد من الاسلحة الفتاكة اسلحة الابداء الجماعية من المسدس إلى آخر ما توصل اليه العقل البشري من اجهزة تدمير جهنمية حيث تتحول هذه الروعة التقنية إلى وخش خرافي مهلك لا يمكن لفرسان القرون الوسطى استيعاب سره أي إلى ان تتحول الطائرة في آخر الفيلم إلى قبلة ذرية عند انفجارها في آخر الفيلم . .

بعد محاولات لاستغلال هانك مورغان من قبل القائمين على الكنيسة وتقديمه باعتباره نبياً جديداً مرسلأ من أعماق الزمن لانقاذ البشرية ادخل هانك إلى بلاط الملك ارثر ليتعلم اصول واخلاق وفنون الفروسية لكنه يفشل في أول اختبار مبارزة مع أحد الفرسان الذي يتحدها ويقع صريعاً على عتبة الموت وفجأة نراه يدافع عن نفسه ويقتل خصمه باستخدامه لمسدس كان يخفيه تحت درعه كان قد جلبه معه من الطائرة . وبعد فشله في اسعاد وادهاش الملك ارثر بما يملكه من روائع حضارته المستقبلية ، يقترح مورغان اجراء مبارزة استثنائية لا مثيل لها تخرج عن حدود المعتاد الذي يعرفونه ، بينه وبين فرسان تلك الفترة مجتمعين ضده . وفي أروع مشهد من مشاهد الفيلم نرى التحضيرات لهذه المبارزة الخارقة حيث يتجمع الفرسان مع معرفتهم المسبقة بخسارتهم وموتهم الحتمي في هذه الجولة التراجيدية المقترحة عليهم لمعرفةهم بمدى فعالية اسلحة هانك الفتاكة والتي لا تستطيع سيوفهم ولا بسالتهم وشجاعتهم واخلاقهم ضدها شيئاً ، إلا انهم يقبلون التحدي ثم نصل إلى لحظة المواجهة في واحد من أجمل مشاهد الفيلم وأروعها من كافة النواحي التنفيذية التقنية والجمالية (لون وحركة وتكوينات وتوزيع كتل وتوازنات وسينوغرافيا ومؤثرات صوتية وصوتية اذ يمكن اعتباره وبلا مبالغة أحد أفضل المشاهد السينمائية في السينما المعاصرة) .

يتقدم الفرسان بحركة دائرية ذات طقس منظم رغم انهم يعرفون سلفاً ان دروعهم لا يمكن ان تحميهم من نيران المدفع الرشاش الذي حمله هانك مورغان من بطن الوحش الفولاذي الجاثم بعد ان استبدل ملابسه بملابس القرن العشرين (الجينز والنظارة الامريكية والترانزيستور) إلا ان الفرسان لم يترددوا أو يخافوا أو يساوموا أو ينسحبوا ويخونوا اخلاقهم الفروسية العظيمة ويستمررون في التقدم بخطى ثابتة حتى يحاصروه بعد ان نفذ رصاصه

وذخيرته ليلجأ محتمياً بحطام الطائرة، وفي محاولة بائسة لافزاعهم يضغط على زر لم يكن يعرف هو نفسه ما فيه وإذا بالطائرة تنفجر ويتحول انفجارها إلى انفجار قنبلة ذرية.

من الشخصيات التي لا تنسى في هذا الفيلم شخصية الفارس النبيل لانسلوت وهي مهمة جداً لفهم أحداث وتطورات أحداث الفيلم ومغزاه فقد كان في المقدمة أثناء هبوط الطائرة وكان الوحيد الذي تصدى لها وقاومها بشجاعة خارقة ثم قبع في الظل بعد ان كان (نجم الفرسان وأشهرهم) وذلك أثناء صعود نجم هانك مورغان لكنه بقي البطل الاصيل الذي لا يمكن استبداله بأي غريب مهما كانت قدراته. كان لانسلوت (الكسندر كايونفوسكي) مسكوناً بحلم العثور على ناقوس ضخّم جداً وقديم جداً مدفون في الصحراء (أماكن التصوير غاية في الجمال) الوعرة المحاطة بالجبال الصخرية. وحسب ما تقول الاسطورة فانه بمجرد سماع دقات هذا الناقوس يسترد الأعمى بصره ويتكلم الابكم ويسمع الاطرش وكل من لديه عاهة تشفى ويتفاهم البشر فيما بينهم إلا ان أول دقة منه تكلف البطل الذي يعثر عليه حياته ثمناً لذلك ويكون هذا البطل هو لانسلوت الذي نراه في أول الفيلم وهو يبحث عن الناقوس حيث كرس حياته لهذا الهدف الانساني الرائع وفي آخر الفيلم نراه يعثر عليه ويدقه ويقدم حياته قرباناً لعمله هذا.

د. جواد بشارة - كيف

لقاء مع فيكتور غريس

بعد العرض الخاص الذي نظمه المخرج لفيلمه (يانكي) و (الدجاجة السوداء) في صالة عرض ستوديو دوفجينكو اقترحت على المخرج اجراء مقابلة سريعة معه ليحدثنا عن رؤيته السينمائية في فيلمه. وقد قام الزميل المخرج ليث عبد الامير بالترجمة مشكوراً.

- الفيلم اقتباس عن رواية للكاتب مارك توين هل تعتقد انك وفقت في عملية الاعداد السينمائي لها وهل تتخيل انه لو كان على قيد الحياة لاعمجه ما قمت به؟

ج - لا اعتقد ان الكاتب الامريكي سيلومنا على اقتباسنا الحركي كثيراً لروايته أو لآثره الفني الكبير. ففي نصه الجميل يستخدم مارك توين طريقة خيالية فتازية حيث يقوم بنقل مواطن امريكي معاصر لزمناه من ولاية كونيتيكت إلى انجلترا القرن السادس عشر في

بلاط الملك ارثر حيث يبرز الكاتب تفوق هذا العالم على الخرافة وتفوق التفكير الحر على الظلامية. أما في فيلمي فهناك مآكنة لاجتياز الزمن واختراق العصور حيث يجد أحد سكان عصرنا الحالي أو عالمنا المعاصر نفسه في مملكة الملك ارثر. وبعرضنا لرحلته لا يمكننا ان نتجاهل مضي زمن طويل جداً بين صدور الكتاب وزمن اخراج الفيلم أي ما يقارب القرن من الزمن. مما أتاح لنا ان نرى الكثير من الجوانب الايجابية لهذه الظواهر وأكثر منها الجوانب السلبية. فعرفنا مثلاً ان التيار الكهربائي الذي يضيء منازلنا يمكن ان يوصل بأسلاك شائكة تقمع الانسان وتمنعه من التحرك والتنقل. وان كل عقلية أو ذهنية استبدادية تقود إلى بروز جميع انواع أو انماط النظريات المبغضة للبشر وفي الفيلم أقدم عدداً من وجهات النظر عن حضارتنا وطريق تطورها في المستقبل.

- من الواضح ان اجواء القرون الوسطى تستهويك وان المخيلة الانسانية تهتم كثيراً لذا فان شخصياتك السينمائية ومواضيعك كلها مستوحاة ومستنبطة من وحي الخيال.

ج - الانسان ذاكرة الوجود الحية ولا قيمة للزمن بدون ان ينسخ ويدون في ذهن هذا الانسان الذي يتساءل دائماً عن ماضيه وعن اصله وسر وجوده وعن حاضره وتطوره وعن مستقبله وما سيكون عليه. الواقع الآن وحده لا يسعنا بتقديم اجابات ولا يكفينا لتقديم تفسير ولو نسبي لكل هذه التساؤلات.

- عالمك قريب من عالم اكيرا كيروساوا خصوصاً في فيلمه كاغاموشا من حيث الاجواء والديكورات والملابس والاحداث.

ج - ربما. هذا فخري ان اُقارن أو اذكر إلى جانب مخرج مبدع من وزن كيروساوا لكنني لم اشاهد فيلمه بل سمعت عنه وسمعت أيضاً انه كان انتاجاً ضخماً ومكلفاً جداً فقد كلف حوالي العشرين مليون دولار على الأقل.

- وما هي تكاليف فيلمك الذي لا يقل عنه روعة بل وبضاهيه بكل شيء؟

ج - قد لا تصدق لو قلت لك انه كلف مليون روبل أي عشرة آلاف دولار تقريباً لو حسبنا قيمة الروبل في السوق الغربية أي أقل من راتب عامل في استوديوهات هوليوود لفيلم واحد. ولكن ليست هذه هي المشكلة. الأهم في الأمر هو الجو الذي نعمل فيه.

- ما هي الصعوبات التي واجهتك اثناء عمل الفيلم؟

ج - اولها الصعوبات البيروقراطية فقد قطعوا عني عدة مرات الميزانية بحجة انني تتجاوزت كثيراً ما كان محدداً لي في الأصل (أقل من مليون روبل بكثير) وثانياً الصعوبات التقنية: قَدَم واستهلاك الاجهزة ورداء الافلام الخام وبطء الاستوديو والمختبر ورفض التقنيين تصوير بعض المشاهد الخطرة مما اضطرني إلى تصويرها بنفسي ادخلت اثرها إلى المستشفى عدة مرات وأخيراً اصبت بانهاك وانهاك عصبي تقلوني على اثره إلى مستشفى

الامراض النفسية . وأكثر من هذا كله فترة الانتظار الطويلة بين فيلم وآخر ثم فترة انتظار خروج الفيلم جماهيرياً بعد الانتهاء من تصويره .

- من هم المخرجون الذين تعتبرهم قدوة وتفضل عوالمهم .

ج - من السوفيت أحب بارادجانوف وتاركوفسكي بالطبع . من المخرجين العالميين أحب بيرغمان وبازوليني وغيرهم كثيرين لا أذكر اسماءهم . هل تعرف اننا قبل البيسترويكا لم نكن نشاهد إلا نادراً أفلام هؤلاء المخرجين العالميين الكبار وحتى الآن لم نشاهد الكثير من أفلامهم ناهيك عن أفلام الشباب الجديدة في اوربا وامريكا . . .

- ما هي مشاريعك المستقبلية؟

ج - لدي عدة مشاريع ليست أكيدة فلم احصل لحد الآن على اجازة تمويل وتصوير أي منها لدى مشروع فيلم تلفزيوني طويل على عدة حلقات وأحب كثيراً ان أخرج للسينما ملحمة جلجامش لاني مفتون بها كثيراً وقرأت عنها وثائق كثيرة جداً . . . ولدي تصور جمالي واخراج خاص لها اعتقد بانها ستكون فيلماً عظيماً لو اتيح لي فرصة اخراجها للشاشة .

- هل يهكم ان تكون عالمياً ومعروفاً على الصعيد السينمائي الدولي؟

ج - ليس هذا من اهدافي واهتماماتي لكن يسعدني جداً ان تعرض افلامي في أكبر عدد ممكن من الدول ويشاهدها أكبر عدد ممكن من المشاهدين لكنني لا أعمل أفلاماً احدد لها هذا الهدف مسبقاً . اعمل الافلام التي تضغط علي وتعجبني وفي هذا المجال لا اسأول ولا اتنازل .

- لو قدم اليك عرض في اخراج فيلم في الغرب ماذا سيكون ردك؟

ج - الجواب بديهي لا أحد يرفض مثل هذه الفرصة ولكن ليكن بعلمك اني لا أقبل ان أعمل فيلماً هناك إلا بشروطي أي ان اختار أنا بنفسى موضوعي وفريق عملي واسلوب الاخراج وما عليهم سوى توفير الميزانية المطلوبة .

- هل لديك نظرية اخراجية خاصة بك وهل للنظريات السينمائية الجمالية تأثير على

جمالياتك الاخراجية؟

ج - ليست لدينا كتب نظرية كثيرة عن السينما وكلها قديمة منذ عهد ايزنشتين . ونادراً ما تترجم . كتب نظرية سينمائية كتبت بلغات أخرى . نحن نكون مفهومنا السينمائي من المشاهدات وإن كانت نادرة ومن بعض الكتب المتوفرة ومن الافلام السوفيتية العظيمة التي اخرجها العباقرة الكبار على مدى تاريخ السينما السوفيتية . . .

- طرحت عليك هذا السؤال لأنني أعرف انك تدرس الاخراج السينمائي لطلابك في

معهد كيف للسينما .

ج - نعم لكنني ادرس وجهة نظري الخاصة ورؤيتي السينمائية الخاصة كما افهمها واطبقها في افلامي وهم احرار في تقبلها أو رفضها لكن طلابي قريون من عالمي ويحبون طريقتي في عمل الافلام وما عليك سوى مشاهدة افلام التخرج لتكون لديك فكرة عن ذلك.

- هل تتدخل في عمل التقنيين (المصور ومدير التصوير ومهندس الديكور) أم نكتفي بكتابة السيناريو أو المشاركة بالكتابة والاكتفاء بالايخراج؟

ج - كل تفصيل فني في الفيلم هو جزء من الاخراج يكلف المخرج به شخصاً كفواً ومتخصصاً آخر لتنفيذه حسب تعليماته وإرشاداته، إن أي اختصاص من اختصاصات العمل السينمائي يجب ان يكون لي رأي فيه وفي طريقة تنفيذه ومن ثم اترك الحرية للتقني في تنفيذه حسب خبرته وتجربته بعد ان نفاهم على الأمور المبدئية. واتفق أنا عند ذلك للممثلين والادارة العامة للتصوير. . .

- شكراً على هذه المقابلة السريعة أرجو ان نرى مستقبلاً افلامك ونتحدث عنها باسهاب.

اجرى المقابلة في كيف د. جواد بشارة

متحف أنا اخماتوفا

كيف يعيد الشعب تركيب شاعره!

اخيراً تم اللقاء. ولم نتحدث في خفوت مثلما في الماضي، بل عبرنا، بكل وضوح، عن حُبنا لآنا اخماتوفا، اولغا بيركولتز، بوريس باسترنك، أوسيب ماندلستام، نيقولي غوميليف، فلاديسلاف خوداسفيتش. . . نعم، فما جدوى البحث عن المبررات؟ لقد انقضى بعض الوقت قبل ان نعلن ذلك، وكان علينا ان نقوله من قبل، حتى لا نخجل من صمتنا الطويل. ولكن لشكر بعضنا البعض اننا لم ننس شيئاً، لم ننح احداً، وعلى اننا بقينا مخلصين لوعينا من اجل الاستمرار في الحياة حتى نؤدي ما علينا من ديون.

واحداً من هذه الديون يتمثل في جمع مغلفات آنا اخماتوفا الموزعة على بيت الشاعرة، البيت التاريخي في لينينغراد، في قصر الكونت شيريميتيف القديم، الذي

استضاف ما لا يُحصى من المعجبين بفن اخماتوفا . هنا عاشت الشاعرة ايامها الاكثر جمالاً ومأساوية . في هذا البيت شبرعت في كتابة عملها الذائع الصيت (قداس)، الذي لم ير النور حتى عام ١٩٨٧ . ومن هنا كانت تزور سجن كريستي بذاكرة حزينة ، حاملة الطعام الى ابنها ليف غوميليف البريء ، المحكوم عليه ظلماً . من هذه السنوات المريعة بقيت هذه السطور الابدية : « كنت ، اذن ، مع شعبي حيث حتم سوء الحظ على شعبي ان يكون . » . وبعدئذ ستكتب : « ليس لدي أي تحفظ تجاه هذا البيت الرائع . لقد حدث انني طوال حياتي تقريباً ، عشت تحت سقف قصر فونتانو . بائسة دخلته وبائسة غادرته . » .

منذ امد بعيد حلم الناس بهذا القصر . حالياً نتألم اذ نتذكر اول من استولى على هذه التحفة التي جمعت آلاف المهتمين بإرث اخماتوفا الشعري ، ومن جميع شعراء «كوكبة العشرينات» من قاسمه مصيره المر الغريب .

. اننا - ولا بد من التصديق - امام ظاهرة خاصة ، أو حالة نادرة خلقها اصرار الشعب . حيث لا يهم فقط «من قال» ، بل وكم من الناس امسكوا بالكلمة ، وكم من الانصار كان لها .

إلا انهم كانوا كثيرين . وواضح ان هناك ، دائماً ، وجوداً لأشخاص قاموا باستطلاعاتهم حتى في السنوات التي لم تكن تفكر فيها دون ان ترتعد . وعلى الرغم من ان اصواتهم لم تكن مسموعة وقتئذ ، فهي اليوم ، وصلتنا في كلية صراحتها ، وعلى سبيل المثال صوت الكاتب بانتوليس : «كلاسيكية ، استاذة في الشعر ، وطنية كبيرة يشيد بها اكثر من جيل من القراء ، اخماتوفا تستحق تذكراً يرصع مدينتنا . » .

على مدى اكثر من عشرين سنة ، وبجهد خارق ، جمع سيرغي أوتنيكوف مادة هامة عن الشاعرة ، فضلاً عن الاشياء التي لها صلة بمدينة بتسارسكي سيلبي التي ظل يقطنها دائماً . وبعد تقاعده ، تفرغ أوتنيكوف ، كلياً لقضية شاعره المفضلة : والحق ان هذا الشخص يستحق ، اكثر ، من لقب بطل ؛ بالنظر الى ان نشاطه الوحيد قد انطلق في زمن لم يُعط فيه الامر ، بعدم ، بقدر تحريم اعمال الشاعرة . وكثيرون كانوا يخشون ، وقتئذ ، ان يلهجوا ، في الغالب ، بأبياتها ، بل وحتى باسمها .

سيرغي أوتنيكوف وزوجته فالونتينا فينكوفسكايا جمعا كتباً نادرة ، معلومات ، صوراً . . . كما ظهرت ، ايضاً ، دائرة متحمسة من الاصدقاء ، متحدية المنع : المهندسة كالينا غينسروفسكايا ، المترجم الكسندر شوشكو ، الطبيب العسكري ملوك غوردون ، الفنانة الرسامة فانيا فيزواتينسكايا ، استاذة الموسيقى لاريسا روزكو ، المهندس يوري كروتوف ، علاوة عن آخرين عبروا عن مشاركتهم في صيانة الارث الابداعي للشاعرة . في السكن الوحيد لآوتنيكوف - حيث وُجد ، بغربة ، مكان لآلاف القطع - تستقبل

المعلومات بفرح دائماً. وإلى هنا يفد المعجبون بأننا اخماتوفا من المدن المجاورة: من كوبوشيف، نوفوغوسيسكي، كراسبارسك، كانافا روسك، ألما آتا... في السنة الماضية، حيث ايدت ادارة لينينغراد للشؤون الثقافية فكرة انشاء المتحف في منزل الفورتانيكا، توجه سيرغي اوتينكوف برسالة الى الاكاديمي ديمتري ليخاتشيف: «بيروقراطيون قاموا بكل محاولاتهم للحيلولة دون انشاء المتحف في شارع فونتانكا، أو على الاقل من اجل تأخير التدشين. لكن بشيء من الحزم يمكننا النجاح في التدشين... كل ما حصلته عن اخماتوفا اتعهد بان اضعه، دون مقابل، بين يدي المتحف بمجرد الشروع فيه».

في مئات الرسائل المتوافدة على الادارة البلدية للشؤون الثقافية نقرأ الترقب القلبي لفتح المتحف. كما يُعاد التذكير بالتاريخ القريب ليوم ميلاد الشاعرة المعلن عنه من طرف اليونسكو (عام ١٩٨٩ اعتبر سنة الشاعرة الدولية - المترجم). ان العالم كله يعرف الشاعرة، في حين لا وجود لمتحف أو لاي نصب أو حتى نحت ثابت، تخليداً لأننا اخماتوفا، كما ان اسمها ليس مكتوباً ويُلهج به وحسب، وخيال تقاسيمها الساحرة يبدو، فقط، في ماء (نيفا) الهارب. ولا شيء أكثر.

ان حصول المتحف، الآن، على عنوان حقيقي، انما هو تعبير عن نفاد صبر الناس الراغبين، بأقصى ما يمكن من السرعة، في رؤية نتيجة الجهود المشتركة والانتظار الطويل. كما لا يزال يُعبر عن الخوف من ان لا يتحقق شيء من كل هذا، كما يحدث عادة. ولدرء ذلك سارع الناس الى وضع اللبئات بأنفسهم، دون انتظار الامر والتحديدات الرسمية. وتم احياء التقليد الروسي القديم الذي طاله النسيان خطأ؛ تقليد التبرعات. وتم القيام بذلك في الامسيات الخيرية. كما انه بمجرد سماع ان العمل سيتم على تدشين متحف على نهر نيفا، تم ارسال النقود على الحساب ٧٠٢ الحامل لسجل ادارة الشؤون الثقافية السوفييتية لبناء متحف اخماتوفا. هكذا، اذن، وبمناسبة تخليد ذكرى ميلاد الشاعرة، سوف يُدشن القسم الاول من المتحف / سكن اخماتوفا في الجناح الذي شغلته الشاعرة، وملحق حديقة القصر القديم شيريمتيف. ان اصرار الشعب يسنده مجلس السوفييت لمدينة لينينغراد قد تم الاعتراف به كعمل للدولة.

لقد انتظرنا طويلاً هذا اليوم. ونحن نعلم ان منزل الفونتانكا، حيث يمكننا زيارة الشاعرة، هو تخفيف عنا جميعاً.

تايا بلوشيكوفا

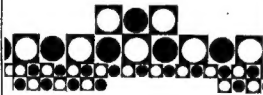
ترجمة (بتصرف) عبد الرحيم حزل

الآن في الأسواق

- ليكولاي بوكارين

الامبريالية والاقتصاد المالي

ترجمة رجا احمد

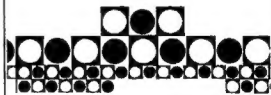


مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

يلدريش زللي

منطق

ترجمة
ثامر الصفار



مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

